المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية

مقدم من الطالب

ساعد بن سعيد بن مسيعيد الجهني

الرقم الجامعي: ٤٢٥٨٨٠٦٢

إشـــراف الدكتور

عبدالناصر سعيد مصطفى عطايا

الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية بجامعة أم القرى

الفصل الدراسي الثاني

١٤٢٩هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[سورة فاطر: ٦]

قال ﷺ : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم "
صحيح البخاري (ج ٣/ ص ١١٩٥)

قال ابن قيم الجوزية: " من تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان وكيده ومحاربته أكثر من ذكر النفس .. فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس ".
إغاثة اللهفان (ج١/ص٨٣)

قال سيد قطب - رحمه الله تعالى - : " ليس هناك إلا اتجاهان اثنان إما الدخول في السلم كافة وإما إتباع الشيطان، إما طريق الله وإما طريق الشيطان، إما هدى الله وإما غواية الشيطان "
في ظلال القرآن (ج١/ص٢١١)

الإهداء

أهدي هذا الجهد إلى من سكنت تحت الثرى، جمعني الله بها في الفردوس الأعلى، إلى أمي الحنون رحمها الله تعالى، التي ربتني على حب العلم و فارقت الحياة قبل أن تقرَ عينها بتخرج بنيها.

أهدي هذا الجهد و أتقدم بالشكر الجزيل و الدعاء الوفير إلى من نفعني بعد الله دعاؤه و منحني حبه و رضاه، فلطالما رأيته يرفع كفيه بالدعاء الصادق أن يأخذ الله بيدي و يرزقني من حيث لا أحتسب، فلقد و الله عشت بركة دعائه، و رأيت أثر رضاه علي في مسيرتي في الحياة، و منها هذا العمل المبارك إن شاء الله، إلى والدي الحبيب أهدي هذا العمل أمد الله في عمره على الطاعة، و ألبسه لباس العافية، وجمعني به في جنة الخلد.

أهدي هذا الجهد إلى أسرتي وأقاربي وجيراني وإخواني وأصدقائي، كما أهدي هذا العمل لكل فرد يروم السعادة لنفسه ولمجتمعه في الدنيا والآخرة.

إلى كل من ذكرت آنفاً على التفصيل والإجمال، أهدي هذا الجهد المتواضع وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون صواباً على المنهج القويم والصراط المستقيم، وأن ينفع به كاتبه ومن حوله، وأن ينفع به أجيالاً وأجيالاً، داعياً الله جل في علاه السعادة للجميع في الدنيا والآخرة، و صلى الله و سلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [سورة الأحقاف، آية: ١٥-١٦] والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذي قال: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[١].

فمن أعظم النعم علي أن وفقني الله بعد أن بلغت الأربعين من عمري إلى طلب العلم والبحث والدراسة بعد أن أمضيت ما يزيد على خمسة وعشرين عاماً في الحياة العملية، عشتها في القطاع الحكومي والخيري والخاص، اكتسبت من خلالها خبرات متنوعة كان لها كبير الأثر على صياغة وبناء شخصيتي؛ ومن نعم الله علي أن يسر لي هذه الرسالة في جامعة أم القرى في كلية التربية قسم التربية الإسلامية، فالحمد والشكر لله أولاً وأخراً ظاهراً وباطناً وإني لأتقدم بالشكر الجزيل لرئيس القسم السابق الدكتور/ نايف بن حامد بن همام الشريف، والذي تشرفت بالدراسة على يديه فكان له أثر علي بتوجيهاته التربوية، ولمساته الأخوية فجزاه الله عني خير الجزاء؛ ولرئيس القسم الحالي الأستاذ الدكتور/ نجم الدين عبد الغفور أنديجاني، والذي تشرفت أيضاً بالدراسة على يديه وأفادني بخبراته المتنوعة من خلال مسيرته التربوية الطويلة، وأخصهما بالشكر على ما بذلاه من جهود ملموسة في تذليل

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢١هـ، حديث ١٩٥٤، ج٤ ص٣٣٩.

الصعاب والعقبات أمام طلاب العلم في هذا القسم، كان لها كبير الأثر في استقرار مسيرتنا التعليمية خلال أربع سنوات قضيناها في هذا الصرح التربوي الشامخ.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل للمربي الكبير الدكتور / عبدالناصر سعيد مصطفى عطايا الذي تشرفت أيضاً بالدراسة على يديه، كما سعدت بقبوله الإشراف عليّ في تحضير الرسالة، فقد استفدت من قربي منه علماً وأدباً وسلوكاً فقد كان نعم المربي ونعم الموجه فلم يبخل علي بجهده ووقته طوال فترة البحث. وأتقدم بالشكر الجزيل للدكتور/ علي بن مصلح المطرفي، والدكتور / خليل بن عبد الله الحدري، اللذين قاما بتحكيم هذه الرسالة، ولكل الأساتذة الذين تشرفت بالدراسة على أيديهم، والشكر موصول للأستاذين الفاضلين الأستاذ الدكتور/ حامد بن سالم الحربي، والدكتور/ محمود بن محمد كسناوي، اللذين قبلا مناقشتي في هذه الرسالة.

وأتقدم بالشكر الجزيل لزوجتي فاطمة ورحاب لإعانتهما لي، وتهيئة الجو المناسب للبدء في هذه الدراسة حتى إتمامها، أسأل الله أن يعظم لهما الأجر وأن يثقل موازينهما يوم القيامة.

وأتقدم بالشكر لكل من أعانني برأي أو توجيه أو تشجيع أو تنبيه من أساتذتي وإخواني وزملائي وأصدقائي.

كما أشكر كل من دلني على مرجع أو أعارني كتاباً، لكل هؤلاء أتقدم بالشكر والعرفان، وأسأل الله تعالى أن يعظم لهم الأجر والثواب، وأن يجمعني بهم إخواناً على سررٍ متقابلين في الفردوس الأعلى إنه على كل شيء قدير.

ملخص الرسالة

إعداد الدارس: ساعد سعيد مسيعيد الرفاعي الجهني.

عنوان الدراسة: الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان.

أهداف الدراسة: بيان الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان.

منهج الدراسة: استخدم الدارس في هذه الدراسة المنهج الاستنباطي والوصفي.

فصول الدراسة: تكونت الدراسة من خمسة فصول وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: الإطار النظري للرسالة، جاء الحديث فيه عن مقدمة الدراسة وموضوعها وأسئلتها وأهدافها وأهميتها ومنهجها والدراسات السابقة ومصطلحات الدراسة.

الفصل الثاني: اشتمل على الأسباب والحكمة والهدف من عداوة الشيطان للإنسان.

الفصل الثالث: احتوى على أساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان، وقسمها الباحث إلى: المبحث الأول الأحوال التي يأتي بها الشيطان للإنسان، والمبحث الثاني الأساليب العامة، والمبحث الثالث: الأساليب المحددة .

الفصل الرابع: احتوى على أثر عداوة الشيطان على الإنسان؛ وقسمها الباحث إلى: المبحث الأول: أثر الشيطان على مجالات بناء الإنسان، والمبحث الثاني: أثر الشيطان على جوانب مكونات الإنسان والمبحث الثالث: أثر الشيطان على الأسرة والمجتمع.

الفصل الخامس: واحتوى على الأساليب التربوية للوقاية من عداوة الشيطان، وقسمها الباحث إلى: أساليب عامة وأساليب خاصة.

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

من أهم نتائج الدراسة:

١- أن الشيطان أخطر عدو يؤثر على أمن واستقرار وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٢- إغفال عداوة الشيطان للإنسان سبباً رئيساً في الإخلال بالتربية .

٣- سهولة ويسر الأساليب الوقائية في الإسلام للسلامة من أساليب الشيطان .

ومن أهم التوصيات :

١- أن يضمن هذا الموضوع المقررات الدراسية في التعليم العام والتعليم العالي.

٢- أن تقدم برامج عبر وسائل الإعلام المختلفة تبين حجم هذه العداوة وأثرها على الفرد والأسرة والمجتمع.

٣- التطبيق العملي من قبل المربين للأساليب التربوية الواقية من عداوة الشيطان في المؤسسات التربوية .

Dissertation Summary

All praise is due to Allah and may peace and blessing be on His most beloved Messenger Muhammad [Peace be upon him].

This is a dissertation introduced by the scholar: Saad Saed M. Al Gehani, under supervision of Dr. Abdul Nasser bin Saeed Mustafa Attaya, to be granted master's degree from Faculty of Education: Comparative and Islamic Education Department – Umm Al-Qura University. The dissertation is entitled [The Educational Methods in Islam for Protection from Satan's Enmity] The aim of this study is to elucidate the educational methods in Islam for protection from Satan's enmity. The deductive and descriptive theories were used by the researcher in his study.

This dissertation contains five chapters and a conclusion:

Chapter One:

It contains the theoretical outline of the dissertation: Introduction – Subject – Questions – Purposes – Importance – Methods – Previous studies – Terms of study.

Chapter Two:

It contains: the causes, the wisdom and the aims behind Satan's enmity to man.

Chapter three:

It contains Satan's methods to do harm to man. These methods were divided by the researcher as follows:
The first section: the way in which Satan comes and deceives man. The second section: the general methods. The third section: the limited methods.

Chapter Four:

It contains the influence of Satan's enmity on man. It was divided into three sections: The first section: the influence of Satan on building up the aspects of man's character. The second section: the influence of Satan on the various organs of man. The third section: Satan's influence on the family and the society.

Chapter Five:

This chapter contains the educational methods for protection from Satan's enmity. These were divided into: the general methods, the special methods and the conclusion [results and recommendations].

Some of the most important results of the research:

١- Satan is the most dangerous enemy as he affects man's safety, stability and happiness in in this world and in the Hereafter.

٢- Being unaware of Satan's enmity to man is an essential reason for lacking in bringing up.

٣- The easiness and simplicity of the protective methods in Islam lead to be safe from Satan's tricks.

Some of the most important recommendations:

١- This study should be included in the subjects taught in the general education and in the higher one.

٢- Programmes should be presented through the various means of media to clear up the huge amount of this enmity and its influence on the individual, the family and the society.

٣- The protective educational methods against Satan's enmity should be applied practically by educators in all educational institutions.

It is Allah who bestows success

فهرس الموضوعــات

الفصل الأول

(خطة الدراسة)

- مقدمة الدراسة.
- موضوع الدراسة.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- منهج الدراسة.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة .
- الدراسات السابقة.

المقدمـة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينـا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

لقد تميز منهج التربية الإسلامية عن المناهج التربوية الأخـرى، كونـه يسـتمد أصوله و مبادئه وقيمه من نصوص الوحيين: الكتاب والسنة وما تفرع عنهما، ولـذا أقبل علماء التربية الإسلاميـة على هذه المصادر، طاعـة لله ورسـوله، قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور، آية: ٥١] . وقال تعـالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

فجاء بحقائق عن الكون والإنسان والحياة والخلق بصـورة عامـة، تفـوق مـا جاءت به التصورات والأنظمة التي انطلقت منها التربيـة المعاصـرة في الغـرب أو في الشرق، والتي أعطت تصورات عنها؛ فيها من أوجه الانحراف والقصـور مـا يجعلـها قاصرة عن صلاحها وسيادتها العالم، ولن تُسعد البشرية في الـدنيا والآخـرة؛ بـل لا سعادة للبشرية على وجه الحقيقة، إلا بالإسلام، ذلك أن الإسلام هـو الـذي يرسـم للإنسان معالم العمل الذي يقوده إلى السعادة في الدنيا والآخـرة، قـال تعـالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة النحل، آية: ٩٧].

ولّما كان الدين الحق هو الإسلام، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[سورة آل عمران، آية: ١٩].

وحقيقة الإسلام أنه دستور، ومنهج، ونظام حياة؛ ومن أراد منهجاً للحياة غير منهج الإسلام فلن ينفعه في الدنيا، ولن يقبله الله منه وهو من الخاسرين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

وبفضل الله ومنته، فقد انبرى عشرات المربين لتجلية وإيضاح موقف التربية الإسلامية من هذه القضايا، وقد أجادوا وأفادوا فيما كتبوا، فلا يسع مسلماً استبدال الحقائق الإسلامية حول هذه القضايا بتصورات مناقضه أياً كان قائلها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[سورة النساء: ١١٥].

وحيث إن التربية الإسلامية حرصت على بناء الإنسان المسلم بناء قويماً، وكثرت الدراسات المتعلقة بالحديث عن الإنسان وبنائه وتربيته من منظور إسلامي، إلا أن الحديث عن هدم الإنسان قلت الكتابة فيه، والحديث عن هدم الإنسان لا يقل أهمية عن الحديث عن بنائه؛ وأنّى لهذه التربية أن تؤتي أكلها، وتجتني ثمارها، إذا لم تتنبه لمعاول الهدم من حولها، وصدق القائل:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه   إذا كنت تبني وغيرك يهدم

وقد ورد عن حذيفة ﷺ صاحب رسول الله ﷺ أنه قال : "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي" (١).

ومن هذا المنطلق كان اختيار هذا الموضوع: **الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان**، حيث أن الشيطان هو الرأس المفكر، والعقل المدبر،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ، حديث ٣٤١١، ج٣ ص١٣١٩.

والمخطط المحبر، لهدم الإنسان.

ونظراً لما للشيطان من أثر كبير على جوانب مكونات الإنسان عقله، وقلبه، وجسده، وجوارحه، والتي هي محط التربية؛ وما له من أثر على مجالات بنائه في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والسلوك، وما له من أثر في حياة الأسرة والمجتمع .

وفي ظل الغفلة الشديدة عن هذا العدو، رغم توافر النصوص واجتماعها على التحذير من عداوته وكيده، وبيان عظيم أثره، وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع، ليكون أطروحة رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير، في كلية التربية، قسم التربية الإسلامية بجامعة أم القرى؛ تضامنا مع الجهود الجبارة التي بذلها علماء التربية الإسلامية خلال العقدين الماضيين، لأسلمة العلوم الإنسانية في سبيل التحرر من التبعية الفكرية والمنهجية، في مجال العلوم الإنسانية والتربوية والاجتماعية، والذي يدعو إلى إعادة النظر في مفردات ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية، وفي معظم نتائجها النظرية والعملية، في ضوء معطيات الإسلام.

أسأل الله أن ينفعني وأبناء المسلمين بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، صواباً على هدي خير المرسلين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

موضوع الدراسة :

تقرر هذه الدراسة عداوة الشيطان، والتي استفاضت نصوص الكتاب والسنة بالحديث عنها، ونشاهد أثرها على البشرية منذ خلق أبينا آدم إلى ساعتنا هذه في جميع حياتنا.

كما تبين هذه الدراسة، خطورة عداوة الشيطان، وعلاقته بالتربية، وتبين الدراسة أساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان، وأثر الشيطان على مجالات بناء الإنسان في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك، وعلى جوانب مكونات الإنسان: القلب والعقل والجسد والجوارح والأعضاء، وتبين أيضاً أثره على الأسرة والمجتمع.

كما تعطي هذه الدراسة للمربي والمتربي أساليب التربية الإسلامية، للوقاية والسلامة من عداوة الشيطان.

أسئلة الدراسة :

تجيب هذه الدراسة على السؤال الرئيس:

ما الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان ؟

ويتفرع عنه هذه الأسئلة:

س١: ما أسباب عداوة الشيطان للإنسان ؟ وما الهدف من عداوته ؟ وما الحكمة من هذه العداوة ؟

س٢: ما الأساليب التي يتبعها الشيطان في الإضرار بالإنسان ؟

س٣: ما أثر عداوة الشيطان على تربية الفرد والأسرة والمجتمع ؟

س٤: ما أساليب التربية الإسلامية للوقاية من عداوة الشيطان ؟

أهــداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى:

١- بيان أسباب عداوة الشيطان للإنسان والهدف منها والحكمة من ذلك.

٢- توضيح وسائل وأساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان.

٣- بيان أثر عداوة الشيطان على الفرد والأسرة والمجتمع.

٤- إيضاح الأساليب التربوية للوقاية من عداوة الشيطان.

أهمية الدراســة :

تتضح أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية :

١- أثر هذه العـداوة علـى الفـرد والأسـرة والمجتمـع في عقيدتـه وعبادتـه وسلوكه.

٢- كون الإنسان هـو المسـتهدف بالتربيـة وهـو المسـتهدف بـالإغواء مـن الشيطان.

٣- عدم الوقوف على رسائل تربوية متخصصة أبرزت هذه العلاقة.

٤- مجاراة كثير من الكتاب في مباحث التربية الإسلامية في موضوعاتها لما كتبه الغرب والتي أهملت هذه العلاقة مع أهميتها وخطورتها.

٥- حاجة العالم كله لمعرفة العدو رقم واحـد للإنسـانية والـذي وراء كـل بلاء وعنت وشقاء للبشرية.

٦- الوصول إلى الربط بين الآثـار الـتي نراهـا مـن الانحرافـات في الفكـر والسلوك وأسبابها الحقيقية.

٧- غفلـة كـثير مـن النـاس عـن هـذا العـدو الحقيقـي وعـدم التأهـب والاستعداد له.

٨- انشغال الناس بعداوة ثانوية فرعيه وتجاهل العداوة الأولية الأصلية.

منهج الدراسة :

المنهج العلمي هو: "الطريق الآمن للوصول للمعرفة، وأن طبيعة الدراسة لهذا الموضوع تقتضي استخدام المنهج الاستنباطي، والذي يتمثل في إعمال العقل والفكر في نصوص القرآن والسنة، المتعلقة بالموضوع، بهدف الوصول إلى نتائج على فهم علماء الإسلام".

والمنهج الاستنباطي كما يعرفه المختصون هو: "ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها"[(١)].

أو"هو المنهج الذي يبذل فيه الباحث قصارى جهده في دراسة موضوع معين، لاستخراج مبادئ مبنية على أصول ثابتة"[(٢)].

وهذا فعلاً ما قام به الباحث في الدراسة حيث استخدم هذا المنهج فقام باستنباط أسباب عداوة الشيطان، وأهدافه، والحكمة من عداوته، وأساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان، وأثرها على مجالات بناء الإنسان، وأثارها على جوانب مكونات الإنسان، وأثارها على الأسرة والمجتمع، وأساليب الوقاية منها في الإسلام.

والمنهج الوصفي والذي يهدف الى : "وصف ظواهر وأحداث أو أشياء معينة وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها"[(٣)].

واستخدم الباحث هذا المنهج في الدراسة من خلال جمع المعلومات والظواهر

---

(١) الربيعة، عبدالعزيز بن عبدالرحمن: البحث العلمي، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢٠هـ، ج١ ص١٧٨.

(٢) عبدالرحمن صالح عبدالله وحلمي محمد: المرشد في كتابة البحوث التربوية، مكتبة المنار، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ، ص٥-٤٣.

(٣) جابر وآخرون، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ص٤٠.

واقتراح خطوات وأساليب تسهم في الوصول إلى ما ينبغي أن يكون عليه في التعامل مع الشيطان.

حدود الدراسة :

نقتصر الدراسة على الآتي:

١- الأساليب التربوية في الإسلام.

٢- الوقاية من عداوة الشيطان.

مصطلحات الدراسة :

١- الأساليب:

يقول الأزهري: " الأسلوب الوجه والطريق والمذهب "[(١)]، ويقول ابن منظور في لسان العرب : " الأسلوب الطريق والوجه والمذهب "[(٢)] ومن هذه المعاني يحصل مراد الباحث بالأساليب وهي :

١- الطرق التي يستعملها الشيطان في تحقيق أهدافه .

٢- والطرق التي يستخدمها الإسلام في حماية الإنسان من أضرار الشيطان.

٢- التربية :

المراد بالتربية يقول النحلاوي : " يكاد يجمع فلاسفة التربية الحديثة على أن التربية هي تحقيق النمو والحياة لدى الناشئ "[(٣)]، ويقول ياجن: " أن وظيفة التربية في الأصل هي بناء الإنسان وتفسير السلوكيات حسب المقتضيات الاجتماعية والدينية

---

(١) الأزهري، محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي: بيروت، تحقيق: الأنباري، ١٩٦٧م، ج٤ ص٢٨٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، الطبعة الأولى، طبعة دار صادر: بيروت. ج١ ص٤٧١.

(٣) النحلاوي، عبدالرحمن: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي: بيروت، ص٤.

والحضارية"[1].

ومراد الباحث بالأساليب التربوية في الإسلام هي : "الطرق المنبثقة من القرآن والسنة النبوية، والتي تهدف إلى بناء وتوجيه ورعاية جوانب مكونات الإنسان، وحماية مجالات بنائه في كل موضوع بحسبه".

٣- الوقـاية :

قال ابن منظور في لسان العرب :"وقاه: صانه ووقاه حماه منه. وفي التنزيل : ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ [سورة الإنسان، آية: ١١][2].

وقال الجوهري في الصحاح: "وقاه الله وقاية: أي حفظه"[3].

وقال المناوي: "الوقاية : حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره"[4]، ومن مجموع ما سبق يتضح للباحث أن الوقاية تأتي بمعنى الحماية والحفظ والصيانة والاجتذاب والدفع وأحسن المناوي بقوله: "هي حفظ الشيء عما يؤذيه"، كما أجاد الكفوي بقوله: "هي فرط الصيانة ، وشدة الاحتراس من المكروه".

ويحصل مقصود الباحث بهذا، فمراده بالأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان أي: "الطرق التي يستخدمها الإسلام لحماية وحفظ الإنسان من شر الشيطان".

---

(١) يالجن، مقداد: التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب: الرياض، ١٤١٨هـ، ص٥.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (مرجع سابق)، ج ١٥ ص٤٠١.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ١٤٠٤هـ، ج٦ ص٢٥٢٧.

(٤) المناوي، محمد عبدالرؤوف: التعاريف، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد رضوان الدايه، ص ٧٣٠.

٤- العـداوة :

قال الجوهري في الصحاح: " العدوضد الولي، والجمع الأعداء " [(١)] وقد عرّف علماء النفس العدوان والعداوة والتعدي بقولهم: " والعدوان يستخدم للدلالـة علـى استجابة يرد بها المرء على الخيبة والإحبـاط والحرمـان وذلـك بـأن يهـاجم مصـدر الخيبة أو بديلاً عنه " [(٢)].

كما تحدث عنه علماء النفس بقولهم: " ويكون العدوان غالبـاً نتيجـة لإحبـاطٍ شديد يصيب دوافع الفرد أو لتوقع هذا الإحباط والعدوان لا يعتبر دافعـاً فطريـاً في نفس الإنسان " [(٣)].

ومن مجموع هذه التعاريف، ومما جاء في كتب علم النفس، وما جاء أيضـاً في معاني العداء في القرآن والسنة يخرج الباحث بمراده من هذه العداوة : " وهي ما عزم عليه إبليس من قصد الإضـرار والانتقـام مـن آدم وذريتـه وبغضـهم مـع التجـاوز والتعدي والظلم، وذلك نتيجة للحرمان والخيبة والإحباط التي مني بها إبليس نتيجة عدم إمتثاله أمر الله تعالى ولعنه وطرده وإبعاده من رحمة الله " .

٥- الأثر :.

قال الجرجاني: " والأثر بمعنى النتيجة؛ وهو الحاصل من الشيء " [(٤)].

المقصود بالأثر هنا: " النتيجة السلبية التي يتركها الشيطان علـى مجـالات بنـاء

---

(١) الجوهري، إسـماعيل بـن حمـاد: الصـحاح، (مرجـع سـابق)، ج٦ ص٢٤١٩-٤١٢١.

(٢) رزق، أسعد: موسوعة علم الـنفس، طبعـة المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ص ١٧٩.

(٣) راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس، دار القلم، بيـروت، لبنـان، ص٥٥١.

(٤) الجزري، المبارك بن محمـد أبـو السـعادات: النهايـة فـي غريـب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩م، تحقيـق: طـاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. ج٢ ص٤٧٥.

الإنسان، وفي جوانب مكوناته المختلفة، وعلى الأسرة والمجتمع".

٦- الشيطان :

قال الفيروز آبادي في البصائر: "والأصح أنه من شطن أي تباعد، ومنه بئر شطون"[(١)].

وما عليه أكثر علماء اللغة والتفسير أن الشيطان مأخوذ من شطن أي بعد وهذا أقرب من حيث اللغة ، كما أوضحه ابن عطية ومن حيث المعنى فإن البعد عن الخير والبعد عن رحمة الله يوافق حال الشيطان. والله أعلم

وفي بيان المراد بالشيطان في الاصطلاح قال الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين : "الشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك - يعني ضد شأن الملك - وهو الوعد بالشر، والأمر بالفحشاء، والتخويف عند الهم بالخير بالفقر، فالوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان مقابل الملك، والتوفيق في مقابلة الخذلان"[(٢)].

وجاء في دائرة القرن العشرين : "إبليس علم لأصل الشياطين، والشياطين خلقهم الله من طبيعة النار، جردهم عن الجثمان، متعهم بإمكان التشكل، وإبليس هذا أصلهم الأول، وهو وذراريه مطبوعون بفطرتهم على الوسوسة والإغراء، فهم بهذا الوصف عاملون من عمال التفريق والخراب"[(٣)].

الدراسات السابقة :

---

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، الطبعة الثانية،١٤٠٦هـ، تحقيق: محمد علي النجار، ج٣ ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد: إحياء علوم الدين، طبعة عالم الكتب، بيروت. ج٨ ص٤٧.

(٣) وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، طبعة دار الفكر، بيروت. مادة بلس ج٢ ص٣٣٢، ومادة جن ج٣ ص١٨٥، ومادة شيطن ج٥ ص٣٨٨.

١- دراسة بعنوان: (**عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية**) من إعداد د. عبد المنعم بن حواس بن محمد الحواس وهي رسالة دكتوراه مطبوعة عام ١٤٢٥ هـ - الطبعة الأولى - دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - تتكون الدراسة من التمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

لم يذكر الباحث الهدف من الدراسة ، ولم يحدد المنهج العلمي الذي انتهجه في الدراسة ، وإنما اكتفى بذكر وصف الآلية التي سار عليها في البحث حيث قال:

"١- اعتمدت في دراسة موضوعات الرسالة ومباحثها على آيات القرآن الكريم.

٢- اعتنيت بذكر الأدلة من الكتاب والسنة الشريفة وأقوال العلماء على المسألة التي أسوقها مع تمحيصها وبيان القول الراجح مقروناً بأدلته وأسباب ترجيحه.

٣- حرصت في بيان معاني الآيات وتفسيرها على إتباع منهج التفسير بالمأثور .

٤- اعتمدت في نقل أقوال المفسرين من الصحابة ومن بعدهم من أمهات كتب التفسير وأصولها المعتمدة عند أهل العلم.

٥- ذكرت في كل مسألة الأقوال التي رويت فيها مع عزوها إلى قائليها وأدلة كل قول ثم أعقب ببيان القول الراجح معتمداً فيما أرجحه على ما أيده الدليل الصحيح " إلى آخر ما قال، كما أن الباحث لم يذكر أهم النتائج التي توصل إليها.

تتفق الدراسة مع الدراسة التي بصددها الباحث، في كونها تعنى بإبراز وتقرير عداوة الشيطان للإنسان، وإظهار حجم هذه العداوة.

كما تتميز الدراسة بجودة المعلومات المبثوثة في ثناياها، ورجوعها إلى أصول أهل السنة والجماعة، وبخاصة في هذا الموضوع، وركزت الدراسة على استعراض

أقوال العلماء في كثير من المباحث النظرية، وخلافهم في ذلك مثل أصل الشيطان وشبهة إبليس، والفرق بين معصية إبليس وآدم.

وكثيراً ما يستعرض الباحث المسائل الخلافية ويرجح ما يراه فيها، وتختلف الدراسة التي بصددها الباحث عن هذه الدراسة، كونها لم تتطرق لمثل هذه المسائل والخلاف فيها والترجيح.

كما تركز الدراسة التي بصددها الباحث على أساليب الشيطان في الإضلال، حيث فصل فيها الباحث، أما صاحب هذه الدراسة فإنه لم يذكر سوى أربعة فقط من الأساليب.

كما أن هذه الدراسة لم تذكر أثر العداوة على الفرد والأسرة والمجتمع، والدراسة التي بصددها الباحث عنيت بذلك.

كما ذكر صاحب هذه الدراسة خمسة من أساليب الوقاية، بينما ذكر الباحث في دراسته أكثر من خمسة وعشرين أسلوباً محدداً عدا الأساليب العامة.

والفرق الأكبر بين الرسالتين أن هذه الدراسة تركز على مسائل نظرية شرعية، أما الدراسة التي بصددها الباحث فتعنى بالجوانب التربوية التطبيقية.

٢- دراسة بعنوان: **(عبدة الشيطان في العصر الحاضر وموقف الإسلام منهم)** إعداد: جهاد ابن موسى بن علي الزهراني، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، لعام ١٤٢٨هـ، تتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

لم يذكر الباحث الهدف من الدراسة، كما أن الباحث لم يذكر المنهج العلمي الذي أتبعه في الدراسة، وإنما تحدث عن مراحل إعداد الدراسة ، وأبرز الصعوبات التي واجهته أثناء الدراسة، حيث قال:

" أولاً: صعوبة الحصول على المراجع الأساسية لعبدة الشيطان.

ثانياً: صعوبة الترجمة وغلاؤها " إلى آخر ما قال الباحث.

وجه التقارب بين الرسالتين، الكتابة حول الشيطان إلا أن هذه الرسالة تعنى بالحديث عن من يعبد الشيطان ويقدسه ويدافع عنه ويرى فيه شيئاً من صفات الربوبية والألوهية، ويتقرب إليه بأنواع العبادات، كما جعل اهتمامه على المعاصرين منهم مبيناً حكم الإسلام فيهم وفي عقائدهم.

واتفقت مع الباحث في كتابة أحد العناصر في بحثي وهو أثر الشيطان على عقيدة الإنسان، في جانب عبادة ذات الشيطان ضمن مبحث أثر الشيطان على مجالات بناء للإنسان، أفادت هذه الدراسة في كشف حقيقة عباد الشيطان في العصر الحاضر، وموقف الإسلام منهم .

والدراسة التي بصددها الباحث تختلف من حيث الهدف والمضمون، كما هو واضح في موضوعاتها.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :"

١- ظهور تقديس الشيطان عند بعض الأشخاص في القديم والحديث .

٢- أقيمت أول كنيسة للشيطان على مر التاريخ - فيما أعلم - في هذا العصر على يد (لافي) في سان فرانسيسكو بأمريكا وذلك في عام ١٩٦٦م .

٣- ومن عقائدهم الكفر بجميع الأديان، وإنكار جميع الشعائر السماوية واعتبار الأنبياء الصادقين مزورين للحقائق ودجالين كذابين " إلى آخر ما قال.

الفصل الثاني

واحتوى على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أسباب عداوة الشيطان للإنسان.

المبحث الثاني : الهدف من عداوة الشيطان للإنسان.

المبحث الثالث : الحكمة من عداوة الشيطان للإنسان.

تمهيد

لقد تبين لنا في الفصل الأول أن الشيطان هو العدو الرئيس للإنسان، وأن المعركة الرئيسة في حياة البشرية والتي لا تتوقف ولا تتخلف في كل زمان ومكان هي معركة الإنسان مع الشيطان.

سيتحدث الباحث في هذا الفصل عن أسباب عداوة الشيطان للإنسان، وهدف الشيطان من هذه العداوة، والحكمة التي من أجلها سلط الله تعالى الشيطان على الإنسان.

ويحتوي هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب عداوة الشيطان، وبيان الأسباب الرئيسة التي دفعت الشيطان نحو هذه العداوة الضارية، وذلك باستعراض النصوص الشرعية من صريح الكتاب وصحيح السنة.

المبحث الثاني: يتحدث فيه الباحث عن الهدف من عداوة الشيطان للإنسان، وبيان الأهداف الرئيسة التي يسعى إليها الشيطان ويجلب عليها بخيله ورجله، مع تعدد أساليبه وتنوع طرقه، وقد توصل الباحث بفضل الله ومنته إلى هدفين رئيسين يتفرع عنهما سائر الأهداف، مستنداً في ذلك إلى دلالات الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: تحدث فيه الباحث عن الحكمة من عداوة الشيطان للإنسان، وبذل جهده في التعرف على الحكمة من خلقه، وتسليطه بالعداوة على الإنسان.

واستعين بالله تعالى على عرض هذه المباحث، مستلهماً منه التوفيق والسداد والرشاد.

المبحث الأول: أسباب عداوة الشيطان للإنسان:

لا شك أن العداوة القائمة بين الشيطان والإنسان لها أسبابها وخلفياتها التي تحتم على الباحث في هذا الموضوع أن يجليها، لما لها من أهمية كبيرة في إدراك جوانب هذه المعركة وكيفية التعامل مع أبطالها وقادتها. وأول هذه الأسباب:

١- الكبر:

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام حين أمره، فقال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾[سورة الإسراء، آية: ٦١]، إذ أن هذا الامتناع من الشيطان لم يكن امتناعاً عفوياً، ولا عن حسن مقصد وغاية ، إنما كان نتيجة الكبر الذي في نفسه.

فعندما رأى أن أصل خلقه وتكوينه أفضل من أصل خلق أدم وتكوينه، إذ هو خلق من نار وآدم خلق من طين، فهو- في زعمه - أعلى مرتبة وأرفع منزلة منه، حينئذ أعلن رفضه بقوله: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾، كيف يسجد الفاضل للمفضول؟! وهنا بلغ الكبر من عدو الله مبلغاً عظيماً.

وهذه الحقيقة يخبرنا بها تعالى في قوله : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[سورة البقرة، آية: ٣٤]، يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية: "﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ امتنع عما أمر به، استكباراً من أن يتخذه صلة في عبادة ربه، أو يعظمه ويتلقاه بالتحية، أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه. والإباء : امتناع باختيار . والتكبر : أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره . والاستكبار طلب ذلك بالتشبع "[(١)].

---

(١) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار الفكر، لبنان: بيروت. ج١ ص٦٩.

ويقول السعدي في تفسيره: (﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ امتنع عن السجود؛ واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾[سورة الإسراء، آية: ٦١]. وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه؛ فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره)[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾[سورة الحجر، آية: ٢٨-٣٣].

يقول القطان في تفسير هذه الآية: "﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ فسجدوا جميعاً خاضعين لأمرِ الله ، إلا إبليس رفض أن يسجُد واستكبر أن يكونَ مع الملائكة الآخرين"[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[سورة الإسراء، آية: ٦١-٦٢].

قال القرطبي في بيان استكبار إبليس: " فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم، فكان ترك السجود لآدم تسفيها لأمر الله وحكمته، وكان بدء الذنوب الكبر ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة، ثم الحسد، إذ حسد ابن آدم

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبعة دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ. ج١ ص١٨٥.

(٢) القطان، يحيى بن سعيد: تفسير القطان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ. ج٢ ص٢٩٩.

أخاه"[1].

من هذا يتضح خطورة الكبر، وأنه السبب الذي قاد إبليس إلى هـذه المعركـة وإعلانه العداوة.

وقد اختلف السلف في سبب استكبار إبليس على ربه تعـالى، فمـن الأقـوال المروية في ذلك: ما روي عن ابن عباس ﷺ قال: " أنه - أي إبليس - كان على ملك السماء وسائسها، وسائس ما بين السماء والأرض، وخـازن الجنـة، مـع اجتهـاده في العبادة ، فأعجب بنفسه، ورأى أن له بذلك فضلاً، فاسـتكبر علـى ربـه حـين أمـره بالسجود لآدم عليه السلام "، روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان- أي إبليس - من أشد الملائكة اجتهاداً، وأكثرهم علمـاً، فـذلك الـذي دعاه إلى الكبر)[2]. وقال الطبري: (عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قـال: (لمـا فرغ الله من خلق ما أحب استوي على العرش، فجعـل إبلـيس علـى ملـك سمـاء الدنيا،" وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم خازناً، فوقـع في صـدره كـبر، وقـال مـا أعطاني الله هذا إلا لمزية لي، قال ابن جرير: هكـذا قـال موسـى بـن هـارون، وقـد حدثنا به غيره فقال: لميزة لي على الملائكة، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه، اطلع الله على ذلك منه، فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾[سورة البقرة، آيـة:

---

(١) القرطبـي، محمـد بـن أحمـد: الجـامع لأحكـام القـرآن (تفسـير القرطبي)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ج١ ص٢٩٦.

(٢) الطبـري، محمـد بـن جريـر: جـامع البيـان فـي تأويـل آي القـرآن (تفسير الطبـري)، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، الطبعـة الثانيـة، ١٤١٨هـ، ج١ ص٢٢٤، الطبري، محمـد بـن جريـر: تـاريخ الطبـري (تاريخ الرسـل والملـوك)، الطبعـة الثانيـة، دار المعـارف، مصـر، ١٩٧١م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص٥٩.

٣٠][1]. قال الطبري في تفسيره: "قيل أن سبب استكبار إبليس كان من أجل أن الأرض كان فيها قبل آدم عليه السلام الجن، فبعث الله إبليس قاضيا يقضي بينهم، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة حتى سمي حكماً" إلى أن قال: "فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب، عرج إلى السماء، فأقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهداً، لم يعبده شيء من خلقه مثل عبادته، فلم يزل مجتهدا في العبادة حتى خلق الله آدم، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان"[2].

إن ما ورد من أقوال في سبب استكبار إبليس هي في إيضاح أمر غيبي لا يعلم إلا بدليل يعول عليه من النصوص الصحيحة الصريحة وهي أقوال كما نرى لا تقوم على شيء من ذلك بل ربما هي من الإسرائيليات، قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر تلك الأقوال: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال كما قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [سورة الكهف، آية: ٥٠] فجاز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن، وجائز أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده في عبادة ربه، وكثرة علمه، وما كان أوتي من ملك السماء الدنيا والأرض وخزن الجنان، وجائز أن يكون لغير ذلك، ولا يدرك هذا إلا بخبر تقوم به الحجة، ولا خبر في ذلك عندنا، والاختلاف في أمره على ما حكيناه ورويناه)[3].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، (مرجع سابق) ج١ ص٢٠٣، الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، (مرجع سابق) ج١ ص٥٩، السيوطي، جلال الدين بن عبدالرحمن: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ ج١ ص٩٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١ ص٦٠-٦١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري (مرجع سابق) ج١ ص٦٠.

فلعل كبره كان مبنياً على شبة عنده وهي أنه يرى أن أصل خلقه وتكوينه أفضل من أصل خلق آدم وتكوينه، إذ هو خلق من نار وآدم خلق من طين، فهو - في زعمه - أعلى مرتبه وأرفع منزله من آدم، فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ وقد اعترف إبليس بهذه العلة التي كانت سبباً في كبره وامتناعه عن السجود، حيث سأله الله جل وعلا - وهو أعلم- عن سبب امتناعه عن السجود في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[سورة الأعراف، آية: ١٢]. وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر، آية: ٣٢-٣٣]. وفي آية أخرى يقول جل وعلا: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[سورة ص، آية: ٧٥ - ٧٦].

فمن خلال هذه الآيات التي يحكي لنا الله جل وعلا فيها عن إ قرار إبليس عما في نفسه من الشبهة التي كانت سبباً في امتناعه عن السجود لآدم، يمكن أن نتعرف على منبع كبره ومصدره، وهو تلك الشبهة التي اعترف بها، فحينئذ يمكن القول: أن امتناع إبليس عن السجود لآدم عليه السلام هو إباء على وجه الاستكبار، سببه تلك المقارنة بين أصل الخلقين، والتي كانت سبب بواره وخسرانه.

قال أبو حامد الغزالي: " وإنما ضرب إبليس مثلاً لهذا وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به فإنه قال: أنا خير منه، وهذا الكبر بالنسب لأنه قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى، فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد "[١].

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج٣ ص٢٩٩.

" فالكبر هو الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه اكبر من غيره "[1].

يقول الألوسي: " وأصل الاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق، لا بمعنى تحصيله، مع اعتقاد عدم حصوله، بمعنى عد نفسه كبيراً واعتقاده ذلك "[2].

ومما سبق يتضح جلياً أن الكبر الذي قام في نفس إبليس أياً كان سببه هو السبب الأهم في عدم استجابته لله تعالى وامتثاله لأمره، وإعلانه عداوته، ومناوأته لأدم وذريته.

٢ - الحسد والحقد:

لقد خلق الله إبليس قبل أن يخلق آدم، وعند ما خلق الله آدم بيديه وقبل أن ينفخ فيه الروح، كان إبليس يطوف بآدم ويقول: " لأمر عظيم خلق هذا "، ويقول أيضا: " لئن سلطت عليه لأضلنه، ولئن سلط علي لأعصينه ".

وعندما نفخ الله عز وجل فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه جنته، اشتعلت نار الحسد في قلب إبليس أيما اشتعال.

يقول ابن القيم: (لما رأى ربه سبحانه قد خص آدم عليه السلام بأنواع الكرامة حيث خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وميزه بذلك عن الملائكة واسكنه جنته، فعند ذلك بلغ الحسد من عدو الله كل مبلغ، وكان عدو الله يطيف به وهو صلصال كالفخار، فيتعجب منه ويقول: " لأمر عظيم قد خلق هذا "، و " لئن سلط علي لأعصينه ولئن سلطت عليه لأهلكنه "، فلما تم خلق آدم عليه السلام في أحسن تقويم، وأكمل صورة وأجملها، وكملت

---

(١) الأصفهاني، الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن، طبعة دار الفكر، بيروت. ص٤٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣٨.

محاسنه الباطنة بالعلم والحلم والوقار، وتولى ربه سبحانه وتعالى خلقه بيده، فجاء في أحسن خلق وأتم صورة، طوله في السماء ستون ذراعاً، قد أُلبس رداء الجمال والحسن والمهابة والبهاء، فرأت الملائكة منظراً لم يشاهدوا أحسن منه ولا أجمل، فوقعوا كلهم سجوداً له، بأمر ربهم تبارك وتعالى، فشق الحسود قميصه من دبر، واشتعلت في قلبه نيران الحسد المتين) [1].

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٥].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية[2]: "يذكر تعالى أنه أباح لآدم عليه السلام، ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة. وقد تقدم الكلام على ذلك في "سورة البقرة"، فعند ذلك حسدهما الشيطان، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة ليُسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن، وقال كذباً وافتراء: "ما نهاكما ربكما عن أكل الشجرة إلا لتكونا ملكين" أي: لئلا تكونا ملكين، أو خالدين هاهنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما".

ونلاحظ من خلال استعراض قصة آدم مع إبليس في القرآن، كيف أن الحسد والحقد كانا سببين في إعلان إبليس العداوة لآدم وذريته، وتوعدهم بالإغواء والإضلال.

والحقد هو: (إرادة الامتياز على غيره، ولو بغير حق ومع إرادة هذا الامتياز والتفوق على الغير من كل وجه، يأتي الشعور الأعمى بالاستعلاء الذاتي، فهو يرى

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الطبعة الثانية، مراجعة: محمد الفاضلي، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ. ج٢ ص١٦١.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، طبعة دار الفكر: بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ، ج٣ ص٣٩٧.

أن من حقه على المجتمع أن يمنحه هذا التفوق والامتياز على الغير، ويجب أن يعترف له بذلك، فإذا لم يحصل على تلك الرغبة الجوفاء، فانه يحقد على المجتمع ويبغض من فيه) [1].

من فضل الله تعالى على آدم أن ميزه وفضله، فقد خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، واسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، فهذا التكريم وذلك التخصيص لآدم دون سائر خلقه، كان سبباً في إثارة نار الحقد والحسد في نفس عدو الله إبليس على آدم وذريته من بعده، فأعلن عداوته لهذا المخلوق، وقطع على نفسه عهداً أن يهين هذا الإنسان، وينزل من مكانته، ويحط من قدره قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٦٢].

يقول ابن كثير في تفسيره [2]: "والمعنى: أنه يقول: أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته عليّ، لئن أنظرتني لأضلن ذرّيته إلا قليلا منهم". ويقول الزمخشري [3]: " المعنى: أخبرني عن هذا (الذى كَرَّمْتَه عَلَىَّ) أي فضلته، لم كرمته عليّ وأنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك، ثم ابتدأ فقال (لَئِنْ أَخَّرْتَنِى) واللام موطئه للقسم المحذوف (لأحْتَنِكَنَّ ذُرّيَّتَهُ) لأستأصلنهم بالإغواء" . قال أبو حامد: (وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله، أو فوقه

---

(١) **الحواس، عبدالمنعم بن حواس: عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي: الرياض، ١٤٢٥هـ، ص١٨٤.**

(٢) **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق). ج٥ ص٩٣.**

(٣) **الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر: الكشاف، الطبعة الأخيرة، طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٢هـ. ج٣ ص٤٦٢.**

ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه، فأورثه الغضب حقداً ورسخ في قلبه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له، وإن كان عنده مستحقاً للتواضع)[1].

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر، آية: ٣٩].

يقول الزمخشري في الكشاف[2]: "معنى إغوائه إياه: تسببيه لغيه، بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام، فأفضى ذلك إلى غيه. وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك".

ومن هنا يتضح أن الحقد والحسد صفتان متقاربتان متلازمتان في الغالب قامتا في قلب إبليس، فكانت سبباً من أسباب عداوة الشيطان للإنسان.

٣ - إعمال العقل والقياس الفاسد مقابل النص:

إن إعمال إبليس لعقله وإطالة تفكيره وتأمله ونسيانه لأوامر الله تعالى، قاده إلى رفض الأمر وإعلان العداوة لآدم وذريته.

فالله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عليه السلام كان في امتثال أمره وطاعته سعادته وفلاحه وعزه ونجاته، فسولت له نفسه الجاهلة الظالمة أن في سجوده لآدم عليه السلام غضاضة عليه، وهضماً لنفسه، إذ يخضع ويقع ساجداً لمن خلق من طين، وهو مخلوق من نار، والنار أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق من الطين، وخضوع الفاضل لمن هو دونه غضاضة عليه، وهضم لنفسه، إذ يخضع ويقع ساجداً لمن خلق من طين، وهو مخلوق من نار، والنار - بزعمه - أشرف من

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج٣ ص٣٠٥.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر: الكشاف (مرجع سابق) ج٣ ص٣١١.

الطين.

قَــالَ تعــالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[سورة الأعراف، آية: ١٢].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " وقول إبليس لعنه الله: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) من العذر الذي هو أكبر مـن الـذنب، كأنـه امتنـع مـن الطاعـة لأنـه لا يـؤمر الفاضـل بالسجود للمفضول، يعني لعنه الله: وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسـجود لـه؟ ثـم بين أنه خير منه، بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه، وهـو الطـين، فنظـر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلـق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسًا فاسـدًا في مقابلـة نـص قولـه تعـالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سـورة ص، آيـة: ٧٢]. فشـذ مـن بـين الملائكة بتَرْك السجود؛ فلهذا أبلس من الرحمة، أي: أيس من الرحمة، فأخطأ قبَّحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح. والنـار مـن شـأنها الإحراق والطيش والسرعة؛ ولهذا خان إبليس عنصره، ونفع آدم عنصره في الرجوع والإنابة والاسـتكانة والانقيـاد والاستسـلام لأمـر الله، والاعـتراف وطلـب التوبـة والمغفرة "[1].

كما يقول سيد قطب: " ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[سورة الأعراف، آية: ١٢]. لقد جعل إبلـيس لـه رأيـاً مـع الـنص، وجعل لنفسه حقاً في أن يحكم نفسه وفق ما يرى هـو مـن سـبب وعلـة مـع وجـود الأمر؛ وحين يوجد النص القـاطع والأمـر الجـازم ينقطـع النظـر، ويبطـل التفكـر؛

---

(١) **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج٣ ص٣٩٢.**

وتتعين الطاعة، ويتحتم التنفيذ؛ وهذا إبليس - لعنه الله - لم يكن ينقصه أن يعلم أن الله هو الخالق المالك الرازق المدبر الذي لا يقع في هذا الوجود شيء إلا بإذنه وقدره، ولكنه لم يطع الأمر كما صدر إليه ولم ينفذه، بمنطق من عند نفسه: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ "[1].

عن الحسن في قوله: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ قال: " قاس إبليس، وهو أول من قاس، وعن ابن سيرين قال: أول من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس[2].

وفي الوسيط لسيد طنطاوي: وقوله - سبحانه -: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[سورة الحجر، آية: ٣٢-٣٣].

"بيان لما وبخ الله - تعالى - به إبليس، ولرد إبليس - لعنه الله - على خالقه - عز وجل -

أي: قال الله - تعالى - لإبليس على سبيل التوبيخ والزجر، أي سبب حملك على مخالفة أمري، وجعلك تمتنع عن السجود لمن أمرتك بالسجود له؟

فكان رد إبليس: ما كان يليق بشأني ومنزلتي أن أسجد مع الساجدين لبشر خلقته - أيها الخالق العظيم - من صلصال من حمأ مسنون.

ومقصود إبليس بهذا الرد: إثبات أنه خير من آدم، كما حكى عنه - سبحانه- ذلك في قوله - تعالى- ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ وهذا الرد منه: يدل على عصيانه لأمر ربه، وعدم الرضا بحكمه، وسوء أدبه مع خالقه -

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، الطبعة ١٥، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٨هـ. ج٣ ص١٩٧.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج٣ ص٣٩٣.

سبحانه -"[1].

انظر أيها المربي والمتربي كيف وصل الحال بإبليس، أنه متأكد جداً من أنه أفضل من آدم، هذا ما أدى إليه تفكيره، فالقضية والأفضلية عنده متحققة، ومن هنا وقع الخلل.

قال الألوسي: وقد أخطأ اللعين حيث ظن أن الفضل كله باعتبار المادة، وما درى أنه يكون باعتبار الفاعل، وباعتبار الصورة، وباعتبار الغاية، بل إن ملاك الفضل والكمال هو التخلي عن الملكات الردية، والتحلي بالمعارف الربانية.

كما يقول الرازي في تفسيره:" ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ومعناه: أن إبليس قال إنما لم أسجد لآدم، لأني خير منه، ومن كان خيراً من غيره فإنه لا يجوز أمر ذلك الأكمل بالسجود لذلك الأدون؛ ثم بين المقدمة الأولى وهو قوله: (أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ) بأن قال: (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) والنار أفضل من الطين، والمخلوق من الأفضل أفضل، فوجب كون إبليس خيراً من آدم؛ أما بيان أن النار أفضل من الطين، فلأن النار مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها، والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن مجاورة السموات، وأيضاً فالنار قوية التأثير والفعل، والأرض ليس لها إلا القبول والانفعال؛ والفعل أشرف من الانفعال، وأيضاً فالنار مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحياة، وأما الأرضية والبرد واليبس فهما مناسبان الموت؛ والحياة أشرف من الموت، وأيضاً فنضج الثمار متعلق بالحرارة، وأيضاً فسن النمو من النبات لما كان وقت كمال الحرارة كان غاية كمال الحيوان حاصلاً في هذين الوقتين، وأما وقت الشيخوخة، فهو وقت البرد واليبس المناسب للأرضية، لا جرم كان هذا الوقت أردأ أوقات عمر الإنسان، فأما بيان أن المخلوق من الأفضل أفضل فظاهر؛ لأن شرف

---

(١) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، دار المعارف. ج١ ص٢٤٦٩.

الأصول يوجب شرف الفروع؛ وأما بيان أن الأشرف لا يجوز أن يؤمر بخدمة الأدون فلأنه قد تقرر في العقول أن من أمر أبا حنيفة والشافعي وسائر أكابر الفقهاء بخدمة فقيه نازل الدرجة كان ذلك قبيحاً في العقول، فهذا هو تقرير لشبهة إبليس[1].

فنقول: هذه الشبهة مركبة من مقدمات ثلاثة:

أولها: أن النار أفضل من التراب، فهذا قد تكلمنا فيه في سورة البقرة. وأما المقدمة الثانية: وهي أن من كانت مادته أفضل فصورته أفضل، فهذا هو محل النزاع والبحث، لأنه لما كانت الفضيلة عطية من الله ابتداء لم يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة؛ ألا ترى أنه يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، والنور من الظلمة والظلمة من النور؛ وذلك يدل على أن الفضيلة لا تحصل إلا بفضل الله تعالى لا بسبب فضيلة الأصل والجوهر؛ وأيضاً التكليف إنما يتناول الحي بعد انتهائه إلى حد كمال العقل، فالمعتبر بما انتهى إليه لا بما خلق منه، وأيضاً فالفضل إنما يكون بالأعمال وما يتصل بها لا بسبب المادة؛ ألا ترى أن الحبشي المؤمن مفضل على القرشي الكافر ؟ "[2].

ويقول الزمخشري: " خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه، لما رأى أنّ سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب، فإن قلت: كيف يكون قوله: (أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ) جواباً لـ" ما منعك "، وإنما الجواب أن يقول: منعني كذا؟ قلت: قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم، وبعلة فضله عليه، وهو أنّ أصله من نار وأصل آدم من طين، فعلم منه الجواب وزيادة عليه، وهي إنكار للأمر واستبعاد أن

---

(١) قرر الشبهة بأسلوب عقلي ثم رد عليها بنفس الأسلوب مع استصحاب الأدلة الشرعية.

(٢) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين: التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٧ ص٤٩.

يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله، كأنه يقول: من كان على هذه الصفة كان مستبعداً أن يؤمر بما أُمر به "[1].

إن شبهة إبليس قامت على القياس مع وجود النص وهذا باطل وفاسد.

وهكذا يتضح لنا من هذه الآيات كيف كان إعمال إبليس لعقله واستدراكه على ربه من أسباب عدم الاستجابة لأمر الله تعالى وإعلان العداوة لأبي البشر آدم عليه السلام وتوعد ذريته من بعده، فضل إبليس الطريق وأراد أن يأخذ من استطاع معه في طريق الضلال.

يقول الشنقيطي: " قوله: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[سورة الحجر، آية: ٣٣] مثل قياس إبليس نفسه على عنصره، الذي هو النار، وقياسه آدم على عنصره، الذي هو الطين، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم؛ ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى:﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾، يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار.

وإليه الإشارة يقول صاحب مراقي السعود:

والخلف للنص أو إجماع دعا   فساد الاعتبار كل من وعى

فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسَلَفُه في ذلك إبليس، وقياس إبليس هذا لعنه الله باطل من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه فاسد الاعتبار؛ لمخالفة النص الصريح كما تقدم قريباً.

الثاني: أنا لا نسلم أن النار خير من الطين، بل الطين خير من النار؛ لأن طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق، وطبيعته الرزانة والإصلاح فتودعه الحبة فيعطيكها سنبلة والنواة فيعطيكها نخلة.

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر: الكشاف (مرجع سابق)، ج٢ ص٢٠٩.

وإذا أردت أن تعرف قدر الطين، فانظر إلى الرياض الناضرة، وما فيها من الثمار اللذيذة، والأزهار الجميلة، والروائح الطيبة، تعلم أن الطين خير من النار.

الثالث: أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً أن النار خير من الطين، فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم، لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع، بل قد يكون الأصل رفيعاً والفرع وضيعاً، كما قال الشاعر:

إذ افتخرت بآباء لهم شرف قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا[1]

وهكذا يتضح لنا من خلال الآيات القرآنية وكلام المفسرين حولها أن إبليس أعمل عقله، وحكم فكره، فقاس قياساً مع وجود النص الصريح والأمر الواضح بالسجود، فكان هذا الإعمال للعقل سبباً في عدم امتثال الأمر، وبالتالي سبباً في إعلان العداء لآدم وذريته من بعده.

---

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبعة عالم الكتب، بيروت، ج١ ص٣٤.

المبحث الثاني: الهدف من عداوة الشيطان للإنسان:

إن المتأمل والدارس لحال الشيطان ليجد أنه يسير وفق خطه استراتيجيه محكمه انتظمت وبحق عناصر ومكونات وأركان التخطيط الجيد، ومن هذه العناصر تحديد الأهداف ووضوحها.

فهناك هدفان رئيسان يسعى الشيطان لتحقيقهما تندرج تحتهما كافة الأهداف الفرعية الأخرى.

وإليك أخي المربي والمتربي هذين الهدفين لتكون على علم وبصيرة بأهداف عدوك، لأن هذه المعرفة للأهداف تفيدك في وضع خطتك في بناء وتربية نفسك وطلابك وأهلك ومجتمعك من جهة، ومن جهة أخرى معرفة أهداف عدوك يجعلك يقظا ومتحفزاً وحذراً من الوقوع في شراكه وأساليبه الماكرة المؤدية إلى تلك الأهداف.

فإذا كان هدف الإسلام إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، فان هدف الشيطان معاكس تماما لهدف الإسلام، فهدفه إتعاس الإنسان وشقاؤه في الدنيا والآخرة، وعليه فإن:

الهدف الأول: إضلال الإنسان وإغوائه في الدنيا:

أن الذي يسعى الشيطان لتحقيقه في هذه الحياة الدنيا، إضلال الإنسان وإغوائه على أي مستوى من مستويات الضلال والغواية، ويكون ذلك بترك الاستقامة على الصراط، وأتباع السبل المختلفة والمتنوعة والمتدرجة، فيزل الإنسان، وتحصل الفتنه بالشيطان، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[سورة النساء، آية:٦٠].

" قال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ﴾ عَنِ الهدى وَعَن الحق ﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾"[1].

" ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ عن الحق"[2].

"وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ معطوف على قوله: ﴿يُرِيدُونَ ﴾ وداخل في حكم التعجيب، لأن إتباعهم لمن يريد إضلالهم، وإعراضهم عمن يريد هدايتهم، أمر يدعو إلى العجب الشديد.

والمراد بالضلال البعيد: الكفر، والبعد عن الحق والهدى

ووصفه بالبعد، للمبالغة في شناعة ضلالهم "[3].

" ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ﴾ عند الهدى ﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾، يعنى طويلاً "[4].

" معنى قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بإرادتهم ذلك التحاكم ﴿أَن يُضِلَّهُمۡ﴾ أي بالتحاكم إليه ﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ بحيث لا يمكنهم معه الرجوع إلى الهدى "[5].

" ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ﴾ عند الهدى وعن الحق ﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ "[6].

---

(١) السمرقندي، نصر بن محمد: بحر العلوم، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمود مطرجي، ج١ ص٣٩٦.

(٢) جلال الدين محمد المحلى، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة. ج٢ ص٥٢.

(٣) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، (مرجع سابق) ج١ ص٩٨١.

(٤) الأزدي، مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ، تحقيق: أحمد فريد. ج١ ص٣٢٦.

(٥) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ. ج٢ ص٢٢٤.

(٦) السمرقندي، نصر بن محمد: بحر العلوم للسمرقندي (مرجع سابق) ج١ ص٣٩٦.

كما يصرح الشيطان بهدفه هذا في موضع آخر فيقول: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[سورة النساء، آية : ١١٩].

" قوله: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ يَعْنِي: عن الحَقِّ، أو عن الهُدَى "[(١)].

" ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ عن الحق "[(٢)].

" ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ عن طريق الحق.

فهو هدف واضح ومحدد وصريح، الإضلال في أي صوره كان، قال تعالى في سورة الحج: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة الحج، آية: ٣-٤] [(٣)].

يقول ابن جرير في هذه الآية: " وتأويل الكلام: قُضى على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ولا يهديهم إلى الحق.

وبما أن هدف الشيطان الإضلال، فيصدق عليه وصفه بأنه مضل واضح بين الإضلال لكل صاحب بصيرة.

وقد وصفه الله تعالى بأنه مضل مبين، وذلك في قصة إضلاله لموسى عليه

---

(١) الحنبلي، ابن عادل: تفسير اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ج٥ ص٣٥٥.

(٢) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد الشيرازي البيضاوي: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ. ج٢ ص٢.

(٣) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان. ج٢ ص١٧٧.

السلام عندما وكز الرجل الذي هو من عدوه انتصاراً للذي من شيعته قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة القصص، آية: ١٥].

"﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ يقول: إن الشيطان عدو لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له عن سبيل الرشاد، بتزيينه له القبيح من الأعمال، وتحسينه ذلك له ﴿مُّبِينٌ﴾ يعني أنه يبين عداوته لهم قديماً، وإضلاله إياهم"[(١)].

قوله تعالى: "﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر العداوة على أن مبين صفة ثانية لعدو، وقيل: ظاهر العداوة والإضلال"[(٢)].

"﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾ عداوته"[(٣)].

"﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ ومع كونه عدواً ينبغي الحذر منه فهو ﴿مُّضِلٌّ﴾ لا يقود إلى خير أصلاً، ومع ذلك فهو ﴿مُّبِينٌ﴾ أي عداوته وإضلاله في غاية البيان، ما في شيء منهما خفاء"[(٤)].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٩ ص٥٤١.
(٢) الألوسي، محمود بن عبدالله الحسيني: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ج١٥ ص٩٣.
(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الرابعة، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ. ج٥ ص٤٣.
(٤) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (مرجع سابق) ج٦ ص١٦٧.

﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ أي ظاهر العداوة

وذكر الله تعالى في سورة الأعراف أن فريقاً ممن أضلهم الشيطان استحقوا الإضلال، بسبب قبولهم ولاية الشيطـان، وإتباعهم إياه قال تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[سورة الأعراف، آية: ٣٠] [١].

" ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾ أكرمهم الله بالمعرفـة والسعـادة وهـم أهـل الـيمين ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ ﴾ وجـب ﴿عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ أهـانهم الله بـالنكرة والشـقاوة وهـم أهـل الشـمال ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ﴾ يقول قد علم الله أنهم يتخـذون ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ أربابـاً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ ﴾ يظن أهل الضلالة ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ بدين الله " [٢].

" وسيكون الناس يوم القيامة فريقين: فريقاً وفَّقه الله؛ لأنه اختار طريـق الحـق فآمن وعمل عملا صالحاً، وفريقاً حُكِمَ عليه بالضلالة؛ لأنه اختار طريق الباطل وهو الكفـر والعصـيان، وهـؤلاء الضـالون قـد اتخـذوا الشـياطين أوليـاء مـن دون الله فاتبعوهم، وهم يظنون أنهم مُوَفَّقون، لاغترارهم بخداع الشياطين " [٣].

" ﴿ فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ ﴾ اللّه، أي: وفقهم للهداية، ويسـر لهـم أسـبابها، وصرف عنهم موانعها ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ أي: وجبت عليهم الضلالة بمـا

---

(١) النسفي، أبي البركات عبدالله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التنزيل، المكتبة الأموية، بيروت. ج٣ ص٣٣.
(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: تنوير المقياس مـن تفسـير ابـن عباس، دار الكتب العلمية، لبنان. ج١ ص١٦٤.
(٣) ابن حميد: أبو محمد محمد عبد: المنتخب مـن مسـند عبـد بـن حميـد، الطبعـة الأولـى، طبعـة عـالم الكتـب، بيـروت، ١٤٠٨هـ. تحقيـق: السـيد صـبحي البـدري السـامرائي، ومحمـود محمـد خليل الصعيدي. ج١ ص٢٤٤.

تسببوا لأنفسهم وعملوا بأسباب الغواية.

فـــــ ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [سورة النساء، آية: ١١٩] فحين انسلخوا من ولاية الرحمن، واستحبوا ولاية الشيطان، حصل لهم النصيب الوافر من الخذلان، ووكلوا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران ﴿ و ﴾ هم ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ لأنهم انقلبت عليهم الحقائق، فظنوا الباطل حقاً والحق باطلاً، وفي هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتنكره العقول، وأنه لا يأمر إلا بالعدل والإخلاص، وفيه دليل على أن الهداية بفضل اللّه ومَنِّه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى- بجهله وظلمه - الشيطانَ، وتسبب لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتدٍ وهو ضالٌّ، أنه لا عذر له، لأنه متمكن من الهدى، وإنما أتاه حسبانه من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى "[(١)].

كما أنه يوم القيامة تستبين الأمور جليه لكل من ضل وتحقق فيه هدف الشيطان وهو الإضلال، فيحاول الضالون تحميل ضلالهم على المضلين، فيحمِّل تعالى الجميع التبعة، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾[سورة الأعراف، آية: ٣٨].

" فقالت لهم الملائكة ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ أي: في جملة أمم ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ أي: مضوا على ما مضيتم عليه من الكفر والاستكبار، فاستحق

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٦.

الجميع الخزي والبوار، كلما دخلت أمة من الأمم العاتية النار ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٢٥]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والآخرين، والقادة والرؤساء، والمقلدين الأتباع.

﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ أي: متأخروهم، المتبعون للرؤساء ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ أي: لرؤسائهم، شاكين إلى اللّه إضلالهم إياهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ أي: عذبهم عذابا مضاعفاً، لأنهم أضلونا، وزينوا لنا الأعمال الخبيثة.

﴿قَالَ﴾ اللّه ﴿لِكُلّٖ﴾ منكم ﴿ضِعۡفٞ﴾ ونصيب من العذاب "[1].

ويصور القرآن مشهداً عجيباً للتحسر على إتباع طريق الشيطان وتحقق مراده وهدفه في الإنسان، وهو الضلال، فباء بالخسران والخذلان، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [سورة الفرقان، آية: ٢٧-٢٩].

" ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ بشركه وكفره وتكذيبه للرسل ﴿عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ تأسفا وتحسرا وحزنا وأسفا. ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ أي: طريقا بالإيمان به وتصديقه وإتباعه.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ وهو الشيطان الإنسي أو الجني، ﴿خَلِيلٗا﴾ أي: حبيباً مصافياً عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم وأرفقهم بي، وواليت أعدى عدواً لي، الذي لم تفدني ولايته إلا الشقاء والخسارة، والخزي والبوار.

---

(١) المرجع السابق ج١ ص٢٨٨.

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ حيث زين له ما هو عليه من الضلال بخدعه وتسويله ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ يزين له الباطل ويقبح له الحق، ويعده الأماني ثم يتخلى عنه ويتبرأ منه، كما قال لجميع أتباعه حين قضي الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ ﴾ الآية "[1].

فلينظر العبد لنفسه وقت الإمكان، وليتدارك الممكن قبل أن لا يمكن، وليوال من في ولايته سعادته، وليعاد من تنفعه عداوته، وتضره صداقته؛ والله الموفق.

ويبحث الضالون عن الحق يوم القيامة عمن أضلهم من الجن والأنس، ليجعلوهم تحت أقدامهم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾[سورة فصلت، آية: ٢٩].

" ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: الأتباع منهم، بدليل ما بعده، على وجه الحنق، على من أضلهم: ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ أي: الصنفين اللذين، قادانا إلى الضلال والعذاب، من شياطين الجن، وشياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم.

﴿ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ أي: الأذلين المهانين كما أضلونا، وفتنونا، وصاروا سبباً لنزولنا ففي هذا، بيان حنق بعضهم على بعض، وتبرِّي

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٥٨١.

بعضهم من بعض "[1].

نلاحظ من مجموع هذه الآيات، أن الهدف الرئيس والأهم للشيطان هو إضلال الإنسان.

كما نلاحظ كيف يندم الإنسان يوم القيامة ويتحسر على تحقق الضلال فيه، ويندم ولكن حينها لا ينفع الندم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ ﴾[سورة إبراهيم، آية: ٢٢].

" أي: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ الذي هو سبب لكل شر يقع ووقع في العالم، مخاطبا لأهل النار ومتبرئاً منهم ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾ على ألسنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدركتم الفوز العظيم، ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ ﴾ الخير ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ ﴾ أي: لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ أي: من حجة على تأييد قولي، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي ﴾ أي: هذا نهاية ما عندي، أني دعوتكم إلى مرادي وزينته لكم، فاستجبتم لي إتباعاً لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾ فأنتم السبب، وعليكم المدار في موجب العقاب،

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٧٤٨.

﴿مَآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ أي: بمغيثكم من الشدة التي أنتم بها ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ كل له قسط من العذاب.

﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ أي: تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله، فلست شريكاً لله ولا تجب طاعتي، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بطاعة الشيطان ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾خالدين فيه أبدا "[1].

وهذا من لطف الله بعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان، وأخبر بمداخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم.

كما جاء التعبير عن هذا الهدف في القران بصيغ وعبارات أخرى لها مدلولاتها وإيماءاتها وآثارها على النفس البشرية، وهي تشترك مع هذا الهدف في نفس النتيجة، ومنها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[سورة الأعراف، آية: ١٧٥].

نلاحظ في الآية أن الذي يتبع الشيطان يكون من الغاوين، قال السعدي في تفسيره للآية: "يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ [ص ٣٠٩] أي: علمناه كتاب اللّه، فصار العالم الكبير والحبر النحرير.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات اللّه، فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب اللّه وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٢٤.

فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ بعد أن كان من الراشدين المرشدين"[1].

فكل من أعرض عن آيات الله تعالى اتبع طريق الشيطان، وتحقق فيه هدفه وهو الغواية والانحراف عن طريق الله تعالى والضلال المبين.

ونلاحظ أن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة تكون بإتباع الصراط المستقيم، ولذا تجد المسلم يسأل ربه تبارك وتعالى في كل ركعة من صلاته التوفيق لسلوك هذا الصراط قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة، آية: ٦].

فعبادته الحقيقية هي سلوك هذا الصراط قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [سورة مريم، آية: ٣٦].

وقد دعا الله تعالى إلى سلوك الصراط المستقيم فقال: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [سورة يس، آية: ٦١]. ودعوة النبي ﷺ كانت لهذا الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة المؤمنون، آية: ٧٣]. وقال عليه السلام وهو يدعو الناس لعبادة الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [سورة الزخرف، آية: ٦٤].

ونبينا ﷺ جاء ليدل الناس ويهديهم إلى هذا الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سورة الحج، آية: ٢٤]. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الشورى، آية: ٥٢].

ومن نال توفيق الله تبارك وتعالى فقد هدي إلى هذا الصراط المستقيم، ومن

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٢٤.

تمسك بالحق والهدى فهو على صراط مستقيم قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الزخرف، آية: ٤٣]. والذي لا يسير في الحياة على الصراط المستقيم فمثله كمثل الذي يمشي مطأطئاً رأسه لا يرى طريقه في الحياة فمآله إلى خطر عظيم.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الملك، آية: ٢٢]. والله جل وعلا يأخذ بأيدي من يختارهم لهدايته ويوفقهم لسلوك الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الحج، آية: ٥٤].

كما أن منهج الله تعالى الموصل للسعادة في الدارين هو الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٢٦].

وقد ورد ذكر الصراط المستقيم في القرآن الكريم، والدعوة لسلوكه، والتحذير من الانحراف عنه في كثير من المواضع، لأن الانحراف عنه انحراف عن الحق والهدى والاستقامة والقران والإسلام والدين.

لذا حرص الشيطان على القعود على هذا الصراط يعوجه ويحرف عنه من استطاع، قال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٦].

قال السعدي في تفسيرها: "أي: قال إبليس - لما أبلس وأيس من رحمة الله - ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ أي: للخلق ﴿ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: لألزمن الصراط، ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه، وعدم سلوكهم إياه[١].

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٤.

والانحراف عن الصراط المستقيم يعني الوقوع في الضلال والغواية، وهو هدف الشيطان الأول، والذي يتوصل به إلى الهدف الثاني والنهائي وهو دخول النار، وما الهدف الأول بالنسبة إلى الثاني إلا وسيلة وطريق.

وهكذا يسير الإنسان في طريق الشيطان المتعرج والمتدرج في خطوات تتلوها خطوات، قد حذرنا منها تبارك وتعالى بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [سورة النور، آية: ٢١].

ويحصل الزلل من الإنسان كما حصل من الأبوين سابقا قال تعالى: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٥-٣٦].

وهو يستزل العباد ليوقعهم في الخطايا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٥٥].

وهكذا يسعى الشيطان ليفتن الإنسان عن الصراط المستقيم، ويقع في الضلال والغواية.

وقد حذرنا الله تعالى من فتنته ونبهنا لها فقال جل وعلا: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ [سورة الحج، آية: ٥٢-٥٣].

وهكذا يسعى الشيطان في إضلال الإنسان، بل ويأمره بالكفر بالله تعالى حتى إذا ما وقع منه الكفر تبرأ منه ومن كفره قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الحشر، آية: ١٦] .

وفي الختام يكون المشهد الأخير مع تحقق أهداف الشيطان وقضي الأمر وانتهت الحياة: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [سورة إبراهيم، آية: ٢٢].

الهدف الثاني: دخول الإنسان النار في الآخرة:

إن الهدف الثاني والنهائي الذي يسعى إليه الشيطان دخول الإنسان النار والحرمان من الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة فاطر، آية: ٦].

يقول السعدي في تفسيره: "﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ هذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد"[(١)].

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٦٨٤.

كما يقول ابن كثير: "﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتبعه وقلده ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: يضله في الدنيا، ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير"[1].

ويقول الطبري: " ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ قال: كُتب على الشيطان، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله .

﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾، قال: اتبعه.

وقوله: ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ يقول: فإن الشيطان يضله، يعني: يضل من تولاه، والهاء التي في "يضله عائدة على "من" التي في قوله ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ وتأويل الكلام: قُضى على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ولا يهديهم إلى الحق.

وقوله: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يقول: ويَسُوقُ مَنِ اتَّبَعَهُ إلى عذاب جهنم الموقدة، وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصية"[2] .

ويقول النسفي: "﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه أي تبع الشيطان ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ فأن الشيطان ﴿يُضِلُّهُۥ﴾ عن سواء السبيل ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ النار.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة لقمان، آية: ٢١] "[3].

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج٥ ص٣٩٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٨ ص٥٦٦.

(٣) النسفي، أبي البركات عبدالله بن أحمد: تفسير النسفي (مرجع سابق) ج٢ ص٣٤٥.

يقول الرازي في تفسير الآية: " قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ استفهاماً على سبيل التعجب في الإنكار، يعني الشيطان يدعوهم إلى العذاب والله يدعو إلى الثواب، وهم مع هذا يتبعون الشيطان "[1].

وقوله: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يقول: ويَسُوقُ مَنِ اتَّبَعَهُ إلى عذاب جهنم الموقدة "[2].

فهذا هو المقصود الأخير للشيطان والهدف الأكبر لعدو الإنسانية .

ويخلص الباحث من هذا المبحث إلى أن للشيطان هدفين واضحين، دلت عليهما نصوص الكتاب والسنة؛ الأول: وهو الإضلال في الدنيا، والثاني: وهو دخول النار في الآخرة، وما الأول بالنسبة للثاني إلا بمثابة الوسيلة للهدف.

فعلى المربي والمتربي التنَّبه إلى ذلك جيداً، ومراعاته في بناء نفسه، وبناء طلابه وأسرته، ومجتمعه، وأمته.

---

(١) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين: التفسير الكبير (مرجع سابق) ج١٢ ص٢٧٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٨ ص٥٦٦.

المبحث الثالث: الحكمة من عداوة الشيطان للإنسان:

المؤمن الصادق في إيمانه يطمئن قلبه لشرع الله ودينه، وأمره ونهيه، وقضائه وقدره، وليس بالضرورة لديه معرفة الحكمة من كل ما جاء به الله وخاصة فيما يتعلق بالغيبيات، فقد يُخفي الله تعالى على العباد الحكمة من بعض تشريعاته، ليبتلي إيمانهم وتصديقهم بالغيب.

ومع ذلك يُظهر كثيراً من هذه الحِكم نصاً وصراحة، ويجتهد في معرفة بعضها علماء الإسلام، وإن من أعظم الحكم وأجلها وأظهرها في خلق الشيطان وتسليطه على الإنسان وظهور عداوته وضراوة. معركته مع البشرية، الابتلاء والاختبار والامتحان، لتقوم سوق الجنة والنار على ذلك، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٢-٣].

يقول الحواس: " ولقد ابتلى الله تعالى الإنسان في الدنيا بتسليط عدوه عليه، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، فقد جعل الله عز وجل مع كل إنسان شيطاناً ملازماً له، ومقترناً به، ليبقى هذا الإنسان سالكاً درب الجهاد في معركته الدائمة مع عدوه الشيطان "(١).

قال الحمد: " وكل فعل اختيار يتم فانه يصح أن ينسب إلى المخلوق على أنه السبب فيه، وإلى الله على أنه الخالق له ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات، آية: ٩٦].

الزراعة تنسب للفلاح، وتنسب إلى الله، هذا سبب البذر والسقي، وذلك أساس الإيجاد والإنبات، وإذا أفرد الفعل في النسبة إلى المخلوق وحده، أو إلى الله

---

(١) الحواس، عبدالمنعم بن حواس: عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم، (مرجع سابق)، ص٢٥٤.

وحده، فان إبراز ناحية لا يعني انعدام الأخرى، وإذا استصحبت هذه القاعدة معك فهمت على ضوئها آيات كثيرة من غير تشويش، على أن الفعل قد يكون من الله خلقاً، ولا ينسب إليه تأدباً" [1].

وقد ذكر ابن القيم مجموعة من الحكم في ذلك أيضاً، يجدر بي أن أذكرها كما هي، وإن كان النقل فيها طويلاً، إلا أن فيها من البيان والفصاحة والوضوح ما يجعلني أؤثر نقلها لنفاستها وجودتها، لتمام الفائدة وكمالها، علماً أن كل ما يخلقه الله ويوجده ويأمر به وينهى عنه لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه شفاء العليل في بيان الحكمة من خلق الشيطان وعداوته:

١- ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبودية: فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية، بمجاهدة عدو الله وحزبه ومخالفته ومراغمته في الله وإغاظته وإغاظة أوليائه والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده.

٢- خوف العباد من الذنوب: ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنوبهم بعدما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم.

٣- جعله الله عبرة لمن يعتبر: ومنها أن الله جعله عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب وجعل هذا الأب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه وهذا الأب عبرة إن تاب ورجع إلى ربه فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة.

---

(١) الحمد، أحمد: التربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار اشبيليا للنشر والتوزيع: الرياض، ١٤٢٣هـ. ص١٢٠.

٤- جعله فتنة واختباراً لعباده: ومنها انه محك امتحن الله به خلقه، ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض وفيها السهل والحزن والطيب والخبيث فلا بد أن يظهر ما كان في مادتهم، كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعا: " أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على مثل ذلك منهم الطيب والخبيث والسهل والحزن وغير ذلك فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره فلابد إذاً من سبب يظهر ذلك وكان إبليس محكاً يميز به الطيب من الخبيث.

٥- إظهار كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد: ومن هذه الحكم أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه، فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث.

٦- الضد يظهر حسنه الضد: ومن هذه الحكم أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده فان الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى.

٧- والابتلاء به سبيل إلى تحقيق الشكر: ومن هذه الحكم انه سبحانه يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلى بعدوه ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله.

٨- في خلق إبليس قيام سوق العبودية: ومنها أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه، وهذه العبودية

إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله وتقديم محبته على كل ما سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية، وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله.

٩- وترتب على ذلك ظهور آياته وعجائب قدرته: ومن الحكم أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجدوه أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه كظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته، فلم يكن بد من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك.

١٠- الخلق من النار آية: ومن هذه الحكم، أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور فأخرج سبحانه منها هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والأحمر والأسود والأبيض فأخرج منها ذلك كله، حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، آية: ١١].

١١- ظهور متعلقات أسمائه: ومن هذه الحكم، أن من أسمائه الخافض الرافع المعز المذل الحكم العدل المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولابد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

١٢- ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفه: ومن هذه الحكم، أنه سبحانه الملك التام الملك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب

والعقاب والإكـرام والإهانـة والعـدل والفضـل والإعـزاز والإذلال، فلابد من وجود من يتعلق به أحد النوعين، كما أوجد مـن يتعلـق بـه النوع الآخر.

١٣- وجود إبليس من تمام حكمته تعالى: ومن هذه الحكم، أن مـن أسمائـه الحكيم، والحكمة من صفاته سبحانه، وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواه، فاقتضت خلـق المتضـادات وتخصـيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك، فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

١٤- حمده تعالى على منعه وخفضه: ومنها أن حمده سبحانه تـام كامـل مـن جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه وخفضـه ورفعـه وانتقامـه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعه وإكرامه، فله الحمـد التام الكامل على هذا وهذا، وهو يحمد نفسه على ذلك كلـه ويحمـده عليه ملائكته ورسله وأولياؤه، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه فله في خلقه وإيجـاده الحكمـة التامـة كما له عليه الحمد التام، فلا يجوز تعطيل حمده، كمـا لا يجـوز تعطيـل حكمته.

١٥- وبخلقه يُظهر الله لعباده حلمه وصبره: ومنها أنه سبحانه يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره وأناته وسعة رحمته وجوده، فاقتضـى ذلـك خلـق من يشرك به ويضاده في حكمه ويجتهد في مخالفته ويسعى في مساخطة، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات ويرزقه ويعافيه ويمكن له مـن أسباب ما يلتذ به من أصناف النعم ويجيب دعاءه ويكشف عنه السوء ويعامله من بره وإحسانه بضد مـا يعاملـه هـو بـه مـن كفـره وشـركه

وإساءته، فلله كم في ذلك من حكمة وحمد "[1].

هذه مجموعة من الحكم العظيمة الجليلة في خلق الشيطان وتسليطه بالعداوة على الإنسان، تزيد المسلم ثقة بدينه، وقرباً من ربه ومولاه، طمعاً في رحمته ومغفرته وجنته.

الخاتمة:

من خلال ما سبق في هذا الفصل، يتضح لنا الأسباب الحقيقية التي كانت وراء عدم استجابة إبليس لربه، وامتثال أمره، وإعلان عدواته لآدم وذريته، وهذه الأسباب كانت سبب شقاء إبليس ولعنه وطرده من رحمة الله وخلوده في نار جهنم، وكان السبب الأول: الكبر الذي قام في نفسه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٤].

وأما السبب الثاني الدافع لهذه العداوة: فهو الحسد والحقد، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٦٢].

والسبب الثالث الدافع لعداوته لآدم وذريته: إعماله لعقله مع ورود الأمر الصريح بالسجود واعتقاده بأفضليته على آدم، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٢].

وهذه الأسباب الثلاثة من أخطر الأسباب المؤدية إلى الهلاك، وقد أهلكت إبليس، وهي من أردى الصفات وأحطها، وهي متعلقة بالعقل والقلب، كما تمثل هذه الصفات أبرز خطوات الشيطان التي حذرنا الله تعالى منها في غير موضع من

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتأويل، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٧هـ. ص٣٢٢.

كتابـه حيـث قـال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٠٨].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦٨].

وخطواته: طرقه وأساليبه، وهذه وإن كانت أسباباً من وجه، إلا أنها من وجه آخر أساليب وطرق، ولا يمتنع هذا عقلاً ولا شرعاً .

وتحدث الباحث في المبحث الثاني عن الهدف من عـداوة الشـيطان، ويتضـح جلياً أن هدف الشيطان هو عكس هدف الإسلام، فهدف الإسلام إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، وهدف الشيطان إتعاس الإنسان وشقاؤه في الدنيا والآخرة، وخلص الباحث إلى أن هناك هدفين رئيسين يسعى الشيطان لتحقيقهما تندرج تحتهمـا سـائر الأهداف: الهدف الأول يتعلق بالآخرة: وهو دخـول الإنسـان النـار والحرمـان مـن الجنـة، قـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[سورة فاطر، آية: ٦].

والهدف الثاني يتعلق بالدنيا: وهو الإضلال، قـال تعـالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾[سورة النساء، آية:٦٠].

وعليه كان لزاماً على المربي والمتربي في أي موقع كان أن يتنبه لهذين الخطـين المتعارضين، والمنهجين المتضادين، فهذه أهداف متضادة، وغايات متنافرة، لكل منهـا أساليبه وطرقه الموصلة لهذه الأهداف والغايات.

وكان الحديث في المبحث الثالث عن الحكمة من خلق الشيطان وتسليطه على الإنسان، حيث تم التماس مجموعة من الحكم العظيمة من كلام علماء أجلاء ومربين

فضلاء من أبرزها: الابتلاء والامتحان والاختبار الذي عن طريقه يظهر الصـادق في إيمان من الكاذب قـال تعـالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سـورة العنكبـوت، آية: ٢-٣].

وبهذا يكون الباحث قـد أنهـى هـذا الفصـل، ويليـه الفصـل الثالـث الـذي يتحدث عن أساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان.

الفصل الثالث

أساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان

واحتوى على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال التي يأتي بها الشيطان للإنسان.

المبحث الثاني: الأساليب العامة.

المبحث الثالث: الأساليب المحددة.

تمهيد:

سبق معنا في الفصل الثاني الحديث عن أسباب عداوة الشيطان، وبيان هدف الشيطان من هذه العداوة، وتلمس الحكمة من هذه العداوة، من خلال ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وكلام أهل العلم في ذلك.

وسبق أن بين الباحث المراد بالأساليب فهي: الطرق، والمراد بأساليب الشيطان: هي الطرق التي يستخدمها الشيطان في تحقيق أهدافه.

وينطلق الباحث في هذا الفصل من أربع آيات في كتاب الله تعالى:

وهي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦٨].

وقوله تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٠٨].

وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٤٣].

وقوله تعالى في سورة النور: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[سورة الأنعام، آية: ٢١].

ومما جاء في معنى خطوات الشيطان: خطاه، وخطاياه، ونزغاته، وأعماله، وتزيينه، وسبيله، ومسلكه، وطرقه، وآثار تزيينه، وغروره، وشبهاته، وطاعته، ووساوسه، والائتمام به، وتتبع آثاره، والمشي في طريقه، والاقتداء به، والاستنان

بسنته، والتفرق، والتفريق، وإشاعة الفاحشة، وتحريم بعض ما رزقنا الله على أنفسنا، ومن خطواته، الحلف بغير الله، والنذور، ومخالفة الأوامر والنواهي، وتحريم الحلال وتحليل الحرام، والميل إلى الشهوات الفانية، وإتباع الهوى، والتدرج، والاتصاف بصفاته، والإباء، والاستكبار، ومنع الإحسان إلى من أساء إليك غضباً وحمية، وسائر المعاصي المتعلقة بالقلب واللسان والبدن، والمحقرات من الذنوب، والصغائر، والكبائر، والكفر، والجهل بالله، والإقامة على النفاق واليهودية، وكل ما خالف القرآن والإسلام هو من خطوات الشيطان التي نهانا الله تعالى عن إتباعها.

والشيطان يكيد للإنسان، ويسعى لإنزال الضرر به في دنياه وآخرته، وذلك لما جبل عليه هذا المخلوق من حبه للشر، وإرادته له، واستمتاعه وتلذذه به، يقول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله -: " وإبليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر ويتلذذون به، ويطلبونه ويحرصون عليه، بمقتضى خبث أنفسهم، وإن كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه "[(١)].

وله أساليب وطرق متنوعة يمارسها للوصول إلى إنزال الضرر بالإنسان، والحديث عن هذه الأساليب يلزم منه البدء في الحديث عن الأحوال التي يأتي بها الشيطان للإنسان.

لذا يتناول الباحث في هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال التي يأتي بها الشيطان للإنسان.

المبحث الثاني: الأساليب العامة التي يستخدمها الشيطان في إضلال الإنسان.

والمبحث الثالث: الأساليب المحددة التي يستخدمها الشيطان في إضلال الإنسان:

---

(١) آل سلمان، أبي عبيدة مشهور بن حسن: فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، الطبعة الأولى، مكتبة التوحيد: المنامة، البحرين، ١٤١٩هـ، تصنيف: شرف الدين أبي العباس أحمد بن الحسن. ج٢ ص٤٩٣.

المبحث الأول: الأحوال التي يأتي بها الشيطان للإنسان:

يصل الشيطان للإنسان من خلال هذه الأساليب وهذه الطرق والتي لا نعلم كيفيتها، إلا أنها تقع على صورة من الصور وهيئة من الهيئات، نؤمن بحقيقتها لأن الخبر الصادق جاء بذلك عنها.

يقول سيد قطب – رحمه الله – عند قوله تعالى: " ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠-٢١]. ووسوسة الشيطان لا ندري نحن كيف تتم؛ لأننا لا ندري كنه الشيطان حتى ندرك كيفيات أفعاله، وكذا اتصاله بالإنسان وكيفية إغوائه. ولكننا نعلم – بالخبر الصادق وهو وحده المصدر المعتمد عندنا عن هذا الغيب – إنه إغواء على الشر يقع في صورة من الصور؛ وإيحاء بارتكاب المحظور يتم في هيئة من الهيئات "[1]. واليك هذه الطرق:

أولاً: الوسوسة:

" (فَوَسْوَسَ) الوسوسة هي: حديث النفس وما يلقيه الشيطان في الصدر، قال الراغب: الوسوسة، الخطرة الرديئة، وقال البغوي: الوسوسة القول الخفي لقصد الإضلال، وهي ما يقع في النفس وعمل الشر وما لا خير فيه "[2].

وقال ابن منظور – رحمه الله – في مادة (وسس): (الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي، وبه سمي صوت الحلي وسواساً، ورجل موسوس بكسر الواو ولا

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٢٠٠.
(٢) المرجع السابق ج٣ ص٣٠١.

يفتح فانه لحن)[1].

والوسواس من جنس الحديث والكلام، ولهذا قال المفسرون في قوله: ﴿مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [سورة ق، آية: ١٦].

قالوا: ما تحدث به نفسه، وقد قال ﷺ: " إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به ".

إن هذا الأسلوب هو الأكثر استخداماً عند الشيطان، وهذه الصفة من صفات الشيطان الملازمة له، كما أنها الأسلوب الأول الذي استخدمه الشيطان مع أبينا آدم عليه السلام، وقد وردت في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠]. وفي هذا الموضع صرح القرآن بأن الشيطان وسوس لآدم وحواء، ولم يبين لنا كيفية الوسوسة.

والموضع الثاني: في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [سورة طه، آية: ١٢٠]. وهنا أشار إلى أنه وسوس لآدم عليه السلام، ولم يوضح كيفية الوسوسة.

والموضع الثالث: في سورة الناس قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ④ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ⑤ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الناس، آية: ١-٦].

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (مرجع سابق) ج٦ ص٢٥٤.

وقد وصف إبليس بالوسوسة حتى صارت علماً عليه.

وهنا أيضاً لم يبين كيفية الوسوسة، ولم يبين لنا القران الكريم والسنة المطهرة كيفية الوسوسة، قال الأشقر: " الشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بطريقه لا ندركها ولا نعرفها، يساعده على ذلك طبيعته التي خلق عليها، وهذا الذي نسميه بالوسوسة "[(١)].

وقال الحواس: " وهي صفة من صفات الشيطان الملازمة له، فهو يصل إلى صدر الإنسان ويوسوس إليه بطريقة لا ندركها "[(٢)].

ومن صور الوسوسة: الخواطر الشركية والكفرية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك؛ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته "[(٣)].

ومن صور ذلك: التلبيس على المصلي في صلاته، قال ﷺ: " إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس "[(٤)].

مما لا شك فيه أن عداوة الشيطان للإنسان عداوة قديمة، فمنذ أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لأبينا آدم عليه السلام أبى إبليس السجود استكباراً، لأنه ظن أنه خير منه، ثم حسده على ما آتاه الله من فضله، ثم أخذ على نفسه ميثاقاً أمام رب العالمين أن يغوينا أجمعين قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

(١) الأشقر، عمر سليمان: عالم الجن والشياطين، مكتبة الفلاح: الكويت، ١٣٩٨هـ. ص ٨٨.

(٢) الحواس، عبدالمنعم بن حواس: عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم، (مرجع سابق) ص ٢٦١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق)، حديث ٣١٠٢، باب صفة إبليس وجنوده، ج٢ ص١١٩٤.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق)، حديث ١١٧٥، باب إذا لم يدر كم صلى ثلاثاً أو أربعاً سجد، ج١ ص٤١٣.

﴿ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [سورة ص، آية: ٨٢-٨٣].

فتوعدنا بالغواية و أراد لنا الإضلال، فقعد لنا على كل طريق، وبكل أسلوب، وكان من أول هذه الأساليب: الوسوسة، فكاد أول ما كاد لأبينا آدم وزوجه، حسداً منه يريد إخراجهما مما كانا فيه من النعيم، فجاء عن طريق الوسوسة وأظهر لهما النصح، وأنه يريد لهما الخير بهذه النصيحة، وقام بعقد الأيمان الكاذبة، قال تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠-٢٢].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " عند ذلك حسدهما الشيطان، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة، ليسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن "(١).

وقال أيضاً: (فحلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما؛ وقد يخدع المؤمن بالله فقال: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما (فدلاهما بغرور)(٢).

يقول ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠]. " أي: إلا كراهة أن تكونا ملكين، وكراهة أن تخلدا في الجنة، ومن ههنا دخل عليهما، لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها، وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فانه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد ودخل عليه من هذا الباب".

---

(١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج٣ ص٣٩٧.
(٢) المرجع السابق ج٣ ص٣٩٨.

فليس هناك بد من هذه الوسوسة، إذ أن الشيطان بمثابة قاطع طريق، كلما أراد العبد السير إلى الله تعالى أراد قطع الطريق عليه، فهو يشحن جنوده ويسعى بخيله ورجله ليوقع المؤمن في الشك والحيرة عن طريق الوسوسة، فهي شغله الشاغل؛ كما أن غير المؤمن لا يوسوس، إذ ما حاجة الشيطان إلى هذا الباب كي يوقعه فيه.

قيل لبعض السلف: إن اليهود والنصارى يقولون: لا نوسوس.

قال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب.

إذ الوسوسة تعرض لكل من توجه بقلبه إلى الله بأي عبادة "[1].

روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: " الوسواس: إذا ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله تعالى ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه "[2].

ثانياً: بالفعل:

ويأتي الشيطان عن طريق بعض الأفعال والممارسات التي لا ندرك حقيقتها ولكن نلمس أثرها، وهي في الحقيقة من علم الغيب الذي استأثر الله به؛ ولا يخفى أن عالم الجن أصلاً من علم الغيب الذي نؤمن به وإن لم نره.

ومن صور ذلك: إيذاؤه للمولود عند الولادة، ففي صحيح البخاري: " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه حين يولد، غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (مرجع سابق) ج١ ص١٠٣.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، طبعة دار الريان للتراث: القاهرة، مصر،١٤٠٧هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب. ج٨ ص٧٤١. حديث ٤٦٩٢.

في الحجاب "[1].

وفي البخاري أيضاً: " ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها "[2].

والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان، استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٣٦].

ومن صور ذلك: أكل الشيطان وشربه مع الإنسان إذا لم يذكر اسم الله، أو أكل أو شرب بشماله، أو دخل بيته ولم يذكر دعاء الدخول، وجامع أهله دون أن يذكر دعاء الجماع.

ففي مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من أكل بشماله أكل معه الشيطان، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان "[3].

وفي المسند أيضاً عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ رأى رجلاً يشرب قائماً فقال له: " قـــه " قال: لم ؟ قال: " أيسرك أن يشرب معك الهر " قال: لا. قال: " فإنه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان "[4].

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق)، باب صفة إبليس وجنوده، حديث ٣١١٢، ج٣ ص١١٩٦.

(٢) المرجع السابق، باب وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك، حديث ٣٢٤٨، ج٣ ص١٢٦٥.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، حديث ٢٤٥٢٣، ج٦ ص٧٧.

(٤) المرجع السابق، حديث ٧٩٩٠، ج٢ ص٣٠١.

فقضي بينهما ولد لم يضره "[1] .

قال الحكيم الترمذي: " المؤمن إذا سمى الله تعالى على كل أمر منع الشيطان من مشاركته في طعامه وشرابه ولباسه وجميع أموره، وإذا ترك التسمية وجد فرصة فشاركه في ذلك حتى إتيانه أهله "[2].

ومن صور ذلك: أن الشيطان يعقد على قافية الإنسان ثلاث عقد إذا هو نام، ولا نعلم كيفية هذا العقد إلا أننا نؤمن بها.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فان توضأ انحلت عقدة، فان صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان "[3].

" قوله ﷺ (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم) يحتمل أن يكون هذا العقد بمعنى السحر للإنسان، والمنع له من القيام إلى الصلاة قال الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ [سورة العلق، آية: ٤]. والقافية: مؤخر الرأس، وقال صاحب العين: " هو القفا وقافية كل شيء آخره، ومنه سميت قافية البيت من الشعر لأنها آخره، ولما قال ﷺ: (إذا هو نام) كان ظاهره أن عقده إنما يكون عند النوم، ومعنى قوله: (يضرب مكان كل عقدة عليه ليل طويل فارقد) إذ ذلك مقصود ذلك العقد

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق)، باب إسباغ الوضوء، حديث ١٤١، ج٦ ص٦٥.

(٢) الترمذي، الحكيم الترمذي: نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، دار الجيل: بيروت، ١٩٩٢م، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ج١ ص٤٩٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق)، باب كيف كان بدء الوحي، حديث ١٠٩١، ج١ ص٣٨٣. المالكي، القاضي أبي الوليد سليمان ابن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الأندلسي: المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ. ج١ ص٤٣٤.

ومراد الشيطان منه يعني بقوله: (عليه ليل طويل فارقد) تسويفه بالقيام، والإلباس عليه، لأن في بقية الليل من الطول ما له فيه فسحة؛ وقوله ﷺ: (فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة) يريد أن يذكر الله تعالى، وبالوضوء، وبالصلاة، تنحل عقد الشيطان كلها، وينجو المسلم من كيده ومن شر عقده، (فيصبح نشيطاً) قد انحلت عنه عقد الشيطان التي تكسله، (طيب النفس) بما عمل في ليله من عمل البر، (وإلا أصبح خبيث النفس) يريد متغيراً قد تمكن منه الشيطان، وثبت عليه عقده، وكسله عن النشاط في أعمال البر "[1].

يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم، قال الباجي: " القافية: مؤخر الرأس وقال صاحب العين: هي القفا، وقيل: هي وسط الرأس وبدأ به بن رشيق (إذا هو نام)، قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون على عمومه، وأن يخص بمن نام قبل صلاة العشاء، وأن يخص منه من قرأ آية الكرسي عند نومه، فقد ثبت أنه يحفظ من الشيطان (ثلاث عقد) الأرجح أنه على حقيقته، وأنه كما يعقد الساحر من يسحره فيأخذ خيطاً يعقد منه عقدة ويتكلم فيه بالسحر فيتأثر المسحور عند ذلك، ولابن ماجة: (جعل فيه ثلاث عقد) (يضرب) أي بيده على العقدة، تأكيداً وإحكاماً لها قائلاً عليك ليل طويل "[2].

" قال المهلب: قد فسر النبي ﷺ، معنى العقد وهو قوله: (عليك ليل طويل فارقد) كأنه يقولها إذا أراد النائم الاستيقاظ إلى حزبه فيعتقد في نفسه أنه بقيت من الليل بقية طويلة حتى يروم بذلك إتلاف ساعات ليله وتفويت حزبه، فإذا ذكر الله انحلت عقدة، أي علم أنه قد مر من الليل طويل وأنه لم يبق منه طويل، فإذا قام وتوضأ استبان له ذلك أيضاً وانحل ما كان عقد في نفسه من الغرور والاستدراج،

---

(١) السيوطي، جلال الدين: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م. ج١ ص١٩٣.
(٢) القرطبي، ابن البكري: شرح ابن بطال على صحيح البخاري، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد: الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ج٥ ص١٤٦.

فإذا صلى واستقبل القبلة انحلت العقدة الثالثة، لأنه لم يصغ إلى قوله، ويئس الشيطان منه؛ والقافية: هي مؤخرة الرأس، وفيه العقل والفهم، فعقده فيه إثباته في فهمه أنه بقى عليه ليل طويل (فيصبح نشيطًا طيب النفس)، لأنه مسرور بما قدم، مستبشر بما وعده الله من الثواب والغفران، وإذا لم يصل (أصبح خبيث النفس)، أي مهمومًا بجواز كيد الشيطان عليه، و (كسلان) بتثبيط الشيطان له عما كان اعتاده من فعل الخير".

ومن آثاره بالفعل الحقيقي الذي لا ندرك كيفيته أنه يبول في أذن النائم إذا لم يستيقظ لصلاة الصبح، فقد ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل: ما زال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال: "بال الشيطان في أذنه"[(١)].

"وَاخْتُلِفَ فِي بَوْل الشَّيْطَان، فَقِيلَ هُو عَلَى حَقِيقَته؛ قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَغَيْره: لا مَانِع مِنْ ذَلِكَ إِذْ لا إِحَالَة فِيهِ، لأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الشَّيْطَان يَأْكُل وَيَشْرَب وَيَنْكِح فَلا مَانِع مِنْ أَنْ يَبُول؛ وَقِيلَ: هُو كِنَايَة عَنْ سَدّ الشَّيْطَان أُذُن الَّذِي يَنَام عَنْ الصَّلاة حَتَّى لا يَسْمَع الذِّكْر؛ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان مَلأَ سَمْعه بِالأَبَاطِيلِ فَحَجَبَ سَمْعه عَنْ الذِّكْر؛ وَقِيلَ: هُو كِنَايَة عَنْ اِزْدِرَاء الشَّيْطَان بِهِ؛ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان اِسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَاسْتَخَفَّ بِهِ حَتَّى اِتَّخَذَهُ كَالْكَنِيفِ الْمُعَدّ لِلْبَوْلِ، إِذْ مِنْ عَادَة الْمُسْتَخِفّ بِالشَّيْءِ أَنْ يَبُول عَلَيْهِ؛ وَقِيلَ: هُو مَثَل مَضْرُوب لِلْغَافِلِ عَنْ الْقِيَام بِثِقَلِ النَّوْم كَمَنْ وَقَعَ الْبَوْل فِي أُذُنه فَثَقَّلَ أُذُنه وَأَفْسَدَ حِسّه، وَالْعَرَب تُكَنِّي عَنْ الْفَسَاد بِالْبَوْلِ، قَالَ الرَّاجِز: بَالَ سُهَيْل فِي الْفَضِيخ فَفَسَد"[(٢)].

"ذَاكَ رَجُل بَالَ الشَّيْطَان فِي أُذُنه أَو قَالَ: فِي أُذُنَيْهِ". اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه، ح ١١٤٤.العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري لابن حجر (مرجع سابق) ج٤ ص١٣٠.

(٢) النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: شرح النووي على مسلم، دار الفكر: ٦٧٦هـ. ج٣ ص١٢٥.

اِبْن قُتَيْبَة: مَعْنَاهُ: أَفْسَدَهُ، يُقَال: بَالَ فِي كَذَا إِذَا أَفْسَدَهُ، وَقَالَ الْمُهَلَّب وَالطَّحَاوِيُّ وَآخَرُونَ: هُو اِسْتِعَارَة وَإِشَارَة إِلَى اِنْقِيَاده لِلشَّيْطَانِ وَتَحَكُّمه فِيهِ وَعَقْده عَلَى قَافِيَة رَأْسه: (عَلَيْك لَيْل طَوِيل) وَإِذْلاله، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ اِسْتَخَفَّ بِهِ وَاحْتَقَرَهُ وَاسْتَعْلَى عَلَيْهِ، يُقَال لِمَنْ اِسْتَخَفَّ بِإِنْسَان وَخَدَعَهُ: بَالَ فِي أُذُنه، وَأَصْل ذَلِكَ فِي دَابَّة تَفْعَل ذَلِكَ بِالْأَسَدِ إِذْلالاً لَهُ، وَقَالَ الْحَرْبِيّ: مَعْنَاهُ ظَهَرَ عَلَيْهِ، وَسَخِرَ مِنْهُ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: وَلا يَبْعُد أَنْ يَكُون عَلَى ظَاهِره قَالَ: وَخَصَّ الْأُذُن؛ لِأَنَّهَا حَاسَّة الِانْتِبَاه "[1].

" بال الشيطان في أذنه قيل معناه: أفسده، يقال: بال في كذا إذا أفسده، وقيل: هواستعارة وإشارة إلى انقياد للشيطان وتحكمه فيه وعقده على قافية رأسه (عليك ليل طويل) وإذلاله، وقيل: معناه استخف به واحتقره واستعلى عليه وسخر منه، قال عياض: ولا يبعد أن يكون على ظاهره، قال: وخص الأذن لأنها حاسة الانتباه "[2].

" حَاشِيَةُ السِّيُوطِيِّ: (بَالَ الشَّيْطَان فِي أُذُنَيْهِ). قِيلَ: هُو عَلَى حَقِيقَته، قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَغَيْره: لا مَانِع مِنْ ذَلِكَ إِذْ لا إِحَالَة فِيهِ لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الشَّيْطَان يَأْكُل وَيَشْرَب وَيَنْكِح فَلا مَانِع مِنْ أَنْ يَبُول، وَقِيلَ: هُو كِنَايَة عَنْ سَدّ الشَّيْطَان أُذُن الَّذِي يَنَام عَنْ الصَّلاة حَتَّى لا يَسْمَع الذِّكْر، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان مَلأَ سَمْعه بِالْأَبَاطِيلِ فَحَجَبَهُ عَنْ الذِّكْر، وَقِيلَ: هُو كِنَايَة عَنْ اِزْدِرَاء الشَّيْطَان لَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان اِسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَاسْتَخَفَّ بِهِ حَتَّى اِتَّخَذَهُ كَالْكَنِيفِ الْمُعَدّ لِلْبَوْلِ إِذْ مِنْ عَادَة الْمُسْتَخِفّ بِالشَّيْءِ أَنْ يَبُول عَلَيْهِ، قَالَ الطِّيبِيُّ: خَصَّ الْأُذُن بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَتْ الْعَيْن أَنْسَب

---

(١) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل : الديباج على صحيح مسلم، دار ابن عفان: الخبر- السعودية، ١٤١٦هـ، المحقق أبو إسحاق الحويني الأثري. ج٢ ص٣٨١.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل: شرح السيوطي لسنن النسائي، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، ١٤٠٦هـ،تحقيق عبدالفتاح أبو غده. ج٣ ص٦٧.

بِالنَّوْمِ إِشَارَة إِلى ثِقَل النَّوْم فَإِنَّ الْمَسَامِع هِيَ مَوَارِد الانْتِبَاه، وَخَصَّ الْبَوْل لأَنَّهُ أَسْهَل مَدْخَلا فِي التَّجَاوِيف وَأَسْرَع نُفُــوذاً فِي الْعُـرُوق فَيُورِث الْكَسَل فِي جَمِيع الأَعْضَاء "[1].

" قيل للنبي ﷺ: إن فلاناً بات الليل ولم يذكر الله، حتى أصبح قال: " ذاك رجل بال الشيطان في أذنه، أو قال: في أذنيه " قال الشيخ – رحمه الله –: يجوز أن يكون معنى (بال الشيطان في أذنه) أي: استخف به، واستحقره، واستولى عليه، فقد قال الله عز وجل في صفة المنافقين: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المجادلة، آية: ٥٨]، أي: استعلى عليهم، وأحاط بهم، فنسوا ذكر الله؛ وقد يقال لمن استخف بإنسان، وأزرى به، واستخف بعقله، فغره وخدعه: بال فلان في أذنه، ويقال ذلك أيضاً: لمن استغفل إنسانا أتاه على غرة؛ ويقال: إن دابة فوق النهر دون الكلب لها أذنان سوداوان يخاف منها الأسد استحذاراً لها، وتناوم خوفاً منها، فتجيء هذه الدابة فتبول في أذنه فيموت الأسد، فكأن من غفل عن الله، وأنسي ذكر الله غلب عليه الشيطان واستضعفه، فقد جاء في الحديث: " إن الشيطان يقول للعبد إذا أراد أن يقوم من الليل، فإن عليك ليلا طويلا "؛ ويجوز أن يكون معنى قوله: (بال الشيطان في أذنيه) أي: أنساه ذكر الله، وأخذ بسمعه عن نداء الملك الذي جاء في الحديث: " إنه إذا كان ثلث الليل الأخير نادى مناد من السماء، هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى سؤاله، هل من مستغفر فيغفر له " فالذاكرون الله، والقائمون لله ذاكرين، وبالأسحار مستغفرين، وله سائلين، وإليه راغبين قياماً قانتين، واستقل القيام كأنه في سمع فهمه وقراً، وفي أذن قلبه صمماً من تزيين

---

(١) الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق إبراهيم بن يعقوب: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ، المحقق محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي. ج١ ص٣٢٤.

الشيطان له، وأخذه عن نداء الملك، يسمعه بوسوسته إليه؛ لأن الوسوسة كلام خفي، وإكثار منه، فكأنه يشغله بحديثه عن سماع نداء الملك بسمعه لوسوسته إليه، وهو اللعين قذر نجس، فأفعاله نجسة، وأعماله رجسة، وقذرة منتنة، فهو إذا شغل سمع عبد عن الداعي بشهوة نفسه وبوسوسته إليه أتى خبيثاً من الأمر ورجسا من الصفة، فكان كأنه بال في أذنه، نسأل الله تعالى العون عليه، والعصمة منه، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله".

ومن صور ذلك: ما فعله ببلال ﷺ قال ابن تيميه: " ولما نام هو ﷺ وأصحابه عن الصلاة في غزوة خيبر قال لأصحابه: " ارتحلوا فان هذا مكان حضرنا فيه شيطان "[(١)]. وقال: " إن الشيطان أتى بلالاً فجعل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام " وكان النبي ﷺ وكل بلالاً أن يوقظهم عند الفجر[(٢)].

والنوم الذي يشغل عما أمر به، والنعاس من الشيطان - وإن كان معفواً عنه - ولهذا قيل: النعاس في مجلس الذكر من الشيطان، وكذلك الاحتلام في المنام من الشيطان، والنائم لا قلم عليه "[(٣)].

ومن صور ذلك: مجيئه في الصلاة وفعله القبيح، فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إذا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَوَجَدَ حَرَكَةً فِي دُبُرِهِ أَحْدَثَ أَولَمْ يُحْدِثْ

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، وابنه محمد، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين. ج٢١ ص١٣.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن: صحيح مسلم، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، رقم ٦٨٠.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية (مرجع سابق) ج١٥ ص١٠٠.

فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ فَلا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَو يَجِدَ رِيحًا "[1].

عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إذا كَانَ فِي الصَّلاةِ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَأَبَسَ بِهِ كَمَا يَأْبِسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ فَإِذَا سَكَنَ لَهُ أَضْرَطَ بَيْنَ أَلْيَتَيْهِ لِيَفْتِنَهُ عَنْ صَلاتِهِ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَويَجِدَ رِيحًا لا يُشَكُّ فِيهِ "[2].

عَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُو فِي صَلاتِهِ فَيَأْخُذُ بِشَعْرَةٍ مِنْ دُبُرِهِ فَيَمُدُّهَا فَيَرَى أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ فَلا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَو يَجِدَ رِيحًا "[3].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الشيطان يمارس أفعالاً يؤثر بها على الإنسان سواءً في بدنه، أو عقله وقلبه، هذه الأفعال على الحقيقة، وإن كنا لا ندرك كيفيتها، لأننا لا نرى الشيطان، ولا نعلم هذه الكيفيات وهي من علم الغيب الذي نصدق به وإن عجزت عقولنا عن تفسيره، ولسنا بحاجة إلى تأويل هذه الألفاظ بحجة عدم إدراك عقولنا لتلك الكيفيات فنحن نؤمن بأمور غيبيه لا ندركها بعقولنا شرعية ومادية؛ ومن الشرعيات: إيماننا بأثر الملائكة، وحتمية القضاء والقدر، ومن الماديات: إيماننا بتأثير الأشعة بأنواعها، والطاقة، والذرة، وسريان التيار الكهربائي، نرى آثارها وإن لم نشاهدها.

---

(١) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، الطبعة الأولى، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، طبعة دار الحديث: بيروت، ١٣٨٨هـ. ج١ ص٢١٩.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد (مرجع سابق) ج١٧ ص٦١.

(٣) المرجع السابق ج٢٤ ص٢٢.

ثالثاً: بالتمثل والتشكل بصور مختلفة " إنسان - حيوان - نبات - جماد ".

ومن الطريق التي يأتي بها الشيطان للإنسان، انه يتمثل في صور بعض المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وجماد.

فهو يأتي على الحقيقة وفي الواقع بصور مختلفة قال شيخ الإســلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- : " والجن يتصورون في صورة الإنس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم "(١).

وقال - رحمه الله -: " وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان ميتاً، وكذلك قد يكون حياً ولا يشعر بالذي ناداه بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه، وإنما هو الشيطان "(٢).

وقال القاضي أبو يعلى الفراء: " الجن أجسام مؤلفة، وأشخاص ممثله، ويجوز أن تكون رقيقة، ويجوز أن تكون كثيفة، خلافاً للمعتزلة في قولهم إنهم أجسام رقيقة ولرقتها لا نراها "(٣).

وقال الحلبي: " ولهم – أي للجن - قدره على التصور والتشكل بأي شكل أرادوه من الإنس أو البهائم أو الطير أو الهوام "(٤).

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية (مرجع سابق) ج١٩ ص٤٤.
(٢) المرجع السابق ج١٩ ص٤٧.
(٣) السيوطي، جلال الدين بن عبدالرحمن: لقط المرجان في أحكام الجان، علق عليه: خالد عبدالفتاح شبل، طبعة مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، مصر. ص ١١.
(٤) الشافعي، علي بن برهان الحلبي: عقد المرجان في ما يتعلق بالجان، تحقيق: مصطفى عاشور، طبعة مكتبة ابن سينا: القاهرة، ص١٤.

ومن هذا التمثل: إتيان الشيطان لقريش على صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر، روى ابن جرير والبيهقي عن ابن عباس: " أن إبليس تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن مالك واخذ يحرض المشركين على القتال " [١].

ومن ذلك مشاركته في مؤامرة قريش، للخلاص من الرسول ﷺ في دار الندوة هل يقتلون الرسول عليه الصلاة والسلام؟ أو يحبسونه، أو يخرجونه، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٣٠].

ومن ذلك أيضاً: قصته مع أبي هريرة ﷺ قال: " وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ؛ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يا أَبَا هُرَيْرَةَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؛ قَالَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يا أَبَا هُرَيْرَةَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلى رَسُولِ اللَّهِ: وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ

---

(١) الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التمي، دلائل النبوة، الطبعة الأولى، دار طيبة: الرياض، ١٤٠٩هـ، تحقيق: محمد محمد الحداد. ج١ ص٢٥٧-٢٦٢.

تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُو، قَالَ: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٥٥]. حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: قَالَ لِي إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ وَقَالَ: لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُو كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: لا، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ "[1].

ومن ذلك تشكلهم في صور حيات ففي صحيح مسلم إن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري في بيته فوجده يصلي قال: فجلست أنتظره حتى فرغ من صلاته فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها فأشار إلي أن أجلس فجلست فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال: أترى هذا البيت ؟ قلت: نعم قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله فاستأذنه يوما فقال له رسول الله ﷺ: " خذ عليك سلاحك فاني أخشى عليك قريظة " فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البأبين قائمه فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غيره. فقالت له: اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل فإذا بحيه عظيمه منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدري

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج٨ ص١٠٢.

أيهما أسرع موتاً: الحية أم الفتى ؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له وقلنا ادع الله يحييه لنا فقال: " استغفروا لصاحبكم " ثم قال: " إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فأذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان"[(١)] .

ويأتي في صور أخرى ما جاء في الطبري من حديث أبي أيوب الأنصاري قال: " كان لي نخل في سهوة لي فجعلت أراه ينقص منه فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: " انك ستجد فيه غداً هرة فقل: أجيبي رسول الله ﷺ " فلما كان الغد وجدت فيه هرة فقلت: أجيبي رسول الله ﷺ فتحولت عجوزاً وقالت: أذكرك الله لما تركتني؟ فإني غير عائدة، فتركتها فأتيت النبي ﷺ فقال: " ما فعل الرجل وأسيره ؟ " فأخبرته خبرها فقال:" كذبت هي عائده " فقل لها: أجيبي رسول الله ﷺ " فتحولت عجوزاً فقالت: أذكرك الله يا أبا أيوب لما تركتني هذه المرة فإني غير عائدة، فتركتها ثم أتيت رسول الله ﷺ قال لي: فقلت ذلك ثلاث مرات فقالت لي في الثالثة: أذكرك الله يا أبا أيوب لما تركتني حتى أعلمك شيئاً لا يسمعه شيطان فيدخل ذلك البيت فقلت: ما هو؟ فقالت: آية الكرسي لا يسمعها شيطان إلا ذهب فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: " صدقت وان كانت كذوباً " [(٢)].

ويتمثل الشيطان بالأبرار والفجار، وأهل السنة والبدعة، ومن ذلك: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – من تمثل الشيطان به عند بعض من استغاث به قال – رحمه الله –: " وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم أحدهم كان خائفاً من الأرض والآخر خائفاً من الشر، فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهواء وقد دفعت عنه عدوهم، فأخبرتهم أني لم اشعر بهذا ولا دفعت عنكم شيئاً وإنما هذا الشيطان تمثل

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١١ ص٢٨٨.

(٢) آل سلمان، أبي عبيدة مشهور بن حسن: فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، (مرجع سابق) ج٢ ص٤٦٢.

لأحدهم لما أشرك بالله تعالى "[1].

ومن ذلك: قوله عن الحلاج وهو من الفجار والملاحدة الكبار: " وقد كانت له أحوال شيطانية وبهتانية، وكان الشيطان يتصور بصورته "[2].

ويأتي في صور نباتات وجمادات، قال شيخ الإسلام ابن تيميه: " أنا أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع وإنما يخاطبه الشيطان الذي يدخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الشجر والحجر وتقول: هنيئاً لك يا ولي الله فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، وأعرف من يقصد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى تأكلني القراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنسان ويخاطبه بذلك "[3].

ولذا على المسلم أن يحذر من الإغترار، فإن الشيطان قد يأخذه إلى مهاوي الردى وهو يظن أنه من أهل الفردوس الأعلى.

رابعاً: يأتي على صورته الحقيقية أو صور مخيفة.

لا يوجد مانع من إتيان الشيطان على صورته الحقيقية، وهي صورة قبيحة، وقد شبه الله تعالى ثمار الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين لما علم من قبح صورهم وأشكالهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[سورة الصافات، آية: ٦٤-٦٥].

والشيطان له قرنان، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: " لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس، و لا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان "[4].

---

(١) **ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية (مرجع سابق) ج٣٥ ص١١٥.**

(٢) **المرجع السابق ج١٩ ص٤٤.**

(٣) **ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية (مرجع السابق) ج١١ ص٣٠٠.**

(٤) **القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج٣ ص٢٩٤.**

وفي البخاري ومسلم عنه: " إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان "[1].

ومما ورد في ذكر قرن، الشيطان حديث البخاري عن ابن عمر ﷺ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إلى الْمَشْرِقِ وَيَقُولُ: " هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ"[2].

وقد كان النصارى في القرون الوسطى يصورون الشيطان على هيئة رجل أسود ذي لحية مدببة وحواجب مرفوعة وفم ينفث لهباً، وقرون وأظلاف وذيل "[3].

ويأتي الشيطان كذلك في صور مخيفة، ومن ذلك ما جاء في قصة أبي بن كعب مع الجني.

قال النسائي في عمل اليوم والليلة قال يحيى ابن أبي كثير قال حدثني ابن أُبي أن أباه أخبره: " أنه كان لهم جرين فيه تمر وكان أبي يتعاهده فوجده ينقص، فحرسه فإذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم، قال: فسلمت فرد السلام، فقلت: من أنت أجن أم إنس ؟! قال: جن، قال: فناولني يدك فناولني يده فإذا يد كلب وشعر كلب، قال: هكذا خلق الجن ؟ قال: لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني، قال له أُبي: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: بلغنا أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك، قال أبي: فما الذي يجيرنا منكم، قال: هذه الآية: آية الكرسي؛ ثم غدا أُبي إلى

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١١ ص٥٢.

(٢) الأصبحي، مالك بن أنس: الموطأ، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر. ج٦ ص٨٦.

(٣) وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين (مرجع سابق)، ص٣٥٧.

النبي ﷺ فأخبره فقال: " صدق الخبيث "[1].

وأيضاً ما جاء في قصة معاذ بن جبل مع الشيطان عن أبي الأسود قال: " قلت لمعاذ بن جبل ﷺ: حدثني عن قصة الشيطان حين أخذته، فقال: جعلني رسول الله ﷺ على صدقة المسلمين فجعلت الثمر في غرفة، فوجدت فيه نقصاناً، فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: " هذا الشيطان يأخذه " قال: فدخلت الغرفة فأغلقت الباب علي فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب، ثم تصور في صورة فيل، ثم تصور في صورة أخرى، فدخل من شق الباب فشددت إزاري عليَّ فجعل يأكل من التمر، قال: فوثبت إليه فضبطته فالتفت يداي عليه فقلت: يا عدو الله، فقال: خل عني فإني كبير ذو عيال كثير، وأنا فقير، وأنا من جن نصيبين، وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم، فلما بعث أخرجنا عنها فخل عني، فلن أعود إليك فخليت عنه، وجاء جبريل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ بما كان، فصلى رسول الله ﷺ الصبح فنادى مناديه أين معاذ بن جبل، فقمت إليه، فقال رسول الله ﷺ: " ما فعل أسيرك يا معاذ ؟ " فأخبرته فقال: " أما إنه سيعود " فعاد، قال: فدخلت الغرفة، وأغلقت علي الباب فدخل من شق الباب، فجعل يأكل من التمر فصنعت به كما صنعت في المرة الأولى، فقال: خل عني فإني لن أعود إليك، فقلت: يا عدو الله ألم تقل: لا أعود ؟ قال: فإني لن أعود وآية ذلك علي أن لا يقرأ أحد منكم خاتمة البقرة فيدخل أحد منا في بيته تلك الليلة "[2].

وكذلك قصة بريدة الأسلمي وأبي أسيد الساعدي مع الغول قال بريدة ﷺ:

---

(١) النسائي، أحمد بن شعيب: عمل اليوم والليلة، الطبعة الثالثة، طبعة مؤسسة الرسالة: بيروت،١٤٠٧هـ، تحقيق: فاروق حماده، رقم ٩٦٠.

(٢) النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. ج٥ ص١٣٣.

"كان لي طعام فتبينت فيه النقصان فكنت في الليل، فإذا غول قد سقطت عليه، فقبضت عليها، فقلت: لا أفارقك، حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة كثيرة العيال لا أعود فحلفت لي فخليتها فجئت، فأخبرت النبي ﷺ؛ فقال لي النبي ﷺ: " كذبت وهي كذوب، وتبين لي النقصان قال: فإذا هي قد وقعت على الطعام فأخذتها، فقالت لي كما قالت لي في الأولى، وحلفت أن لا تعود، فجئت فأخبرت النبي ﷺ فقال: كذبت وهي كذوب، ثم تبين لي النقصان، فكمنت لها، فأخذتها فقلت: لا أفارقك أو أذهب بك إلى النبي ﷺ، فقالت: ذرني حتى أعلمك شيئاً إذا قلته لم يقرب متاعك أحد منا، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ على نفسك ومالك آية الكرسي فخليتها، فجئت، فأخبرت النبي ﷺ فقال: " صدقت وهي كذوب، صدقت وهي كذوب "[(١)].

ومن هذه القصص يتضح لنا أن الشيطان يأتي بصور وأشكال مخيفة أعاذنا الله وإياكم من شروره.

خامساً: يأتي في المنام.

إن الإنسان إذا نام قد يرى رؤيا، وقد تكون هذه الرؤيا من الرحمن، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون حديث نفس، قال ﷺ: " إن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاثة: رؤيا من الرحمن، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا حديث النفس "[(٢)].

وعن أبي قتادة ؓ قال: قال النبي ﷺ : " الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنْ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفِثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، القاهرة، دار الريان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ. ج٨ ص١٧٦.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي. ج٣ ص١٨٤-١٨٥.

لا تَضُرُّهُ"[1].

ومن هذه الأحاديث يتضح لك أخي المربي والمتربي أن الشيطان يوقع الأذية بالإنسان وهو نائم من خلال الرؤى والأحلام المزعجة.

وبهذا يكون الباحث قد أتى على الأحوال التي يأتي بها الشيطان للإنسان لمحاولة إضلاله والإضرار به، وينتقل الباحث الآن إلى المبحث الثاني من هذا الفصل وهو الحديث عن أساليب الشيطان العامة لإضلال الإنسان.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٢١ ص٣٥١.

المبحث الثاني: الأساليب العامة.

لقد تبين لنا أن الهدف والغاية من عداوة الشيطان هي غواية الإنسان وإضلاله والانحراف به عن الصراط المستقيم، وقد اجتهد الشيطان بأساليب متنوعة وطرائق مختلفة للوصول به إلى هذه الغاية وهذا الهدف القريب، والذي يترتب عليه الوصول إلى هدفه البعيد وهو مرافقته في السعير.

وسبق معنا في المبحث الأول من هذا الفصل الحديث عن الأحوال التي يأتي الشيطان بها للإنسان؛ وهنا يكون الحديث عن أساليب عامة في الغواية والإضلال وإليك هذه الأساليب:

أولاً: التزيين:

ومن هذه الأساليب أسلوب التزيين، فمنذ اللحظة الأولى من إعلان العداوة بينه وبين آدم عليه السلام أخذ العهد على نفسه، وأكد عزمه على استخدام هذا الأسلوب، فأخذ يزين للناس الغواية والضلال بكل ما أوتي من قدرات منحه الله إياها، يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[سورة الحجر، آية: ٣٩].

يقول ابن كثير في تفسيرها: " (لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ) أي: لذرية آدم، عليه السلام (فِي الأَرْضِ) أي: أحبب إليهم المعاصي وأرغّبهم فيها، وأؤزّهم إليها، وأزعجهم إزعاجًا "[1].

كما يقول القرطبي في تفسيرها: " وتزيينه هنا يكون بوجهين: إما بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة "[2].

قال البغوي- رحمه الله - : " (لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) حُبَّ الدنيا ومعاصيك

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير ابن كثير (مرجع سابق) ج٤ ص٥٣٥.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، (مرجع سابق) ج١٠ ص٢٧.

(وَلأغْوِيَنَّهُمْ) أي: لأضلنَّهم، (أَجْمَعِينَ) "[1].

فهو يزين الباطل ويحسنه في نظر الإنسان، ولا يسلم من هذا التزيين مسلم أو كافر، فإبليس قد زين الكفر لعاد وثمود قال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٣٨].

قال الطبري في تفسيره: " (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول: وحسَّن لهم الشيطان كفرهم بالله، وتكذيبَهم رسله (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول: فردّهم بتزيينه لهم، ما زيَّن لهم من الكفر عن سبيل الله، التي هي الإيمان "[2].

كما يقول سيد قطب: " (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين).

فقد كانت لهم عقول، وكانت أمامهم دلائل الهدى؛ ولكن الشيطان إستهواهم وزين لهم أعمالهم، وأتاهم من هذه الثغرة المكشوفة، وهي غرورهم بأنفسهم، وإعجابهم بما يأتونه من الأعمال، وانخداعهم بما هم فيه من قوة ومال ومتاع؛ (فصدهم عن السبيل) سبيل الهدى الواحد المؤدي إلى الإيمان، وضيع عليهم الفرصة (وكانوا مستبصرين) يملكون التبصر، وفيهم مدارك ولهم عقول "[3].

هذا الشيطان قد زين لهم ما هم فيه من الكفر والعناد، مع أنهم كانوا مستبصرين يعني: ذوي بصائر، فلم تغن عنهم بصيرتهم شيئاً، ولم يدركوا الحق من

---

(١) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الطبعة الثانية، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ. ج٤ ص٣٨١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٢٠ ص٣٤.

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٥ ص٤٦٤.

الباطل، لأن الشيطان صرفهم عن الحق، ودخل عليهم من باب غرورهم لما أوتوا من القوة والمكانة.

كما أن الشيطان زين لأهل سبأ حكاماً ومحكومين عبادة الشمس من دون الله تعالى، فعبدوها من دون الله تعالى .

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [سورة النمل، آية: ٢٣-٢٤].

فتأمل كيف تمكن الشيطان من هذه الأمم، من خلال تزيين الغواية بصورها المختلفة، وإبعادهم عن الصراط المستقيم، وكان هذا دأبه مع الأمم والشعوب السابقة.

قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة النحل، آية: ٦٣].

يقول الطبري في تفسيره: " (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول: فحسَّن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين، حتى كذّبوا رسلهم، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم (فَهُو وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ) يقول: فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة عند ورودهم على ربهم، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان، ولا هي نفعتهم في الدنيا، بل ضرّتهم فيها "[(١)].

وهنا تعمى الأبصار، فتنزل بهم البأساء والضراء فلا يرجعون إلى الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٧ ص٢٣٥.

الأنعام، آية: ٤٢-٤٣].

قال الطبري في تفسيره: " (وزين لهم الشيطانُ ما كانوا يعملون)، يقول: وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم "[١].

كما قال السعدي في تفسيره: " (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان "[٢].

إن حديث القرآن عن أقوام بأسرها وشعوب بأكملها زين لها الشيطان أعمالها وصدها عن الصواب والحق فيما مضى، يجعلنا نتأمل في شعوب نراها معجبة بما آتاها الله جل وعلا فطغت وتجبرت وكفرت بأنعم الله، فهذه أمريكا قد تنكرت لكل معاني الإنسانية، وزين لها الشيطان أعمالها.

ومن صور التزيين لها: حرصها على مشروع الأمركة المسماة بالعولمة الذي تسعى من خلاله لفرض ثقافتها وقيمها على العالم، معتقدة صواب ما ذهبت إليه.

بل هذه الحضارة الغربية معجبة بما وصلت إليه من نتاج في شتى العلوم، وقد زين الشيطان لهم نظريات هي في الحقيقة تجعل البشرية وكأنها تعيش في نظام الغاب القوي، فيها يأكل الضعيف، ومن أمثلة ذلك: الرأسمالية، التي تسيطر على العالم اليوم، واللبرالية، التي يدعو لها من زين له الشيطان سوء عمله فرآه حسناً.

وان كارل ماركس، وجون ديوي، ولينين، وأمثالهم من أصحاب النظريات الإصلاحية، ما وراءهم إلا الشيطان، زين لهم أعمالهم ونظرياتهم، وصاغ لهم أفكارهم، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

---

(١) المرجع السابق ج١١ ص٣٥٧.

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٥٦.

إن هؤلاء هم النصيب المفروض الذي اتخذه إبليس لنفسه: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [سورة النساء، آية: ١١٨].

وقد زين الشيطان لكفار قريش خروجهم من مكة لقتال محمد ﷺ يوم بدر قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٤٨].

وهو هو نفسه اليوم وفي كل يوم يزين لأمريكا وحلفائها أعمالهم في أفغانستان، وفي العراق، وفي فلسطين، ويقول لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس، واني جار لكم، فاستعمروا باسم التحرير، وظلموا باسم العدالة، واستعبدوا باسم الحرية، دماء تسفك، وحرمات تنتهك، وأموال تسلب، ومدن تدمر، والشيطان يزين لهم أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

لقد حذرنا الله تعالى من الاغترار بالشهوات، والانسياق وراءها حيث يزينها الشيطان.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٤].

قال صاحب النكت: " قوله عز وجل: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) معنى زين: أي حُسِّن حب الشهوات، والشهوة من خَلْق الله في الإنسان، لأنها ضرورة لا يقدر على دفعها.

وفي المُزَيِّن لحب الشهوات ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الشيطان، لأنه لا أحد أشد ذمًّا لها من الله تعالى الذي خَلَقَها،

قاله الحسن.

الثاني: تأويل أن الله زين حب الشهوات لِمَا جعله في الطبائع من المنازعة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ [سورة الكهف، آية: ٧]. قاله الزجاج.

والثالث: أن الله زين من حبها ما حَسُن، وزين الشيطان من حبها ما قَبُح"[١].

مما سبق يتضح لنا أيها المربون والمتربون جلياً أن التزيين والتحسين أسلوب وطريق من طرق الشيطان، يصطاد العباد به، فكن أيها المبارك حذراً يقضاً لذلك، والله الموفق.

ثانيا: الإفراط والتفريط:

يدخل الشيطان على الإنسان إما من باب الإفراط، أو من باب التفريط، الزيادة أو النقصان، المجاوزة أو التقصير، الغلو أو الجفاء، اللذان هما باب كل بلاء وعنت وشقاء للإنسان، وذلك بحسب قبول النفس لأحد هذين البابين، وإلى أي القوتين هو أقرب.

فالإنسان بين شهوة أو شبهة بتفريط أو إفراط، الشهوات تقود الإنسان إلى التفريط والتقصير في دين الله تعالى، والشبهة تقود الإنسان إلى الإفراط والغلو في الدين.

يقول ابن القيم في الإغاثة: (ومن كيده العجيب أنه يشام النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة ؟.

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام، أخذ في تثبيط وإضعاف همته

---

(١) الماوردي: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد عبدالمقصود عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج١ ص٢٢٠.

وإرادته عن المأمور به،وثقله عليه، فهون عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وان رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة، أخذ يقلل عنده المأمور به ويوهمه أنه لا يكفيه وأنه يحتاج معه إلى مبالغه وزيادة، فيقصر بالأول، ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: (ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر) وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه)[1].

وقد اختار الشيطان باب التفريط والتقصير، ليكون مدخلاً على الإنسان، ليغرق في شهواته وملذاته ومحبته للدنيا ورغبته في الخلود والمتاع، وها هو إبليس يقول لآدم وهو في الجنة: إذا رغبت الخلد والبقاء الدائم فعليك بالأكل من هذه الشجرة، وأقسم له بالله تعالى أنه صادق فيما يقول إمعاناً في الإقناع، قال تعالى:﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠].

يقول ابن القيم: (أي إلا كراهة أن تكونا ملكين، وكراهة أن تخلد في الجنة، ومن هاهنا دخل عليهما لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها، وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تحبه وتؤثره فإذا عرفه استعان بها على العبد ودخل عليه من هذا الباب "[2].

ونلاحظ كيف كاد إبليس الأبوين من هذا الباب العظيم، ودخل عليهما من

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٠٦.

(٢) المرجع السابق.

باب التقصير والتفريط، ثم فرطت ذريته من بعده.

وفي المقابل يزين الشيطان للإنسان طريق الإفراط،فكم ضلت وزلت أقدام في هذا الباب؟ وقد امتلأت قلوب أناس بهذه الشبهات في مجالات شتى ومن ذلك، ما حصل في زمن النبي ﷺ من الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ فشعروا أن أمثالهم لا يكفي منهم هذه العبادة، ووقعوا في الإفراط والزيادة بسبب شبهة أو جهل.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي [(١)].

فبحجة الاجتهاد في العبادة زين الشيطان لهؤلاء النفر الإفراط والزيادة.

يقول ابن تيميه – رحمه الله – : "والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان، لا يأبه بأيهما ظفر: إما إفراط فيه وإما تفريط فيه، وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه، قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب إليه، حتى أخرجه عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من اعبد هذه الأمة وأورعها عنه، حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرميه" [(٢)].

ويقول ابن القيم – رحمه الله –: " وما أمر الله جل وعلا بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة، فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق)، حديث ١٤٠١ ج٢ ص١٠٢٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية (مرجع سابق) ج٣ ص٣٨١.

التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة، وإن وجد عنده جداً وتشميراً ونهضة، وآيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسول له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفرط إذا فرطوا، ثم قال: ولا ينجي من ذلك، إلا علم راسخ، وإيمان، وقوة على محاربته، ولزوم الوسط، والله المستعان "[١].

فليحذر المربون والمتربون وجميع المصلحون من الإفراط والتفريط غاية الحذر، وليلزموا طريق الوسط العدل، طريق رسول الله ﷺ، ففيه النجاة من مكايد الشيطان، وأساليبه الماكرة.

ثالثاً: التشكيك:

ومن أساليب الشيطان، إيقاع الإنسان في دائرة الشك والحيرة، ليقع بهذا في الزيغ والضلال، سواء في العقيدة، أو العبادة، أو في السلوك والمعاملة.

ومن صور ذلك: تشكيك الإنسان في نيته، فيمنعه عمل الصالحات خوفاً من الرياء والنفاق؛ قال الحارث بن قيس: " إذا أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال انك ترائي فزدها طولا ".

ومن صور ذلك: تشكيكه في الحق الذي هو عليه من جهة نظره إلى كثرة أو قلة الأتباع، وقد يغريه بالكثرة فينظر إلى كثرة أهل البدع، فيقول له: أهؤلاء كلهم على ضلال، وفلان فقط على هدى ؟! هل كل هؤلاء على خطأ، وأنت وحدك على صواب ؟! هل كل هؤلاء في النار، وأنت في الجنة ؟!

فينظر للكثرة ويجعلها مقياساً له.

يقول التابعي نعيم بن حماد: " إن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل، وإذا

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ. ص١٧-١٨.

فسدت الجماعة، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة ".

ومن صور التشكيك أيضاً: ما جاء في رواية احمد في مسنده جاء فيه: " عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبي فَاكِهٍ قَالَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإسلام، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أبيكَ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، قَالَ: ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: هُو جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَو قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَو وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ "(١).

والمتأمل في هذا الحديث يجد حرص الشيطان على تشكيك المؤمن في الطريق الذي سلكه، عله يظفر بغوايته، فيكون رفيقه في نار السعير.

فما من طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك.

فمن هذا الحديث يتضح أسلوب الشيطان في التشكيك والتردد، ليظفر به في أي محطة كانت وفي قوله تعالى على لسان إبليس وهو يتوعد بني آدم بالغواية: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٧].

" قال ابن عباس، في رواية عنه: (أشككهم في آخرتهم)، وهذه صورة واضحة في التشكيك في العقيدة والإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان.

قال أبو صالح في قوله تعالى: (ومن خلفهم): (أشككهم في الآخرة وأباعدها

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد (مرجع سابق) ج٣٢ ص١٥٣.

عليهم).

وفي قوله: (وعن أيمانهم).

قال ابن عباس: (أشبه عليهم أمر دينهم)، وقال أبو صالح: (الحق أشككهم فيه)"[1].

فكم هم ضحايا الشك والريبة والتردد الذين انخرطوا في شرك إبليس اللعين ألم يقل لآدم عليه السلام: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠].

أراد تشكيكه في الحق الذي جاء من الله، والنهي الذي نهاه الله عنه.

واستجاب له آدم عليه السلام في ساعة ضعف بشرية، ونسي قوله تعالى وأمره: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٥].

ومن أعظم صور التشكيك في عصرنا: ما نراه من الهجمة الشرسة على منهج السلف الصالح، والتشكيك في تفرده بالحق[2].

فعلى المربين والمتربين أن يعلموا جيداً ويستحظروا دائماً أن الشك باب وأسلوب من أساليب الشيطان فلا ينقادوا له ويسترسلوا معه.

رابعا: الإنساء:

جاء النسيان بمعانٍ متعددة في اللغة وفي الاصطلاح، والنسيان المقصود في هذا البحث أي نسيان فيه تفويت مصلحه دنيويه أو أخروية على الإنسان، فإذا كان كذلك النسيان هو من أساليب الشيطان والتي حرص من خلالها على تفويت

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٩٤.

(٢) للاستزادة انظر: المحمود، عبدالرحمن بن صالح: ظاهرة الهجوم على منهج السلف، الطبعة الأولى، طبعة البيان، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٩هـ.

مصالح العباد الدنيوية أو الأخروية أو تفويتهما معاً.

وهو النسيان المذموم، والذي لم يسلم منه حتى الأنبياء على الصحيح.

يقول ابن العربي وهو يتحدث عن الأنبياء: (وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقاً) [(١)].

أما إذا كان في النسيان تحقيق مصالح دنيوية أو أخروية، فهو من فضل الله ومنته على العباد، ومنه ما جاء عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه" [(٢)].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٨٦].

يقول البيضاوي في تفسيره:

"﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط أو لا مبالاة" [(٣)].

كما يقول الصنعاني: "سمعت هشاماً يحدث عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: تجوز الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه، عبد الرزاق قال لنا معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: بلغني أن الله تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما

---

(١) العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله: أحكام القرآن، الطبعة الأولى، تخريج وتعليق محمد عبدالقادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ. ج٣ ص٥٥.

(٢) الحاكم: المستدرك وصحيحه (مرجع سابق) ج٢ ص٢١٦، ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. ج٩ ص١٧٤.

(٣) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، (مرجع سابق) ج١ ص٥٨٦.

حدثت به نفسها "[1].

وإليك صور وأمثله لتفويت الشيطان مصالح دنيويه أو أخروية أوهما معاً على الإنسان:

ومن صور وأمثلة تفويت الشيطان المصالح الأخروية على الإنسان:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة، آية: ١٩].

قال في فتح القدير: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ): أي غلب عليهم واستعلى واستولى، قال المبرد: استحوذ على الشيء: حواه وأحاط به، وقيل: قوى عليهم، وقيل: جمعهم يقال: أحوذ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض؛ والمعاني متقاربة، لأنه إذا جمعهم فقد قوى عليهم وغلبهم واستعلى عليهم واستولى وأحاط بهم (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ) أي: أوامره والعمل بطاعاته فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقيل: زواجره في النهي عن معاصيه، وقيل: لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم "[2].

وفي التفسير الكبير[3]: " قال الزجاج (استحوذ) في اللغة: استولى يقال: حاوذت الإبل وحذتها إذا استوليت عليها وجمعتها، قال المبرد: استحوذ على الشيء: حواه وأحاط به، وقالت عائشة: في حق عمر كان أحوذياً، أي سائساً ضابطاً للأمور وهو أحد ما جاء على الأصل نحو استصوب واستنوق أي ملكهم الشيطان واستولى

---

(١) الصنعاني، عبدالرزاق بن همام الحميري: تفسير القرآن، الطبعة الأولى، طبعة مكتبة الرشد: الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ، تحقيق: مصطفى مسلم. ج١ ص١١٢.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ. ج٥ ص١٩٣.

(٣) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي: التفسير الكبير (مرجع سابق) ج٢٩ ص٢٣٩.

عليهم ثم قال: ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة، آية:١٩].

ونلحظ في هذه الآية كيف أن الشيطان تمكن من الإنسان وأنساه ذكر الله جل وعلا حتى جعله من حزبه وأتباعه، ولا شك أن نسيان ذكر الله تعالى فيه تفويت لمصالح الإنسان الأخروية من ذهاب الأجر والدرجات العليا في الجنة، ولا يخفى أيضاً ما للذكر من فوائد للإنسان في حياته قبل مماته، كما سأوضحه في أساليب الوقاية لاحقا إن شاء الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ٦٨].

يقول الواحدي: " (وإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ) إن نسيت فقعدت (فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى) فقم إذا ذكرت "(١).

كما يقول النسفي: " (وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشيطان) ما نهيت عنه (يُنسِيَنَّكَ) نسّي وأنسى واحد (فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذكرى) بعد أن تذكر (مَعَ القوم الظالمين) "(٢).

" قال: (وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ) أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. (فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي

---

(١) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، دار القلم: الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودي. ج١ ص٣٦٠.

(٢) النسفي، أبي البركات عبدالله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التنزيل، (مرجع سابق) ج١ ص٣٢٨.

لا يقدر على إزالته "[1].

(وإما يُنسينكَ الشيطانُ) النهيَ عن مجالستهم، وجلست نسيانًا، (فلا تقعد بعد الذكرى) أي: بعد أن تذكر النهي، (مع القوم الظالمين)

فالشيطان هو الذي ينسي الإنسان، فيقعد مع الذين يخوضون في آيات الله بالتكذيب والاستهزاء، فإذا تذكر الإنسان بعد أن أنساه الشيطان، وقعد مع الخائضين فعليه مباشرة المفارقة.

وهكذا يسعى الشيطان لإنساء الإنسان ما فيه تحقيق لمصالحه المتعلقة بالآخرة، وذلك بجلوسه مع الذين يخوضون في آيات الله تعالى بالباطل.

وهناك صور من الإنساء تتعلق بتفويت مصالح للإنسان دنيوية تعود عليه بنفع عاجل في الدنيا، فالشيطان كما يسعى لإفساد آخرة الإنسان، فإنه كذلك يسعى لإفساد دنياه أيضاً.

ومن صور ذلك: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [سورة الكهف، آية: ٦٣].

قال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾.

أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ لأنه السبب في ذلك ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك من العجائب "[2].

" ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٦٠.

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٨١.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بما يقع منه من الوسوسة، و﴿أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ بدل اشتمال من الضمير في أنسانيه، وفي مصحف عبد الله: وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان" [1].

يقول البيضاوي في تفسيره: " (قال أرأيت إذ أوينا) أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة، يعني: الصخرة التي رقد عندها موسى، وقيل: هي الصخرة التي دون نهر الزيت (فإني نسيت الحوت) فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان (أن أذكره)" [2].

وقال الواحدي في تفسيره: " (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) يعني: حيث نزلا (فإني نسيت الحوت) نسيت قصة الحوت أن أحدثكها، ثم اعتذر بإنساء الشيطان إياه، لأنه لو ذكر ذلك لموسى عليه السلام ما جاوز ذلك الموضع وما ناله النصب" [3].

لقد فقد الغلام الحوت عند الصخرة التي استراح هو وموسى عندها، ولكن الشيطان أنسى الغلام إخبار موسى بفقدان الحوت والذي كان علامة لموسى وإشارة للمكان الذي يلتقي فيه مع الخضر، فبسبب النسيان تجاوز موسى وفتاه الموضع المحدد فنالهما من التعب والمشقة بعد تجاوزهما بسبب النسيان ما نالهما، وهكذا يسعى الشيطان من خلال الإنساء إلى إنزال التعب والمشقة والعنت بالإنسان.

ومنها كذلك ما جاء في قصة يوسف مع صاحبه في السجن قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (مرجع السابق) ج٤ ص٤٠٧.

(٢) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، (مرجع سابق) ج٣ ص٥٠٩.

(٣) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (مرجع السابق) ج٢ ص٦٦٧.

سِنِينَ ﴾ [سورة يوسف، آية: ٤٢]. ونلاحظ في هذه الآية كيف أنسى الشيطان صاحب يوسف تذكر قصته وذكرها لسيده، وذلك ليفوت مصالح دنيويه لعباد الله تعالى، فقد ترتب على نسيان ذلك الرجل مكث يوسف في السجن بضع سنين.

يقول ابن كثير في تفسيره: " (ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) يقول أذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسى ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن، هذا هو الصواب أن الضمير في قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه عائد على الناجي "[1].

كما يقول في الكشاف: " (ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة، (فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ) فأنسى الشرابي (ذِكْرَ رَبِّهِۦ) أن يذكره لربه، وقيل: فأنسي يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره (بِضْعَ سِنِينَ) البضع ما بين الثلاث إلى التسع، وأكثر الأقاويل: على أنه لبث فيه سبع سنين، فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنسان؟ قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه، ويزل عن قلبه ذكره، وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عز وجل "[2].

وإن كان ما يجري كله بقدر الله تعالى، ولحكمة يريدها جل وعلا، ليقضي الله أمراً كان مفعولا، إلا أن الشيطان يقصد إفساد مصالح العباد بتلك الوسائل.

وبهذا يتبين لنا من خلال العرض القرآني كيف يستخدم الشيطان أسلوب الإنساء للإنسان ليفوت عليه مصالح متعلقة بالدنيا أو بالآخرة أو بهما معاً.

خامساً: الأمر بالسيئات والحث عليها:

---

(١) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (مرجع السابق) ج٢ ص٦٦٧.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر: الكشاف، (مرجع السابق) ج٢ ص٤٤٥.

السيئات: هي المعائب، والنقائص، والفواحش، والمنكرات، والقبائح، والمعاصي بشتى صورها ومراتبها؛ قد جاء الشيطان بالدعوة إليها، والأمر بها، والحث عليها، وتزيينها للعباد.

قال الحسن: في قوله تعالى: ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٧]." السيئات يأمرهم بها، ويحثهم عليها، ويرغبهم فيها، ويزينها في أعينهم "[1].

قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [سورة البقرة، ٢٦٨].

قال ابن القيم - رحمه الله -: "فذكر سبحانه وعد الشيطان وأمره: يأمرهم بالشر، ويخوفهم من فعل الخير، وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان، فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها "[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [سورة النساء، آية: ١١٩].

إن الشيطان يأمر الإنسان بفعل السيئات، والتي تتمثل في صور مختلفة منها ما جاء في قوله تعالى: (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ) قال السعدي في بيان معناها: " أي: بتقطيع آذانها، وذلك كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فنبه ببعض ذلك على جميعه، وهذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة ما هو من أكبر الإضلال، (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) وهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم،

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (مرجع سابق) ج١ ص٩٥.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٩٩.

والوشر والنمص والتفلج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغـيروا خلقـة الرحمن.

وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ويتناول أيضاً تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.

فإن كل مولود يولد على الفطرة، ولكن أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد من توحيده وحبه ومعرفته؛ فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئاب للغنم المنفردة؛ لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه، فخسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا قال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي"[1].

قال في النكت: " (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ أَذَانَ الأَنْعَامِ) أي لَيَقْطَّعُنَّهَا نُسكاً لأوثانهم كالبحيرة والسائبة.

(وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ) فيه ثلاث تأويلات.

أحدها: يعني دين الله، وهذا قول الحسن، وقتادة، ومجاهد، وإبراهيم.

والثاني: أنه أراد به خصاء البهائم، وهذا قول ابن عباس، وأنس، وعكرمة.

---

(١) الماوردي: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، (مرجع سابق) ج١ ص٣٢٧.

والثالث: أنه الوشم، وهو قول ابن مسعود، والحسن" [(١)]. وكلها سيئات وذنوب واثام امرهم بها الشيطان فاستجابوا له وقادهم لها فانقادوا له.

" (وَلأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ)، يعنى ليقطعن، (آذَانَ الأنعام)، وهى البحيرة للأوثان، (وَلأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله)، يعنى ليبدلن دين الله " .

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[سورة النور، آية: ٢١]. فأمر الشيطان الإنسان بالفحشاء من أعظم السيئات التي يأمره بها، ومن أعظم أبواب الشيطان التي يدعو الإنسان إليها، وهي كل ما فحش من القول والعمل والاعتقاد، قال الطبري: " الفحشاء: هي مصدر مثل السراء والضراء، وهي كل ما استفحش ذكره وقبح مسموعة " [(٢)].

وكذلك من أعظم السيئات التي يأمر الشيطان بها المنكر.

والمنكر كما يقول القرطبي: "هو ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعم جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها " [(٣)].

ويقول البغوي – رحمه الله – في بيان معنى المنكر: " هو ما لا يعرف في شريعة ولا سنة " [(٤)].

ومما سبق يتضح لنا أن السيئات التي يأمر الشيطان الإنسان بها شاملة

---

(١) الأزدي، مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل، (مرجع سابق) ج١ ص٣٤٨.
(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٢ ص٧٧.
(٣) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، (مرجع سابق) ج١٠ ص١٦٧.
(٤) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (مرجع سابق) ج٥ ص٣٨.

للفحشاء والمنكر، وعليه فان الشيطان يأمر الإنسان بكل ما نهت عنه الشريعة، واستقذرته النفوس السليمة، فجميع المعاصي والرذائل والقبائح كبيرها وصغيرها هي سيئات يأمر الشيطان الإنسان بها، فعلى المعنيين بالتربية في جميع المؤسسات التربوية البيت والمدرسة وغيرها التنبه والتنبيه لهذا، والحذر من طريق الشيطان وخطواته، أعاذنا الله وإياكم من الشر وأهله.

سادسا: التثبيط عن الحسنات والتكسيل عنها:

الإسلام دين الله تعالى، جاء ليدل المسلم على طريق الحسنات، ويحثه ويشجعه على فعل الخيرات والطاعات، ليحصل أعلى المقامات؛ وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة الداعية لذلك منها قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٦٠].

وقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [سورة النمل، آية: ٨٩].

وقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة القصص، آية: ٨٤].

أما الشيطان فهو يقوم بالتثبيط عن الحسنات، ويصد المسلم عن فعل الخيرات قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة الزخرف، آية: ٦١-٦٢].

كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [سورة المائدة، آية: ٩١].

وهكذا يتضح لنا من هذه الآية كيف أن الشيطان يصد الإنسان، ويثبطه، ويكسله عن ذكر الله، الذي هو قوة القلوب وحياتها، وعن الصلاة التي هي صلة بين

العبد وربه والتي يكون أقرب ما يكون من ربه وهو في صلاته في قيامه وركوعه وسجوده، كما أن الذكر والصلاة من أعظم الأبواب التي يحصل بها الإنسان الحسنات لينال بها أعلى الدرجات، ولذلك يجتهد الشيطان ليحرم الإنسان هذا الأجر العظيم فيثبطه ويكسله، وله في ذلك أساليب وطرق مختلفة منها.

أنه يعقد على مؤخرة رأس الإنسان إذا نام ثلاث عقد ويضرب على مكان كل عقدة، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم [القافيه: مؤخرة الرأس] إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة مكانها، عليك ليل طويل فارقد، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقده فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان "(١).

قال البيضاوي: " التقييد بالثلاث إما للتأكيد أو لأنه يريد قطعه عن ثلاث: الذكر والوضوء والصلاة، وكأنه منعه عن كل واحد منها بعقدة عقدها على رأسه، وكان تخصيص القفا بذلك، لأنه محل الوهم، ومجال تصرفه، وهو أطوع القوى الشيطانية وأسرعها إجابة لدعوته "(٢).

كما أن الشيطان يبيت على الخيشوم حقيقة، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إذا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاثًا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ "(٣).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق)، حديث ١٠٧٤.

(٢) الزرقاني المالكي، محمد بن عبدالباقي: شرح الزرقاني على الموطأ الإمام مالك، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ. ج١ ص٥٠٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١١ ص٧٢.

وكذلك الشيطان يبول في الأذن، سئل الرسول ﷺ عن رجل نام ليله حتى أصبح، فقال: " ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ".

وسبيله في ذلك:

١- أن يحبب للإنسان الكسل.

٢- يسوف العمل.

٣- يسند الأمر إلى طول الأمل.

يقول ابن الجوزي في هذا: " كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام، فلا يزال إبليس يثبطه، ويقول: لا تعجل وتمهل في النظر، فيسوفه حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشهوات، ويمنيه الإنابة.

كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال: استرح ساعة أو انتبه العابد في الليل يصلي، فقال: عليك وقت، ولا يزال يحبب الكسل، ويسوف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل.

كما أنه إذا كان في النفس حب التواني وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على ترك العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة "[(١)].

قال بعض السلف: أنذركم سوف فإنها اكبر جنود إبليس[(٢)].

---

(١) ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: تلبيس إبليس، الطبعة الخامسة، طبعة دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤١٢هـ، تحقيق: السيد الجميلي. ص٤٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص٤٥٨.

ومن صور التثبيط ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي: " فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان: تترك التنعم باللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم، فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه: الصبر عن الشهوات شديد، ولكن الصبر على النار اشد منه ولابد من أحدهما، فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده، وجدد إيمانه ويقينه، خنس الشيطان وهرب "[1].

فعليك أخي المربي والمتربي أن تكون يقظاً متنبهاً مقبلاً غير مدبر، أعاذنا الله وإياك من العجز والكسل والتسويف مع طول الأمل.

سابعا: الوعد والأماني الكاذبة:

لما كان الإنسان يسعى في الحياة الدنيا لتحقيق المصالح الدنيوية والأخروية أخذ الشيطان يعده ويمنيه تحقق ذلك، فبعد أن ذكر الله تعالى أز الشيطان، واستفزازه، وإجلابه عليه بخيله ورجله، ومشاركته في الأموال والأولاد، ذكر وعد الشيطان للإنسان.

في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٦٤].

قال الطنطاوي في الوسيط: " قوله: (وعدهم) أي: وعدهم بما شئت من المواعيد الباطلة الكاذبة. كأن تعدهم بأن الدنيا هي منتهى آمالهم. فعليهم أن يتمتعوا بها كيف شاءوا بدون تقيد بشرع أودين أو خلق. وكأن تعدهم بأنه ليس بعد الموت حساب أو ثواب أو عقاب، أوجنة أو نار"[2]. وهذا ما نراه والله بأم أعيننا في العالم

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج٣ ص٣٨.

(٢) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، (مرجع سابق) ج١ ص٢٦٥٣.

الكافر ونشاهده من خلال مئات القنوات التي تنقل لنا ذلك الواقع النتن فلسان حالهم ومقالهم أن الدنيا هي منتهى الأمل فهم يعبون منها عبا لا يأبهون أحلال أم حرام ولا يراعون دينا أو خلقا ولا ينتظرون بعد الموت بعثاً ولا نشوراً ولا حساباً وإن اتبع الكفار الشيطان فيما ذهب إليه إلا أن المؤسف أنَّ قطعاناً من المسلمين أجلب عليهم الشيطان بخيله ورجله وصاح عليهم بصوته فاتبعوه وأطاعوه.

" وقوله سبحانه: (وَمَا يَعِدُهُمُ الشيطان إِلاَّ غُرُوراً) تحذير من الله تعالى لعباده من إتباع الشيطان، ومن السير وراء خطواته.

وأصل الغرور تزيين الباطل بما يوهم أنه حق. يقال: غر فلان فلانا فهو يغُره غرورًا إذا خدعه، وأصله من الغُرُّ، وهو الأثر الظاهر من الشيء، ومنه غرة الفرس لأنها أبرز ما فيه. ولفظ (غرورا) صفة لموصوف محذوف.

والتقدير: وعدهم - أيها الشيطان - بما شئت من الوعود الكاذبة، وما يعد الشيطان بنى آدم إلا وعدا غرورا.

ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله فيكون المعنى: وما يعدهم الشيطان إلا من أجل الغرور والمخادعة "[1].

يقول السعدي - رحمه الله -: " (وَعِدْهُمْ) الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ولهذا قال: (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا) أي: باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة ويعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق"[2].

وفي تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: " وعدهم أن لا جنة ولا نار وما يعدهم

---

(١) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، (مرجع سابق) ج١ ص٢٦٥٣.

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٦١.

الشيطان إلا غرورا باطلا "[1].

وهو يظن أن في هذا صلاحه.

قال تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ .

وكما ذكر الله جل وعلا في سورة النساء كيف أن الشيطان يتلاعب بالإنسان ويحقق هدفه وهو الإغواء، فانه يمنيه مع ذلك الظفر بتحقيق مصالحه الدنيوية أو الأخروية.

ثم قال تعالى بعد ذلك كله: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء، آية: ١١٩].

" (ولأمنينهم) قال ابن عباس: يريد تسويف التوبة وتأخيرها، وقال الكلبي: أمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث، وقيل: أمنيهم إدراك الجنة مع عمل المعاصي، وقيل: أزين لهم ركوب الأهواء والأهوال الداعية إلى العصيان، وقيل: أمنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة "[2].

"ولأمنينهم أن لا جنة ولا نار، وقيل: ركوب الأهواء "[3].

ويقول البغوي في تفسيره: " ولأمنينهم قيل: أمنينهم ركوب الأهواء وقيل: أمنيهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل: أمنينهم إدراك الآخرة مع ركوب

---

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، (مرجع سابق) ج١ ص٢٣٩.

(٢) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٢ ص١٧٧.

(٣) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مرجع سابق) ج١ ص٢٩٠.

المعاصي"[1].

ويقول الطبري: " (ولأمنينهم) يقول: لأزيغنهم بما أجعل في نفوسهم من الأماني عن طاعتك وتوحيدك إلى طاعتي والشرك بك"[2].

وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة النساء، آية: ١٢٠].

قال في المحرر: "قوله تعالى: (يعدهم ويمنيهم): يعدهم بأباطيله من المال والجاه، وأن لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك لكل أحد ما يليق بحاله، ويمنيهم كذلك، ثم ابتدأ تعالى الخبر عن حقيقة ذلك بقوله: (وما يعدهم الشيطان إلا غروراً)"[3].

قال السعدي: " قال: (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ) أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، والوعد يشمل حتى الوعيد كما قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) فإنه يعدهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) الآية. ويخوفهم عند إيثار مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير، وكذلك يمنيهم الأماني الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال:

---

(١) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (مرجع سابق) ج١ ص٤٨١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع السابق) ج٥ ص٢٨١.

(٣) أبو الأنصاري، والرحالي الفاروق، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المشهور بـ (ابن عطية)، الطبعة الأولى، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون البلدية بدولة قطر،١٣٩٨هـ. ج٢ ص١٩٨.

(وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا) "[1].

قال أبو السعود: " (يَعِدُهُمْ) أي: ما لا يكاد يُنجِزُه (وَيُمَنّيهِمْ) أي الأمانيَّ الفارغةَ أو يفعل لهم الوعدَ والتمنيةَ على طريقة فلان يُعطي ويمنَعُ والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها. (وَمَا يَعِدُهُمْ الشيطان إِلاَّ غُرُوراً) وهو إظهارُ النفعِ فيما فيه الضررُ، وهذا الوعدُ إما بإلقاء الخواطرِ الفاسدةِ أو بألسنة أوليائِه، وغروراً إما مفعولٌ ثانٍ للوعد أو مفعولٌ لأجله أو نعتٌ لمصدر محذوفٍ أي وعداً ذا غرورٍ أو مصدرٌ على غير لفظ المصدرِ لأنّ (يَعِدُهُمْ) في قوة يغرّهم بوعده، والجملةُ اعتراضٌ وعدمُ التعرّضِ للتمنية لأنها بابٌ من الوعد"[2].

يقول الواحدي في تفسيره: " يعدهم طول العمر في الدنيا ويمنيهم نيل المراد منها وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أي: إلا ما يغرهم من إيهام النفع فيما فيه الضرر "[3].

كما يقول القرطبي: " قوله تعالى (يعدهم) المعنى يعدهم أباطيله وترهاته من المال والجاه والرياسة وأن لا بعث ولا عقاب ويوهمهم الفقر حتى لا ينفقوا في الخير ويمنيهم كذلك وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أي خديعة "[4].

ويقول في روح المعاني: " يعدهم ما لا يكاد ينجزه، وقيل: النصر والسلامة، وقيل: الفقر والحاجة إن أنفقوا وقرأ الأعمش يعدهم بسكون الدال وهو تخفيف

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٠٣.
(٢) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى: تفسير أبو السعود، طبعة دار الفكر، بيروت. ج٢ ص١٥٨.
(٣) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مرجع سابق) ج١ ص٢٩١.
(٤) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، (مرجع سابق) ج٥ ص٣٩٥.

لكثرة الحركات ويمنيهم الأماني الفارغة، وقيل: طول البقاء في الـدنيا ودوام النعـيم فيها وجوز أن يكون المعنى في الجملتين يفعل لهم الوعد ويفعل التمنية علـى طريقـة فلان يعطى ويمنع "[1].

يقول ابن القيم عند قوله: (ولأمنينهم).

قال الزجاج: اجمع لهم من الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة.

وقيل: لأمنينهم ركوب الأهواء الداعية إلى العصيان والبدع.

وقيل: أمنيهم طول البقاء في نعيم الدنيا، فأطيل لهم الأمل فيها ليؤثروها على الآخرة[2].

قال السعدي: " (وَلأمَنِّيَنَّهُمْ) أي: مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم، ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ ﴾ [سورة البقرة، آية: ١١١] "[3].

قال الطنطاوي: " قوله: (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ) أي: ولأضلنهم عن طريق الحق فأجعلهم يسيرون في طريق الباطل إلى نهايته، ولأمنينهم الأماني الفارغة. بأن أجعلهم يجرون وراء الأحلام الكاذبة، والأوهام الفاسدة. والأطماع التي تسيطر على

---

(١) الألوسـي، محمـود بـن عبـدالله الحسـيني: روح المعـاني فـي تفسير القرآن والسبع المثاني، (مرجع سابق) ج٥ ص١٥٠.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (مرجع سابق) ج١ ص٩٧.

(٣) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٠٣.

نفوسهم وعقولهم، وبذلك يكونون من جندي، ويخضعون لأمري "[١].

قال ابن عبد السلام: " (وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ) بطول الأمل، ليؤثروا الدنيا على الآخرة"[٢].

قال في التنوير: " (وَلأُضِلَّنَّهُمْ) عن الهدى (وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ) لأرجينهم أن لا جنة ولا نار "[٣].

قال القطان: " (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ) إضلال الشيطان للإنسان أن يزين له الحق باطلاً، والخير شراً، أو يوهمه انه لا حق ولا خير في الوجود، ولا جنة ولا نار، وفي الحديث: " خلق إبليس مزيناً، وليس إليه من الضلالة شيء" أما تمنية الشيطان للإنسان فهو يخيل إليه إدراك ما يتمناه رغم انه باطل، ويؤمله في النجاة يوم الحساب، وما إلى ذلك من الأماني الكاذبة، والسعادة الموهومة "[٤].

" قوله: (ولأضلنهم) معناه أصرفهم عن طريق الهدى، (ولأمنينهم) لأسولن لهم. قال القاضي أبو محمد عبد الحق – رحمه الله -: وهذا لا ينحصر إلى نوع واحد من الأمنية، لأن كل واحد في نفسه إنما تمنيه بقدر نصبته وقرائن حاله، ومنه قوله عليه السلام: " إن الشيطان يقول لمن يركب ولا يذكر الله: تغن، فإن لم يحسن قال له تمن "[٥].

كما ذكر ابن القيم عند قوله: (يعدهم ويمنيهم) .

---

(١) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، (مرجع سابق) ج١ ص١٠٧٦.

(٢) الشافعي، عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي: تفسير العز بن عبدالسلام، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الوهبي. ج١ ص٤٢٦.

(٣) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، (مرجع سابق) ج١ ص١٠٣.

(٤) القطان، يحيى بن سعيد: تفسير القطان، (مرجع سابق) ج١ ص٣٤٢.

(٥) أبو الأنصاري، والرحالي الفاروق، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المشهور بـ (ابن عطية)، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٨.

ثم قال تعالى: (يعدهم ويمنيهم) فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها، والفرق بين وعده وتمنيه انه يعده الباطل ويمني المحال[1].

قوله تعالى: (يعدهم ويمنيهم) يعني الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته إياهم ما يوقع في قلب الإنسان من طول العمر ونيل ما أراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل أن لا يلتفت إلى شيء منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما أراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية (وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) يعني باطلاً وضلالاً [2].

ومن هنا نلاحظ كيف استخدم الشيطان أسلوب الوعد في التغرير بالإنسان وإيقاعه في الضلال واركبه مركب الأماني الكاذبة فأهوى به في الزيغ والانحراف.

ومن صور الوعد الكاذبة في القرآن ما حصل للمشركين في مكة حيث وعدهم النصر على رسول الله ﷺ والغلبة والظفر.

فلما التقى الفريقان نكص عدو الله وتسربت وعوده ولم ينفع حينها الندم..

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (مرجع سابق) ج١ ص٩٩.

(٢) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٢ ص١٧٩.

لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٤٨].

قال قتادة: " ذكر لنا انه - أي إبليس - رأى جبريل تنزل معه الملائكة، فزعم عدو الله انه لا يد له بالملائكة، وقال إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله وكذب والله عدو الله ما به مخافة الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ عند ذلك "[1].

وهذه صورة لوعوده الكاذبة بالظفر في الآخرة ولكن تتبخر هذه الوعود يوم تتضح الحقائق، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة إبراهيم، آية: ٢٢].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: " يخبر تعالى عما خاطب إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات واسكن الكافرين الدركات فقام إبليس فيهم لعنه الله يومئذ خطيبا ليزيدهم حزنا إلى حزنهم وغبنا إلى غبنهم وحسره إلى حسرتهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي على ألسنة رسله ووعدكم في إتباعهم النجاة والسلامة وكان وعدا حقا وخبرا صدقا وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم كما قال الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة النساء، آية: ١٢٠].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٠ ص١٩، البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (مرجع سابق) ج٣ ص٦٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور (مرجع سابق) ج٣ ص٣٤٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

ها هو الشيطان يقول: ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ .

يقول الواحدي في تفسيره: " وقال الشيطان يعني إبليس لما قضي الأمر فصار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وذلك أن أهل النار حينئذ يجتمعون باللائمة على إبليس فيقوم خطيبا ويقول: إن الله وعدكم وعد الحق، يعني كون هذا اليوم فصدقكم وعده، ووعدتكم أنه غير كائن فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان أي ما أظهرت لكم حجة على ما وعدتكم، إلا أن دعوتكم لكن دعوتكم فاستجبتم لي فصدقتموني "[1].

إنه وعد ولكنه أخلف الوعد فحري بالإنسان العاقل أن لا يتبع هذا الأسلوب، ولا يقع في وعود وهمية صرح الله تعالى أنها لن تنفع صاحبها، فيجري وراء السراب.

ومن مجموع ما سبق يتضح لك أخي المربي والمتربي أن الأماني والوعود الكاذبة يستخدمها الشيطان مع الإنسان كأسلوب وطريقة في الوصول به لغايته وهدفه وهو الغواية والضلال في الدنيا، ودخول النار في الآخرة، فعلينا كمربين أن نكون يقظين في مسيرتنا في الحياة الدنيا، كي لا نقع في شراكه فتضيع دنيانا وآخرتنا.

ثامنا: التخويف:

ومن أساليب وطرق الشيطان في إضلال الإنسان التخويف، ويأخذ التخويف صوراً وأشكالاً متنوعة بحسب حال الإنسان، ومن هذه الصور:

١- أنه يخوف المؤمن من أوليائه:

من كيد الشيطان انه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان.

وقد أخبرنا سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ

---

(١) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مرجع سابق) ج١ ص٥٨١.

وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٧٥]. والمعنى: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: (يعظمهم في صدورهم)[١].

فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم، قال ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ: " إن الشيطان ليفرق منك يا عمر "[٢] وذلك إنما كان بسبب يقينه وإيمانه بربه.

يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: " إن الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائه، ويلبسهم لباس القوة والقدرة ويوقع في القلوب أنهم ذوو حول وطول، وأنهم يملكون النفع والضر "[٣].

كما قال: " الشيطان صاحب مصلحة في أن يبدو الأمر هكذا، فتحت ستار الخوف والرهبة وفي ظل الإرهاب والبطش يفعل أوليائه في الأرض ما يُقر عينه فيقلبون المعروف منكراً والمنكر معروفا وينشرون الفساد والباطل والضلال " .

وهذا التخويف يوقعه في قلوب الخاصة من أبناء الأمة قبل العامة، وهم العلماء والدعاة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فكم رأيت من خواص الأمة يحجم عن نشر العلم، أو الدعوة إلى الله، أو الجهاد في سبيل الله، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بسبب الخوف؛ والله المستعان.

٢- التخويف من الفقر :

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٨].

يقول السعدي في تفسيره: " وإياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (مرجع سابق) (١/١٠١).
(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد (مرجع سابق) ج٤٦ ص٤٦٣.
(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٢ ص٢.

بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتم، وليس هذا نصحاً لكم، بل هذا غاية الغش "[(١)].

ويقول القطان: " الشيطان يخوفكم من الفقر، ويغريكم بالبخل، ويحاول أن يصرفكم عن صالح الأعمال، حتى لا تنفقوا أموالكم في وجوه الخير، بل في المعاصي "[(٢)].

وقال في المنتخب: " الشيطان يخوفكم من الفقر، ويثبطكم عن كل عمل صالح لتنصرفوا عن الإنفاق في وجوه الخير، ويغريكم بالمعاصي، والله واسع المغفرة قادر على إغنائكم، لا يخفى عليه شيء من أموركم "[(٣)].

يقول الطنطاوي: " قوله: (يَعِدُكُمُ) من الوعد، وهو في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير والإيعاد في الشر؛ وقد استعمل هنا في الشر نظراً إلى أصل الوضع، لأن الفقر مما يراه الإنسان شراً ولذلك يخوف الشيطان به المنفقين، فيقول لهم: لا تنفقوا الجيد من أموالكم، لأن إنفاقكم هذا يؤدي إلى فقركم ونضوب ما بين أيديكم من أموال.

والفقر: هو ما يصيب الإنسان من سوء في الحال ومن ضعف بسبب قلة المال، وأصل الفقر في اللغة: كسر فقار الظهر، ثم وصف الإنسان المحتاج الضعيف بأنه فقير تشبيهاً له بمن كسر فقار ظهره فأصبح عاجزاً عن الحركة لأن الظهر هو مجمع الحركات، ومنه تسميتهم المصيبة فاقرة، وقاصمة الظهر.

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص١١٥.

(٢) القطان، يحيى بن سعيد: تفسير القطان، (مرجع سابق) ج١ ص١٦٠.

(٣) ابن حميد، أبو محمد عبد: المنتخب من مسند عبد بن حميد، الطبعة الأولى، طبعة عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: السيد صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي. ج١ ص٧٥.

والفحشاء والفحش والفاحشة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، ويرى كثير من العلماء أن المراد بالفحشاء في الآية: البخل الشديد، فإن كلمة الفاحش وتطلق في لغة العرب على: البخيل الشديد البخل.

ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

والمعنى: الشيطان يوعدكم إذا أنفقتم بالفقر، وضياع الأموال، ويحذركم من الصدقة، بما يوسوس في نفوسكم من شرور وآثام، ويغريكم بارتكاب المعاصي التي من أقبحها البخل الشديد، والشح المهلك، فعليكم أن تحذروه وأن تنفقوا من أموالكم في سبيل الله ما يوصلكم إلى رضوانه ورحمته "[1].

ويقول صاحب التنوير: " (الشيطان يَعِدُكُمُ الفقر) يخوفكم الفقر عند الصدقة (وَيَأْمُرُكُم بالفحشاء) بمنع الزكاة "[2].

كما يقول حقي: " (الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتباً على شيء من زمان أو غيره، يستعمل في الشر استعماله في الخير، قال الله تعالى (النار وعدها الله الذين كفروا) والمعنى: أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل: أمسك مالك فانك إذا تصدقت به افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) أي بالخصلة الفحشاء، أي ويغريكم على البخل، ومنع الصدقات، إغراء الآمر المأمور على فعل المأمور به، والعرب تسمى البخيل فاحشا "[3].

قال ابن كثير في تفسيره: " أي: يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله، ومع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الفقر والإملاق، يأمركم بالمعاصي

---

(١) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، (مرجع سابق) ج١ ص٤٩٨.

(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، (مرجع سابق) ج١ ص٤٨.

(٣) حقي، إسماعيل: تفسير حقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، ج٢ ص٩٠.

والمآثم "[1].

يقول سيد قطب: " الشيطان يخوفكم الفقر، فيثير في نفوسكم الحرص والشح والتكالب "[2].

وهذا أسلوب آخر وهو متعلق بالمال وعدم إنفاقه، فكثيرهم أولئك الذين يخافون الفقر ويخافون على الرزق الذي تكفل به الله تعالى حيث قال: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٨]. وانك لتعجب كيف يتمكن الشيطان ويجعل الإنسان يرى فقره بين عينيه وهو من أثرى الأثرياء وفي ذات الوقت يخشى ويخاف على نفسه الفقر وما ذلك إلا من الشيطان، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : " مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ "[3].

وصدق القائل: " عجباً لكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل "[4].

٣- التخويف من المرض :

---

(١) العزاز، عبدالله عبدالكريم: مداخل الشيطان، راجعه: عجيل جاسم النشمي، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ. ص ٣٩.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص٢٩٢.

(٣) القزويني، عبدالله بن محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. ج١٢ ص١٢٨.

(٤) الحداد الشافعي، عبدالله بن علوي: رسالة المذاكرة مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٢هـ. ص ٤٥.

المرض: ضرر يصيب جسد الإنسان، فقد يدخل الشيطان من هذا الباب فيوهم الإنسان أنه مريض، وهو ليس كذلك، ليشغله بما يتوهمه عما هو مأمور به.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة، آية: ٥١].

فيجب على العبد أن يؤمن بالقدر خيره وشره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد يصاب الإنسان بمرض حقيقي فيصبح الإنسان خائفاً ووجلاً من هذا المرض مقيداً كسيراً أسيرا للشيطان.

٤- التخويف من المـوت :

الموت: هو انفصال الروح عن الجسد وانتقالها من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ. والإنسان المؤمن يعرف أن الموت حق، وأن كل إنسان خارج من هذه الدنيا قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٨٥]. وان كان هذا القدر يشترك فيه جميع العقلاء، إلا أن المؤمن يعلم أن له عمراً وأجلاً محدوداً إذا جاء هذا الأجل لا يرده شيء، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[سورة الأعراف، آية: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الجمعة، آية: ٨].

إلا أن الشيطان قد يدخل على الإنسان من هذا الباب، فيخوفه من الموت وينسى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.

والخلاصة أنه متى ما أسلم الإنسان قياده للشيطان واستسلم له وانقاد معه وأصبح من أتباعه وأوليائه زاد تمكن الشيطان منه وتخويفه له بأنواع وصور مختلفة من الخوف فهو أسلوب من أساليب الشيطان أعاذنا الله وإياكم من مضلات الفتن.

تاسعا : التدرج :

إن التدرج أسلوب من أساليب الشيطان الماكرة أجاد استخدامه وأتقن تطبيقه فكان حاذقاً ماهراً يعامل الإنسان بحسب حاله، وقربه وبعده، وقوة إيمانه وضعفه.

أشار حدري إلى تدرج الشيطان بالإغواء بقوله: " ثم بين القرآن الكريم أن الشيطان لا يوقع العبد في الغواية دفعة واحدة ولكن طريقته في الإغواء تسير خطوة خطوة، فإذا كسب الخطوة الأولى أوشك أن يوقع العبد في الخطوة الثانية وهكذا، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٠٨] [(١)].

كما قال في التفسير الكبير: "إن الشيطان إذا دعا إلى المعصية فلا بد وأن يقرر أولاً أنه لا مضرة في فعله البتة، وذلك إنما يمكن إذا قال: لا معاد، ولا جنة، ولا نار، ولا حياة بعد هذه الحياة، فبهذا الطريق يقرر عنده أنه لا مضرة البتة في فعل هذه المعاصي، وإذا فرغ من هذا المقام قرر عنده أن هذا الفعل يفيد أنواعاً من اللذة والسرور، ولا حياة للإنسان في هذه الدنيا إلا به.." [(٢)].

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦٨].

والخَطوة بالفتح: المدة من نقل القدم، والخُطوة بالضم: بعد ما بين قدمي الماشي. قال سيد طنطاوي في الوسيط: " فيه إشعار بأن الشيطان كثيراً ما يجر الإنسان إلى الشر خطوة خطوة ودرجة درجة حتى يجعله يألفه ويقتحمه بدون تردد، وبذلك

---

(١) الحدري، خليل بن عبدالله: التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة، ١٤١٨هـ. ص١٣٧.

(٢) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي: التفسير الكبير (مرجع سابق) ج٢١ ص٧ بتصريف يسير.

يكون ممن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله "[(١)].

وقال في النكت والعيون: "إنها الانتقال من معصية إلى أخرى حتى يستوعب جميع المعاصي، مأخوذ من خطو القوم انتقالهم من مكان إلى آخر"[(٢)].

وقال صاحب التحرير والتنوير: " فإن من كيد الشيطان أنه يأتي بوسوسة في صورة خواطر الخير، إذا علم أن الموسوس إليه من الذين يتوخون البر والطاعة، وأنه من الذين يتعذر عليه ترويج وسوسته إذا كانت مكشوفة "[(٣)].

كما قال الرازي: " الشيطان قد يدعو إلى الخير لكن لغرض أن يجره منه إلى الشر، مثل أن يجره من الأفضل إلى الفاضل، ومن الفاضل إلى الشر، ومثل أن يجره من الفاضل الأسهل إلى الأفضل الأشق، ليصير ازدياد المشقة سبباً لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية " .

لقد جاء التحذير من خطوات الشيطان في كتاب الله تعالى في أربعة مواضع وهي:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦٨].

إن عدم الأكل من الحلال الطيب لهو خطوة من خطوات الشيطان.

يقول ابن كثير في تفسيره: " قال قتادة والسدي في قوله: (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان. وقال عكرمة: هي نزعات

---

(١) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، (مرجع سابق) ج١ ص٣٥٦.

(٢) الماوردي: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، (مرجع سابق) ج١ ص٤٥١.

(٣) ابن عاشور، الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع: تونس، ١٩٨٤م. ج٩ ص٤٥٨.

الشيطان "[1].

ويقول البغوي: " وخطوات الشيطان آثاره وزلاته، وقيل: هي النذور في المعاصي، وقال أبو عبيدة: هي المحقرات من الذنوب. وقال الزجاج: طرقه "[2].

ويقول صاحب فتح القدير في تفسيره: " قال الجوهري: والخَطوة بالفتح المرة الواحدة والجمع خطوات وخطى انتهى. والمعنى على قراءة الجمهور: لا تقفوا أثر الشيطان وعمله، وكل ما لم يرد به الشرع فهو منسوب إلى الشيطان، وقيل: هي النذور والمعاصي، والأولى التعميم وعدم التخصيص بفرد أو نوع، وقوله: (إنه لكم عدو مبين) أي: ظاهر العداوة "[3].

٢- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٠٨].

كما أن أخذ بعض الدين وترك بعضه الآخر، صورة أخرى من خطوات الشيطان الرجيم.

يقول ابن كثير: " (وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ) أي: اعملوا بالطاعات، واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان "[4].

كما يقول الواحدي: (وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ) أي آثاره ونزغاته"[5].

---

(١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج١ ص٢٠٥.

(٢) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (مرجع سابق) ج١ ص١٣٨.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (مرجع سابق) ج١ ص١٦٧.

(٤) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج١ ص٢٤٩.

(٥) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مرجع سابق) ج١ ص١٦٠.

ويقول البغوي في تفسيره: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت، ولحوم الإبل وغيره"[1].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٤٢].

يقول الواحدي: " (وَمِنَ الأَنْعَامِ) وأنشأ من الأنعام حمولة: وهي كل ما حمل عليها مما أطاق العمل والحمل (وَفَرْشًا): وهو الصغار التي لا يحمل عليها، كالغنم والبقر والإبل الصغار، (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) أي أحل لكم ذبحه (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) في تحريم شيء مما أحله الله (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بيّن العداوة أخرج أباكم من الجنة وقال: (لأحتنكن ذريته)"[2].

كما يقول في الجلالين: " وأنشأ من الأنعام حمولة صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار، وفرشاً لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سميت فرشا لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها، (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرائقه من التحريم والتحليل (إنه لكم عدو مبين) بين العداوة"[3].

ويقول السعدي: " أي وخلق وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً أي بعضها تحملون عليه وتركبونه، وبعضها لا تصلح للحمل والركوب عليها لصغرها كالفصلان ونحوها وهي الفرش، فهي من جهة الحمل والركوب تنقسم إلى هذين القسمين، وأما من جهة الأكل وأنواع الانتفاع فإنها كلها تؤكل وينتفع بها، ولهذا

---

(١) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (مرجع سابق) ج١ ص١٨٣.

(٢) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مرجع سابق) ج١ ص٣٧٨.

(٣) جلال الدين محمد المحلى، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، (مرجع سابق) ج١ ص١٨٧.

قال: (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طرقه وأعماله التي من جملتها أن تحرموا بعض ما رزقكم الله، (إنه لكم عدو مبين) فلا يأمركم إلا بما فيه مضرتكم وشقاؤكم الأبدي "[1].

٤- وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [سورة النور، آية: ٢١] .

يقول ابن كثير في تفسيره: " (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر وهذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة، وأبلغها، وأوجزها، وأحسنها، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: خطوات الشيطان عمله، وقال عكرمة: نزغاته، وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان، وقال أبو مجلز: النذور في المعاصي من خطوات الشيطان، وقال مسروق: سأل رجل ابن مسعود فقال: إني حرمت أن آكل طعاماً وسماه، فقال: هذا من نزغات الشيطان، كفر عن يمينك وكل، وقال الشعبي: في رجل نذر ذبح ولده، هذا من نزغات الشيطان وأفتاه أن يذبح كبشاً، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصري حدثنا السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال: غضبت على امرأتي، فقالت: هي يوماً يهودية ويوماً نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك، فأتيت عبد الله بن عمر فقال: إنما هذه من نزغات الشيطان، وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة، وأتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك "[2].

كما يقول صاحب الجلالين: " (يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان)

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٧٧.

(٢) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج٣ ص٢٧٦.

أي طرق تزيينه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) أي المتبع (يأمر بالفحشاء) أي القبيح (والمنكر) شرعاً بإتباعها "[1].

يقول السمرقندي: " الشيطان يتدرج بالإنسان في الإضلال والغواية فهو يتجه بالإنسان خطوة خطوة نحو الهاوية، كلما روضه على معصية قاده إلى معصية أكبر منها وأشد "[2].

ومن هذه الخطوات ما ذكره ابن القيم – رحمه الله – تعالى، فهو يسعى بالعبد لإيقاعه في الشرك أو الكفر ليخرجه من دائرة الإسلام، وهذا غاية ما يسعى إليه الشيطان، فإذا ما ظفر بذلك فقد فاز بمراده، وحقق هدفه القريب والبعيد".

يقول ابن القيم – رحمه الله – تعالى: " الشر الأول شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريد من العبد، فلا يزال به حتى يناله منه، فإذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره واستنابه على أمثاله وأشكاله فصار من دعاة إبليس ونوابه "[3].

فإذا نجا العبد من الشرك فإنه يسعى لإيقاعه فيما هو دونه وهي البدعة.

والبدعة خطرها عظيم جسيم فعن العرباض بن سارية ﷺ قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين

---

(١) جلال الدين محمد المحلى، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، (مرجع سابق) ج١ ص٤٦٠.

(٢) تفسير السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمود مطرجي. ج٢ ص٥٠٤.

(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: بدائع الفوائد، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. ج١ ص٢٦٠.

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "[1].

فإذا نجا العبد من الوقوع في البدعة، فإنه يدعوه للوقوع في كبائر الذنوب والفواحش يزينها ويجملها له ويقربه منها خطوة خطوة، فإنه يدعوه إلى المعصية ويزينها له في نفسه، ثم يحبب إليه النظر فيها وتحسينها في نفسه فإذا استحسنها سهل عليه الوقوع فيها، وأطمعه في رحمة الله تعالى وعفوه ومغفرته، وأشعره بأن هذه المعصية من اليسير، ولا تخرجه من الإسلام حتى تزول هيبة المعصية في قلبه، وربما بهذا أمن عقابها، ثم أكثر منها وفعلها، وأوشك على الحرمان من لذة العبادة، والأنس بالله وبشرعه، وإذا لم يتمكن منه الشيطان فانه ينتقل به إلى الصغائر ويغريه بها، وإنه مدخل عظيم حذرنا منه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِمَا تَحْقِرُونَ "[2].

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من محقرات الذنوب فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: " إياكم ومحقرات الذنوب، ومثلها كقوم نزلوا في بطن وادٍ فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد، (مرجع سابق) ج٤ ص١٢٦-١٢٧، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، (مرجع سابق)، حديث ٤٦٠٧ باب في لزوم السنة، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الصحيح (سنن الترمذي) الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٨هـ، باب العلم، حديث ٢٦٧٦ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، وقال أبو عيسى: " هذا حديث حسن صحيح "، القزويني، عبدالله بن محمد بن يزيد: المقدمة، حديث ٤٢ باب في إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج١٧ ص٤٩٦.

صاحبها تهلكه "[1].

فإذا نجا العبد المسلم من هذه فان الشيطان يشغله بالمباحات والانصراف إليها والإشتغال بها فلا يبقى له وقت للقربات والنوافل والطاعات، فكم ضاعت في هذه العقبة أعمار، وكم مضت فيها من الأعوام والأشهر والأسابيع، فذهب عمر الإنسان في جمعها والحرص عليها والتلذذ بها، ومن الناس من ضيع عمره في طلب المباح من الدنيا ولم يظفر بها، وقد زهدنا الله في مباحها وعاتب الله تعالى خير خلقه على الإشتغال بإصلاحها، قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الحديد، آية: ١٦].

فهو عتاب للمهاجرين والأنصار، عندما اهتم المهاجرون بالتجارة، والأنصار بالزراعة، بعد استقرار الإسلام في المدينة، فكيف والحال ما نرى اختلاط الحلال بالحرام والسلامة لا يعدلها شيء ؟

فإذا نجا العبد من هذه الدركة، فإن الشيطان يشغله بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، وكم صد من هذا الباب أناس شغلهم بالعبادة مع الجهل عن طلب العلم والتفقه فيه، يقول ابن القيم – رحمه الله –: " وقل من يتنبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعياً قوياً ومحركاً إلى نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربة، فإنه لا يكاد يقول: أن هذا الداعي من الشيطان فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير، فيقول هذا الداعي من الله، وهو معذور، ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٥ ص٣٣١، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: السنن الكبرى، طبعة دار المعرفة: بيروت، توزيع مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، شعب الإيمان ج ٥ ص٤٥٦، البغوي: شرح السنة، =

= الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي: دمشق، بيروت،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، ج١٤ ص٣٩٩.

بسبعين بابا من الخير، إما ليتوصل به إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً وأجل وأفضل، وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله وأحبها وأرضاها له وأنفعها للعبد وأعمها نصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ، ونوابه في الأمة، وخلفائه في الأرض، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك فلا يخطر بقلوبهم، والله يمن بفضله على من يشاء من عباده"[(١)].

وهذه بعض صور التدرج مع الإنسان وبعض خطواته ولا يلزم أن تكون هذه الغايات للشيطان بنفس التدرج كما ذكرها ابن القيم، فإنه قد يجمع له بين خطوتين وثلاثة، وقد يبدأ معه بشغله بالمفضول عن الفاضل، فالمباح، فالصغائر، فالكبائر، وهكذا وقد لا يكون على هذا النحو.

ولذا على الإنسان المسلم مربياً ومتربياً عندما يروم الكمال البشري عليه أن يتنبه لعداوة عدوه، ولا يسلم نفسه لهذا العدو الماكر المتربص، فان الحرب سجال بينك وبينه، والله المستعان.

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: بدائع الفوائد، (مرجع سابق) ج٢ ص٤٥٨.

المبحث الثالث: الأساليب المحددة:

كان الحديث في المبحث الأول عن الأحوال التي يأتي بها الشيطان للإنسان، وهي إتيانه عن طريق الوسوسة، وإتيانه على وجه الحقيقة بالفعل، وإتيانه بالتمثل والتشكل بصور مختلفة، على صورة إنسان، أو حيوان، أو جماد، أو نبات، كما أنه يمكن أن يأتي على صورته الحقيقية، أو صور مخيفة، ويأتي أيضاً في المنام، ثم كان الحديث في المبحث الثاني عن الأساليب العامة التي يأتي بها الشيطان، والمتمثلة في: التزيين، والتشكيك، والانساء، والوعد مع الأماني الكاذبة، والتخويف، والأمر بالسيئات، والحث عليها، والتثبيط عن الحسنات والتكسيل عنها، والإفراط والتفريط، ثم ختم الحديث عن أسلوب التدرج أحد أساليب الشيطان الماكرة.

أما المبحث الثالث فسيكون الحديث فيه عن الأساليب المحددة، ويتناول مجموعة من الأساليب وهي: حمل الإنسان على الاتصاف بصفاته، وإتباع خطواته المتمثلة في مجموعه من المحددات وهي: الكبر، والحسد والحقد، والحيل، وإعمال العقل، والظلم، والكفر، والشرك، والبدع، والكبائر، ومحقرات الذنوب، ثم النساء، والخمر، والمال واللهو، والسحر.

وأبدا مستعيناً بالله تعالى في استعراض هذه الأساليب.

أولاً: حمل الإنسان على الاتصاف بصفاته وإتباع خطواته.

ويكون الحديث في هذا الأسلوب من وجهين:

الوجه الأول: حمل الإنسان على الاتصاف بصفاته.

الوجه الثاني: حمل الإنسان على إتباع خطواته.

أ - حمل الإنسان على الاتصاف بصفاته.

من خلال دراسة قصة آدم عليه السلام مع إبليس في القرآن العظيم والتي جاءت في سبع سور من القران وهي: البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء،

والكهف، وطه، وص، توصلت إلى أهم الصفات التي يتصف بها الشيطان لأجد أن هناك علاقة بين صفات الشيطان وصفات المنحرفين من بني آدم، وأهم هذه الصفات: الكبر والحسد والحقد والحيل وإعمال العقل والظلم، وحرصاً على عدم التكرار فإنه سبق الحديث عن الكبر والحسد والحقد وإعمال العقل في أسباب عداوة الشيطان، وسيأتي الحديث عن الظلم والحيل والمكر والخداع في أثر الشيطان على الإنسان، لذا سأتجاوز الحديث عنها هنا منعاً للإطالة وحرصاً على الاختصار فلتنظر هناك.

ب – حمل الإنسان على إتباع خطواته.

وقد قسم ابن قيم الجوزية الذنوب في كتابه الداء والدواء إلى أربعة أقسام، وذكر منها الذنوب الشيطانية حيث قال: "أما الشيطانية: فالتشبه بالشيطان في الحسد، والبغي، والغش، والغل، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله وتحسينها، والنهي عن طاعته وتهجينها، والابتداع في دينه، والدعوة إلى البدع والضلال"[(١)].

أبرز وأهم خطوات الشيطان التي يسوق الإنسان من خلالها: الكفر، والشرك، والبدع، والكبائر، والصغائر من محقرات الذنوب.

ثانياً: النساء:

لقد كرم الإسلام المرأة، وأعتبر النساء شقائق الرجال، وأوصى بها أماً وأختاً وبنتاً وزوجة خيراً، ولا يتسع المقال لتقرير هذه المسألة، ويمكن الرجوع إليها في مظانها.

إلا أن الشيطان اتخذ من النساء أداة لإفسادها، وإفساد المجتمعات بها، ويتضح ذلك بالنظر إلى معاملة المرأة عبر التاريخ في جميع الحضارات السابقة، الهندية،

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: الداء والدواء، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه علي بن حسن بن علي ابن عبدالحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٧هـ. ص ١٩١.

والفارسية، والمصرية، واليونانية، والرومانية، وعند أهل الأديان الأخرى، وفي الحضارة الغربية المعاصرة؛ بل إن الشيطان اتخذ من المرأة أداة للإفساد والشر، وما السعار الجنسي الذي يلتهب به العالم اليوم إلا والمرأة أداته، بزينتها، ورقصها، وغنائها، وتعريها وإذا افتتن الرجال بالنساء فيما مضى والحال على ما علمت فما هو ظنك والحال ما رأيت وخبرت:

فكم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

ألیست عیون الغيد هي التي قيل فيها:

يقتلن ذا اللب حتى لا حراك له وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقد اخبر النبي ﷺ عن نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، فمن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " صِنْفَانِ مِنْ أهل النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا "[1].

كما ورد في الحديث أن شر النساء المتبرجات، فعن أبي أذينه الصدفي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " شر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم "[2].

فانظر إلى النساء في الشوارع، أوفي الأسواق، يصدق عليهن حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: " الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ " قَالَ

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١١ ص٥٩.

(٢) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: السنن الكبرى، (مرجع سابق) ج٧ ص٨٢.

أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ "[1].

وقد نهى النبي ﷺ عن اعتراض المرأة للرجال مستعطرة، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال رسول الله ﷺ: " كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالْمَرْأَةُ إذا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةً "[2].

وقد حذر النبي ﷺ من فتنه النساء فقال: " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ "[3].

وقوله ﷺ : " إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ "[4].

وجاء في الأثر: " أن الشيطان يقول للمرأة: أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطيء، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي "[5].

وقال سعيد بن المسيب: " ما آيس إبليس من أحد إلا أتاه من قبل النساء "[6].

ولذا وجب على الرجال الحذر من النساء فإنهن حبائل الشيطان، ووجب على النساء أن يتقين الله فلا يفتن ولا يفتن، وليلزمن بيوتهن، ولا يخرجن إلا لحاجة، قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، (مرجع سابق) ج٤ ص٤٠٦.
(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح (سنن الترمذي) (مرجع سابق) ج٩ ص٤٦٩.
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١٦ ص٤١.
(٤) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١٣ ص٢٨٦.
(٥) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر: لبنان، ١٣٩١هـ. ج٥ ص٥٥٦.
(٦) المرجع السابق ج١ ص١٧٣.

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٣٣].

ثالثاً: الخمـر:

لقد عُرف شرب الخمر منذ القدم، وارتبط الناس به ارتباطاً وثيقاً، بل أحبوه وعاقروه، فهو من أشهى الشهوات، قد تغنى بها الشعراء قديماً وحديثاً، وحن لها أصحاب الشهوات والملذات، ولإرتباط الناس بها أخر الله تحريمها.

ومشهور قول عائشة في أنه لو كان أول ما نزل من القرآن تحريم الخمر لما استجاب الناس لذلك ولكن بعد استقرار الإيمان في القلوب جاء التحريم.

كما أن الخمر أداة فاعلة من أدوات الشيطان في إضلال الإنسان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة، آية: ٩٠-٩١].

والخمر كما يقول الراغب في تعريفها: " اسم لكل مسكر، وعند بعضهم: اسم للمتخذ من العنب والتمر، لما روي عنه ﷺ: " الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة " ومنهم من جعلها اسماً لغير المطبوخ، ثم اختلف في كمية الطبخ التي تسقط عن المطبوخ اسم الخمر "[١].

وتعتبر الخمر أم الخبائث، وداعية الشر، وسبب فساد وإفساد، وإليك هذه القصة العجيبة التي تبين لنا مدى خطورة الخمر وشربها وعظيم أثرها وامتداد وتطور تبعات شربها:

---

(١) الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، الطبعة الثالثة، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ. ص١٥٩.

" عنْ أَبي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُثْمَانَ ﷺ يَقُولُ: اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلا قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَو تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا، أَو تَقْتُلَ هَذَا الْغُلامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا قَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ "(١).

فانظر أيها الموفق كيف سول الشيطان لهذا العابد الصالح شرب الخمر، وبعد شربها وقع في الزنا، وقتل النفس، مما يدل على خطورة الخمر وعظيم أثرها، وأخطر من ذلك أن من شرب الخمر وأدمن شربها يوشك أن يخرج الإيمان من قلبه إن لم يترك شرب الخمر، والله الموفق.

كما أن نبي الله ﷺ ضمن لمن إجتنب بعض الذنوب الجنة، ومن هذه الذنوب شرب الخمر وذلك لخطورة شرب الخمر.

" عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تشربوا، فمن فعل شيئاً من ذلك، فأقيم عليه حده فهو كفارة، ومن ستر الله عليه، فحسابه على الله عز وجل، ومن لم يفعل شيئاً من ذلك

---

(١) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي، وهو بشرح الإمام السيوطي، وحاشية السندي، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.ج١٧ ص١٤٤.

ضمنت له الجنة "[1].

كما أن شرب الخمر من الشيطان، ومن شربها فهو في حوزة الشيطان، فوجب على المؤمنين وإن أقاموا الحد على الشارب، فلا يعينو الشيطان على أخيهم بالدعاء عليه بل يحتووه ويدعو له بخير.

" عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: اضْرِبُوهُ، قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: لا تَقُولُوا هَكَذَا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ "[2].

تتنوع وتتعدد صور الخمر تنوعاً يفوق الحصر، فجعل الإسلام لنا قاعدة في معرفة القدر المحرم من المسكرات، وتوعد من شربها بأن يشرب يوم القيامة من عرق أهل النار وعصارتهم.

" عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ وَجَيْشَانُ، مِنْ الْيَمَنِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنْ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَو مُسْكِرٌ هُو "، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ "، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: " عَرَقُ أهل النَّارِ أَو عُصَارَةُ أهل النَّارِ "[3].

وتأكيداً على أن المسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام، تقول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ مِنْهُ

---

(١) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، الطبعة الأولى، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ، تحقيق الدكتور محمود الطحان. ج٢ ص٤٣٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٢١ ص٣٠.

(٣) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١٠ ص٢٥٧.

الْفَرْقُ فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ "[1].

وليعلم المسلم أن أنواع المخدرات تدخل في هذا التحريم بل هي أشد، وأثرها أعظم، وانتشر بلاؤها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعاً: المال بشتى صوره:

ومن الأساليب المحددة التي استخدمها الشيطان في إضلال الإنسان المال، حيث أن المال سلاح ذو حدين، وقد يعيش الإنسان إذا فقد التوازن، والوسطية، والاعتدال أحد هذين الطرفين، فيكون فريسة للشيطان.

وللشيطان مع الإنسان في المال أربع حالات:

1- من جهة تحصيله:

وقد بين الله تعالى في محكم التنزيل أن المال من زينة الحياة الدنيا، حيث أن النفوس تحبه النفوس وتميل إليه قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٤].

فنلاحظ أن الشيطان حبب هذه الشهوة وهي شهوة المال في نفوس الناس على اختلاف صورها وأشكالها سواء كان ذهباً أو فضة، أحبوها قناطير مقنطرة، وكم يتمنى الناس ويسعون لتحقيق أرصدة مالية ضخمة سواء كانت من الخيل المسومة، أو الأنعام "بقر أو غنم أو إبل"، وكذلك المزارع الضخمة (والحرث).

ثم بين الله تعالى في ختام هذه الآية أن كل هذا النعيم زائل فهو متاع دنيوي (ذلك متاع الحياة الدنيا) وفيه لفته لعدم الاغترار به، وصرف الأوقات والأعمار في تحصيله، ثم إنه قد يحصله الإنسان، وقد يعجز عن تحصيله، فان الناس تُفنى خلاصة

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، (مرجع سابق)، ج١٠ ص١١٢.

وقتها وجهدها من أجل المال، فالإنسان يتعب في جمعه وتحصيله.

وفي قصة قارون عبرة للمعتبرين، حيث قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة القصص، آية: ٧٩-٨٣].

إن أولئك الذين تمنوا مثل ما أوتي قارون من المال وشعروا أنه صاحب حظ عظيم عندما شاهدوا حاله ومصيره وان الله خسف به وبداره الأرض علموا علم اليقين أن السعادة ليست في المال، إنما السعادة عَلِمَها الذين أوتوا العلم وبحثوا عن ثواب الله تعالى، وأن الاستقامة على شرع الله تضمن للإنسان سعادة الدارين.

وحقاً أولئك الذين جمعوا المال في الدنيا ولم يكن لهم نصيب وحظ من الإيمان بالله تعالى هم أولياء الشيطان وأتباعه وحزبه، لذا يقول أحدهم يوم القيامة: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴾ [سورة الحاقة، آية: ٢٨].

كما سيقولها أمية بن خلف وأمثاله من أتباع الشيطان ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء، آية: ٨٨-٨٩].

٣- من جهة إنفاقه:

أي أن الإنسان يبذل في الإنفاق فيدفع بالمال في وجوه متنوعة من الحرام، أو

يتوسع في المباح بما يصرفه عن طاعة ربه تعالى والقيام بحقه الواجب فيكون التبذير من الشيطان، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٢٦-٢٧].

وأمرنا الله تعالى بالاعتدال والتوسط في التعامل مع المال حيث المنهج المعتدل هو ما امتدح الله به عباده الذين حققوا معنى العبودية في حياتهم فكانوا وسطا في نفقاتهم قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [سورة الفرقان، آية: ٦٧].

٣- من جهة البخل به:

إن الإنسان قد يمسك المال ولا ينفقه خشية الفقر، فبسبب خوف الإنسان من الفقر يمارس البخل، كما قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٨].

٤- من جهة تكثيره وتنميته وحفظه:

كما يجتهد الإنسان في تحصيل المال، فإنه كذلك يجتهد ويتعب في حفظه، واستثماره، وتنميته، كما يحصل له القلق من فواته أو زواله.

فلو كان لابن ادم وادٍ من ذهب لطلب آخر، ولو كان عنده واديان لطلب ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

وبهذا يتضح أن الشيطان يشغل الإنسان بالمال من حيث تحصيله، وصرفه، والبخل به، والمحافظة عليه، وتنميته، فينشغل قلبه وعقله بالمال جمعاً، وإنفاقاً، وحفظاً، وينهك جسده في الجري ورائه، فتصرف الأعمار والأوقات في طلب الأموال في هذه الدنيا الفانية الزائلة فماذا يبقى للإنسان وعمارة الآخرة؛ فحري أن يحذر المربون والمصلحون وعامة المتربون من المال، فهو الشغل الشاغل للخاصة قبل العامة بل لا

ينجو من الانشغال به أحد، وفي زماننا اليوم تجد أن الناس شغلهم المال كباراً وصغاراً ذكوراً وإناثاً فقراء وأغنياء.

فيا عجبا كيف تجد العفيفات خرجن من بيوتهن لغير حاجه يطلبن التجارة والزيادة.

ورأيت الأطفال الصغار يلهثون وراء الأسهم بصورة لم تعهد مجتمعاتنا لها مثيل، فأصبح الطفل والمرأة يخشى الفقر وهو لم يكلف نفقة، كل ذلك من تلاعب الشيطان بالإنسان، فليحذر المجتمع المسلم من هوس المال خاصة في هذه الحقبة من الزمن الذي انفتحت الدنيا على الناس بصورة لم يكن لها مثيل سابق وبخاصة في بلادنا حرسها الله

واختم بما ورد عن ثابت ﷺ قال: " لما بُعث النبي ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم: مالكم لا تصيبون منهم شيئاً، فقالوا: ما صحبنا قوماً مثل هؤلاء، فقال: رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم "[(١)].

فلاحظ أيها الموفق المسدد بإذن الله كيف توعد إبليس أصحاب رسول الله ﷺ بانفتاح الدنيا عليهم فكيف بحالنا، والله المستعان.

خامساً: اللهـو:

"اللهو: مصدر لها يلهو، وهو مأخوذ من مادة (ل هـ و) التي تدل على شغل عن شيء بشيء، فاللهو: كل شيء شغلك عن شيء "[(٢)].

---

(١) ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: تلبيس إبليس، (مرجع سابق) ص٤٣.

(٢) ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، القاهرة، ١٩٦٩م، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج٥ ص٢١٣.

واللهو: "ما شغلك من هوى وطرب"[1].

"واصل اللهو: الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة"[2].

وقال الجرجاني: "اللهو: الشيء الذي يتلذذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي"[3].

وقال المناوي: "اللهو: ما يشغل الإنسان عما يعينه ويهمه"[4].

وقال الطرطوشي: "أصل اللهو: الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة"[5].

وقال الكفوي: "كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني فهو لهو"[6].

واللهو الباعث على تنشيط النفس على الخير ولا يشغل عن حق وليس فيه حرام لا مانع منه، إلا أن اللهو إذا كان فيه حرام فهو حرام، وهو من الشيطان.

وقد يمارس بعض الناس اللهو بصور محرمة، ومنه: اتخاذ الحيوانات غرضاً للرماية.

" عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَغُلامٌ مِنْ بَنِي يَحْيَى رَابِطٌ دَجَاجَةً يَرْمِيهَا، فَمَشَى إِلَيْهَا ابْنُ عُمَرَ حَتَّى حَلَّهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا وَبِالْغُلامِ مَعَهُ، فَقَالَ: ازْجُرُوا غُلامَكُمْ عَنْ أَنْ يَصْبِرَ هَذَا الطَّيْرَ لِلْقَتْلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ تُصْبَرَ

---

(١) الأزهري، محمد بن أحمد: تهذيب اللغة،(مرجع سابق) ج٦ ص٤٢٧-٤٢٩.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ٧٧٠هـ، ص٢١٤.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، الطبعة الثانية، دار الكتاب: بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، تحقيق: إبراهيم الأنباري. ص٢٠٤.

(٤) المناوي: محمد عبدالرؤوف: التوقيف على مهمات التعريف، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة. ص٢٩٣.

(٥) صالح بن عبدالله بن حميد، عبدالرحمن بن محمد عبدالرحمن بن ملوح: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ١٤١٨هـ.

(٦) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني: الكليات، الطبعة الأولى، دار الفكر: دمشق، ١٤١٠هـ، تحقيق الداية. ص٧٧٨.

بَهِيمَةٌ أَو غَيْرُهَا لِلْقَتْلِ "[1].

وقصة عبد الله بن عمر تدل على ذلك، والذي بين لنا أن رسول الله ﷺ لعن من فعل ذلك.

وقد شدد أصحاب رسول الله ﷺ على أن من اتخذ الطير غرضاً يرمى.

" عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا، لَعَنْ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا "[2].

ومن اللهو المحرم الذي يشغل الإنسان ولا ينفع وهو من الشيطان لعب النرد، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ "[3].

كما جاء أيضاً: عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: (من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه)[4].

وهناك أوقات يجب على الآباء والأمهات أن يكفو صبيانهم عندها عن اللهو واللعب، ذلك أن الشياطين تنتشر في تلك الأوقات فلربما تعرض الأطفال لكيدها وشرها.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١٧ ص١٩٠.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١٠ ص١٢٧.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، (مرجع سابق)، ج١٣ ص٩٨.

(٤) ابن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر عبدالله بن محمد: مصنف ابن أبي شيبة، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ج٦ ص١٩٠.

" عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُمْ وَصِبْيَانَكُمْ إذا غَابَتْ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُبْعَثُ إذا غَابَتْ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ "(١).

ومن صور اللعب واللهو المحرم تتبع الصيد، والإكثار من ذلك بما يشغله عن الواجبات والمهمات.

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلاً يَتْبَعُ حَمَامَةً فَقَالَ: "شَيْطَانٌ يَتْبَعُ شَيْطَانَةً "(٢).

والشعر إذا لم يكن فيه إحقاق حق، أو إبطال باطل فهو من اللهو المنهي عنه، فكيف إذا كان فيه باطل من القول وزورا.

" عَنْ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذُوا الشَّيْطَانَ، أَو أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ، لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا "(٣).

ومن اللهو المحرم والذي حذر من العارفون بالله تعالى السائرون على طريق محمد ﷺ، سماع الغناء.

وقال مجاهد – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ قال: " الغناء والمزامير "(٤).

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد (مرجع سابق) ج٢٨ ص٣٧١.

(٢) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود (مرجع سابق) ج١٣ ص١٠١.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد (مرجع سابق) ج٢٢ ص١٨٠.

(٤) الكناني، علي بن محمد بن عراق أبو الحسن: تنزيه الشريعة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف – عبدالله محمد الصديق الغماري. ص١٥.

وقال البخاري – رحمه الله – تعالى: "كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله تعالى "[1].

وليعلم العاقل أن اللهو إذا غلب على حياة الإنسان فانه يقطع صلة العبد بربه شيئاً فشيئاً وهولا يشعر، ويوقع صاحبه في حبائل الشيطان.

واللهو بأصنافه وأنواعه يجر المسلم إلى الباطل، وهو سبب في هدر الأموال والأوقات، وينبت النفاق في القلب، وينميه الشيطان ويحسنه ويزينه، وتتضاءل شخصيته في المجتمع حتى يحتقر وينبذ، فليحذر من اللهو وأعظمه الغناء.

سادساً: السحـر:

قال الراغب: " السحر يقال على معان:

الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، كقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١١٦].

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[سورة البقرة، آية: ١٠٢] "[2].

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج١١ ص٩٣.

(٢) الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، (مرجع سابق) ص٢٢٦.

مَاشَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٠٢].

" وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ، قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ "[(١)].

قال ابن القيم – رحمه الله –: " وفي كتب السحر والسر المكتوم من هذا عجائب، ولهذا كلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ورسوله ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ، وكان سحر عباد الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام، وهم الذين سحروا رسول الله ﷺ، والمقصود: أن الساحر والحاسد كل منهما قصده الشر، لكن الحاسد بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود والشيطان يقترن به، ويعينه، ويزين له حسده، ويأمره بموجبه، والساحر بعلمه، وكسبه، وشركه، واستعانته بالشياطين "[(٢)].

وبهذا يكون الباحث قد أتى على عناصر هذا المبحث، بين فيه أهم الأساليب المحددة التي يستخدمها الشيطان في إضلال الإنسان وهي: حمل الإنسان على الاتصاف بصفاته، وكان أهمها: إعمال العقل، والحسد والحقد، والكبر، والظلم، والحيل، والمكر والخداع، وحمل الإنسان على إتباع خطواته، وهي الكفر، والشرك، والبدع، والكبائر، والصغائر، ومحقرات الذنوب، ثم النساء، وهي من الأساليب المحددة التي لها خطورتها فإنهن جند الشيطان، والخمر بشتى صوره وأنواعه، والمال الذي شغل به ومن أجله الجميع، واللهو الذي انتشر في زماننا على غير مثال سابق،

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١ ص٢٤٤.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: التفسير القيم، جمعه محمد أويس الندوي، وحققه محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ص٥٨١.

والسحر الذي أصبح يـدار مـن خـلال مؤسسـات، وتـروج لـه مواقـع إلكترونيـه، وقنوات، والله المستعان وعليه التكلان.

الخاتمة:

وهكذا يكون الباحث قد أتى على مباحث هذا الفصل أساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان، وفيه ثلاثة مباحث:

وهي على وجه الترتيب المبحث الأول، عن الأحوال التي يأتي بهـا الشـيطان للإنسان وهي: إتيانه عن طريق الوسوسة، وإتيانه على وجه الحقيقة بالفعل، وإتيانـه بالتمثل والتشكل بصور مختلفة على صورة إنسان أو حيوان أو جماد أو نبات، كما أنه يمكن أن يأتي على صورته الحقيقية أو صور مخيفة، ويأتي أيضـاً في المنـام، ثـم كـان الحديث في المبحث الثاني عن: الأساليب العامة التي يأتي بها الشيطان، والمتمثلة في: التزيين، والتشكيك، والانساء، والوعد مـع الأمـاني الكاذبـة، والتخويـف، والأمـر بالسيئات والحث عليها، والتثبيط عن الحسنات والتكسيل عنها، والإفراط والتفريط، ثم ختم الحديث عن أسلوب التدرج أحـد أسـاليب الشـيطان المـاكرة، أمـا المبحـث الثالث كان الحديث فيه عن: الأساليب المحددة، وتنـاول فيـه الباحـث مجموعـة مـن الأساليب وهي: حمل الإنسان علـى الإتصـاف بصـفاته وإتبـاع خطواتـه المتمثلـة في مجموعه من المحددات، وهـي: الكـبر، والحسـد والحقـد، والحيـل، وإعمـال العقـل، والظلم، والكفر، والشرك، والبدع، والكبائر، ومحقرات الذنوب، ثم النساء، والخمر، والمال، واللهو، والسحر.

لينتقل الباحث إلى الفصل الرابع والذي يتناول فيه أثر الشيطان على الإنسان، والله الموفق والمستعان.

الفصل الرابع

أثر الشيطان على الإنسان

واحتوى على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر الشيطان على مجالات بناء الإنسان.

المبحث الثاني: أثر الشيطان على جوانب مكونات الإنسان.

المبحث الثالث: أثر الشيطان على الأسرة والمجتمع.

تمهيد:

إن النتيجة الطبيعية لعداوة الشيطان أن يمارس مجموعة من الأساليب للإضرار بالإنسان، وهذا ما سبق دراسته في الفصل الماضي، وبطبيعة الحال لابد أن يظهر أثر الشيطان على الإنسان بعد ممارسته لهذه الأساليب، والباحث يحاول في هذا الفصل: إظهار أثر عداوة الشيطان على مجالات بناء الإنسان، ويركز على بيان أثره على العقيدة، وبيان أثره على العبادة، وبيان أثره على الأخلاق والسلوك.

كما يحاول الباحث إظهار أثر الشيطان على جوانب مكونات الإنسان، وسيقوم الباحث ببيان أثره على القلب، وبيان أثره على العقل، والفكر، وبيان أثره على جسم الإنسان وجسده، وبيان أثره على الجوارح والأعضاء.

كما يجتهد الباحث في بيان أثر الشيطان على الأسرة. وذلك من خلال بيان أثره على العلاقات الزوجية بإضعافها أو تقويضها وانهيارها، من خلال إفساد العلاقة بين الإخوان في البيت الواحد.

ويقوم الباحث ببيان أثر الشيطان على المجتمع وذلك من خلال نشره للعداوة والبغضاء، ويبين أثره ودوره في المواقف الحرجة والأزمات والأحداث الكبيرة.

فإذا اتضح الجهد الذي يبذله الشيطان للإضرار بالإنسان في تلك المجالات وتلك الجوانب، وتبين لنا خطورة الشيطان، يتقرر عندها ضرورة الاستعداد والحذر من هذا العدو، واليقظة التامة لتجنب آثاره أو معالجتها عند الإصابة بها.

المبحث الأول: أثر الشيطان على مجالات بناء الإنسان.

تسعى التربية بصورة عامة إلى بناء الإنسان من خلال مجموعة من المجالات، ومن أهم هذه المجالات المجال العقدي، حيث أن التربية تسعى لبناء عقيدة الإنسان التي تنطلق منها وتنبثق عنها مبادئه وقيمه التي يؤمن بها في الحياة، وإنك تجد أن الشيطان يسعى في هدم هذه العقيدة إن كانت صحيحة، ويرسخها ويعين على بقائها إن كانت ضالة، وإن التربية بصورة خاصة تسعى لتعميق البناء العقدي، إلا أن الشيطان يجتهد في تقويض هذا البناء، ولذا سيتحدث الباحث في هذا المبحث عن أثر الشيطان على العقيدة.

كما أن من مجالات بناء الإنسان بناؤه في الجانب العبادي، ومن الجوانب العبادية التي جاء الإسلام بها النية في الأعمال، وهي شرط أوركن في العبادات، لذا سعى الشيطان لإفساد النيات بصور مختلفة، يحاول الباحث إظهار ذلك في محله.

ومن العبادات التي جاء الإسلام بها وعني بها عناية فائقة في بناء الإنسان عبادة الصلاة، ولذا سعى الشيطان لإفساد صلاة المسلم بطرق متنوعة، وظهر أثره على الصلاة، كما أن من الجوانب العبادية: عبادة الزكاة التي جاء بها الإسلام، وكان للشيطان أثر على الإنسان في هذا الجانب أيضاً.

ومن جوانب بناء الإنسان الجانب الأخلاقي والسلوكي: فقد عنى الإسلام بالأخلاق والسلوك، وكثرة نصوص الكتاب والسنة التي تحث على محاسنها وتحذر من سفاسفها، وأيضاً نجد أن للشيطان أثر على الخلاق وعلى السلوك والتعامل في الواقع. هذا ما سيتحدث عنه الباحث في هذا المبحث والله الموفق.

أولا : أثره على العقيدة :

خلاصة ما جاء في معنى العقيدة في اللغة يدور حول معنى الشد والربط والتصميم والتأكيد والاستيثاق، ومنها عقد الحبل شد بعضه إلى بعض وربطه نقيض حله[1].

" والعقائد بصورة عامة هي الأفكار التي يؤمن بها الإنسان ويصدر عنها تصرفاته وسلوكه.

وفي الإسلام تطلق العقيدة على أركان الإيمان وما يتفرع عنها، والإيمان بالغيب إيمانا لا يرد عليه الشك ولا تؤثر فيه الشبهات، كما أن العقيدة في الإسلام هي الأصل الذي تبنى عليه الشريعة بكافة فروعها، والملاحظ أيضاً أن كثيرا من مسائل العقيدة والتي يجب اعتقادها أمور غيبية ليست مشاهدة ولا منظوره "[2].

وعلى هذا فان العقيدة ليست مختصة بالإسلام، بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم، والعقائد منذ بدء البشرية تنقسم إلى قسمين عقائد صحيحة وهي ما جاء به الرسل وهي عقيدة واحدة لا تتبدل ولا تتغير ولا تختص برسول دون آخر، وعقائد فاسدة على كثرتها وتنوعها وفسادها يعود إلى كونها نتاجا عقليا من أفكار البشر من وضع عقلائهم ومفكريهم، ومهما بلغ تفكير البشر وذكاؤهم وعلمهم سيبقى محدودا بضعف البشر ومتأثراً بعوامل محيطة بهم نفسية وبيئية لا ينفكون عنها بحال من الأحوال، وقد يأتي فساد العقائد من تحريفها وتغييرها كما هو الحال في العقيدة النصرانية واليهودية ففسادهما بسبب التحريف

---

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٣٩٣هـ. ج١ ص٦١٣-٦١٤.

(٢) سعيد إسماعيل علي ومحمد بن معجب الحامد وعبدالرضى إبراهيم محمد، الطبعة الأولى، التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات)، مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ، ص٦٩.

وإن كانت عقيدتهما في الأصل سليمة، ومن هنا يتضح السر في احتوائهما شيئا من الحق قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٧٥].

وقد كان للشيطان أثر واضح على العقيدة، لما تمثله من أهمية كبرى في حياة الأمم والشعوب، وسأذكر صورا من هذه الآثار، ليتضح عظيم الخطر وكبير الأثر على الإنسان.

أول أثر من الشيطان على العقيدة استعباد الإنسان.

وهذا يتوافق مع هدف الشيطان وهو الإضلال، وأعظم غواية وإضلال يمكن أن يصل إليها الشيطان إفساد العقيدة والتوحيد وعبادة الله تعالى، وهذا الهدف يصادم ويعارض ما أراد الله تعالى، وما به أرسل الأنبياء، حيث أن أنبياء الله ورسله جاؤوا بعقيدة التوحيد والدعوة لعبادته وحده لا شريك له، فما من نبي إلا وقال لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٥٩] واجتهد الشيطان بضد ذلك فحقق هدفه وظهر أثره.

فعبادة الشيطان أثر من آثاره، وقد حذرنا الله تعالى من عبادة الشيطان في كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[سورة يس، آية: ٦٠-٦١].

يقول السعدي: " (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) أي: آمركم وأوصكم، على ألسنة رسلي، [وأقول لكم:] (يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) أي: لا تطيعوه؟ وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي، لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له، (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُو مُبِينٌ) فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه، (و) أمرتكم (أَنِ اعْبُدُونِي) بامتثال أوامري وترك زواجري، (هَذَا) أي: عبادتي وطاعتي، ومعصية الشيطان (صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) فعلوم

الصراط المستقيم وأعماله ترجع إلى هذين الأمرين، أي: فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا بوصيتي، فواليتم عدوكم "[1].

كما يقول الخازن في تفسير هذه الآية: " قوله عز وجل: ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ) أي ألم آمركم وأوصكم يا بني آدم (أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُو مُبِينٌ) أي ظاهر العداوة. (وأَنِ اعْبُدُونِي) أي أطيعوني ووحدوني (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أي لا صراط أقوم منه "[2].

والمراد بالآية أي لا تطيعوا الشيطان ويندرج تحت هذا المعنى قسمان من العبادة:

أ- الشرك بأقسامه والكفر بأنواعه :

ومن أثر الشيطان على عقيدة الإنسان أمره بعبادة الأصنام قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [سورة المائدة، آية: ٩٠].

يقول السعدي: " والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها "[3].

يقول الخازن: " والأنصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والأزلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها. والرجس في اللغة الشيء الخبيث المستقذر (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) يعني من تزيينه وإغوائه ودعائه إياكم إليها

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٦٩٨.

(٢) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٥ ص٢٥١.

(٣) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٤٣.

وليس المراد أنها من عمل يديه (فَاجْتَنِبُوهُ) يعني كونوا جانباً منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائد إلى الرجس لأنه اسم جامع للكل كأنه قال إن هذه الأربعة الأشياء كلها رجس فاجتنبوه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يعني لكي تدركوا الفلاح إذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس"[1].

كما جاء الحديث في سورة النساء عن بيان الذنب الذي لا يغفره الله تعالى وهو الشرك، وما عداه من الذنوب فهو تحت مشيئته تعالى إن شاء غفر له تعالى برحمته وعفوه وإن شاء عاقب عليه بعدله وحكمته، ويبين تعالى أن من وقع في الشرك فقد ضل ضلالا بعيدا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء، آية: ١١٦].

فتبين أن من وقع في الشرك فقد تحقق فيه هدف الشيطان، وهو الإضلال، وعبر بالإضلال البعيد لبيان أن الوقوع في الشرك هو الهدف الأكبر في الدنيا، لما يترتب عليه من عدم مغفرته في الآخرة إن مات عليه فيكون خالدا في النار مع الشيطان وهذا هدفه الأخروي، ثم قال في الآية التي تليها مباشره: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [سورة النساء، آية: ١١٧].

فكل عبادة غير عبادة الله فهي عبادة للشيطان.

يقول الخازن في تفسيره: " قوله عز وجل: (إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً) نزلت في أهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله إلاّ إناثاً لأن كل من عبد شيئاً فقد دعاه لحاجته وفي قوله إناثاً أقوال:

أحدها: إنهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الإناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بني فلان.

---

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٢ ص٣٣٠.

والقول الثاني: إناثاً يعني أمواتاً. قال الحسن: كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة هو إناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر من المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدرأهم تنفعني. ولأن الأنثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحي كما أن الموت أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الأنثى على الجمادات.

والقول الثالث: إن بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله.

(وِإنْ يَدْعُونَ) أي وما يعبدون (إلاّ شيطاناً مريداً) قال ابن عباس: لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة، ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى: (وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً) وقيل هو إبليس لأنه أغواهم وأغراهم على عبادتها وأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة، والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة "[1].

كما يقول السعدي رحمه الله: "أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثا، أي: أوثانا وأصناما مسماة بأسماء الإناث كـ (العزى) و (مناة) ونحوهما، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدها لصفات الكمال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن عابديها بل ولا عن نفسها؛ نفعا ولا ضرا ولا تنصر أنفسها ممن يريدها بسوء، وليس لها أسماع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يُعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد والجلال، والعز والجمال، والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟" هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة

---

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٢ ص١٧٧.

أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟" [(١)].

ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثـان الناقصـة. وبالحقيقـة مـا عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد أهلاكهم ويسعى في ذلك بكـل مـا يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله " [(٢)].

ولا يزال الحديث موصولا عن حال الشيطان في هذه الآيات حيث قال تعالى:

﴿ لَعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾[سورة النساء، آية: ١١٨].

ثم جاء الحديث في الآية التي تليها عن هدف الشيطان وتأكيده وهو الإضلال. وبعض أساليبه في الإغواء (الأماني) وحديثـه عـن صـور مـن آثـاره علـى العقيـدة والسلوك ومنها (تبتيك أذان الأنعام وتغيير خلق الله تعالى) وقد جاء في معنى تبتيك الأذان وتغيير خلق الله.

قال السعدي رحمه الله: " لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما أبعده الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله. ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ولهـذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين الشر لهم والفساد وأنه قال لربه مقسـما: (لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) أي: مقدرا " [(٣)].

وذلك ما قاله الخازن في تفسيره: "(لعنة الله) أي أبعده الله وطرده عـن رحمتـه (وقال) يعني إبليس (لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) يعـني حظـاً مقـدراً معلومـاً فكل ما أطيع فيه إبليس فهو نصيبه ومفروضة وأصل الفرض القطع وهذا النصـيب

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٠٤.
(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٠٣.
(٣) المرجع السابق ج١ ص٢٠٣.

هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه "[1].

وخلاصة القول أن للشيطان أثر على عقيدة الإنسان، تتمثل في صور وألـوان من الشرك، منها ما جاء في هذه الآيات المباركات أعاذنا الله وإياكم من الشرك وأهله ومن نزغات الشياطين.

ب- عبادة ذات الشيطان وتعظيمه وتقديسه وطاعته والتقرب إليـه بـأنواع مختلفـة من العبادات خوفا أو رجاء أو محبة أو جميعها.

وهذا من أعظم آثاره علـى الإنسـان ومـن أغربهـا وأدهشـها عنـد أصـحاب العقول السليمة والقلوب المستقيمة.

يقول محمد الميسر: " عبادة الشيطان بالمعنى الخاص هي اتخاذ الشيطان إلها يعبد من دون الله، ويطاع ويقدس، وتقدم له طقوس وأشكال معينه يتخيلها العباد مرضاة لشيطان "[2].

ويقول احد عباد الشيطان عندما سئل عن ذلك قال: " معناه أننا نعبـد إبلـيس لاعتقادنا اللذة في عبادته مما لا نجده في عبادة الله "[3].

وعباد ذات الشيطان طوائف كثيرة وتختلف شعائرهم وعقائدهم من طائفة إلى طائفة أخرى كل طائفة لها ما يميزها من عقائد وشعائر وأعياد ولهـم أخلاقهـم ولهـم كتب مقدسة ولباس يميزهم وشعارات ورموز يعرفون بها قديما وحديثا.

وعبادة ذات الشيطان لها جذور في معظم حضـارات العـالم وهـي تنتمـي إلى

---

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٢ ص١٧٧.

(٢) الميسر، محمد: عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني، الطبعة الأولى، دار الوفاء: المنصورة، ١٤١٩هـ، ص٣٧.

(٣) وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين (مرجع سابق) ج٢ ص٣٣٧.

الشعور بقوة الشر في البيئة (وهذا الشعور كان على أشده في عـدد مـن الحضـارات فقد آمن كثير من الناس بقسمة العالم بين النور والظلمة وجعلوا لإله الشر حصـة في الكون مساوية لحصة إله الخير أو قريبة منها.

وهـذه العقيـدة – القـول بـالهين اثـنين – موجـودة عنـد أقـدم الحضـارات والديانات كالمجوسية والهندية والشامانية واليونانية وغيرها كديانة المصـريين القـداما فلقد كانت تنظر إلى أن الشر لا يصدر من نفس مصدر الخير، إذ أن الخير مصدره هو الإله الأعلى الأعظم وهو منزه عن أن يصدر الشر قالوا: إنه وبالنظر إلى هذا الكون نجد شرورا كثيرة في الحياة اليومية مما يعني أن هنـاك مصـدرا لهـذه الشـرور يسـاوي مصدر الخير في القوة والتأثير أو هو دونه ومن هنا قالوا: بإلهين اثنين إله الخـير وإلـه الشر، وإله الشر هذا هو إبليس لكنهم أعطوه صفات الرب أو بعضـها. فنظـروا لـه نظرة غير صحيحة وغير واقعية فإن إبليس خلق مـن خلـق لله لا يسـتطيع فعـل أي شيء ولا التأثير في هذا إلا بإذن الله"[١].

وممن عبد ذات الشيطان المصريون القدامى وكـذلك الكنعـانيون وكـذلك في الحضارة البابلية والحضارة الهندية والحضارة اليونانيـة والحضـارة الفارسـية وكـذلك الغنوصيون، وكان الشيطان مقدسا عند اليهود وكان مقدسا في الأناجيـل النصـرانية وكان الشيطان مقدسا عند العرب في الجاهلية وكان الشيطان مقدسا أيضاً عند فرقـة اليزيديـة القديمـة والحديثـة، والشـيطان مقـدس عنـد بعـض القبائـل والطوائـف والجماعات الغربية، وهو مقدس ومعظم عند بعـض أفـراد العـالم ولا يمثـل هـؤلاء اتجاهات إنما يمثلون أنفسهم.

ومن أعظم آثار الشيطان على الإنسـان في مجـال العقيـدة مـا نعيشـه في هـذا العصر حيث ظهرت فرقة عباد الشـيطان، والـتي لهـا ظهـور في العـالم بعقائـد جليـة وشعائر تعبديه ولهم مواقف واضحة حيث أنهم قـاموا ببنـاء كنيسـة الشـيطان عـام

---

(١) العقاد، عباس: إبليس، المكتبة العصرية، بيروت. ص١٢٩-١٣٠.

١٩٦٦م ولهم شخصيات ورموز بارزة معروفة ولهم كتب ومراجع منهجية ولهم ظهور في العالم الغربي والعربي والإسلامي ولهم وسائل في نشر عقائدهم وعباداتهم، فلهم تواجد في أمريكا وألمانيا وفرنسا وجنوب أفريقيا، وروسيا وإسرائيل وكندا وبريطانيا واليونان وبلجيكا، ومصر ولبنان والأردن والبحرين والكويت والإمارات وقطر، والمغرب والجزائر وماليزيا وتركيا، ومن عباداتهم الطقوس السحرية وطقوس الشفقة والرحمة وطقوس التدمير ومنها الطقوس الدموية والطقوس الجنسية، ولهم طقوس خاصة لانضمام وعضوية عباد الشيطان لكنائسهم، ولهم شروط في ذلك، كما لهم طرائق خاصة في تعميد الصغار والكبار، وهناك ما يسمى قداس الشيطان الأسود وله طريقة خاصة في أدائه، ولهم صلوات وأدعية مثل صلاة بنت الصبح، وهي مخاطبة للشيطان وصلاة أخرى فيها تمجيد وبيعة للشيطان، وهناك صلاة رئيس الظلام وصلاة الزعيم، ومن الأدعية دعاء لسيميازا ودعاء لآرائك ودعاء لساميال ودعاء لشوشاريال ودعاء لالكانور ودعاء لساملين ودعاء لنومنيون ودعاء لامانيال.

كما لهم أعيادهم واحتفالاتهم الدينية، ولعباد الشيطان موسيقى خاصة ومفضلة، ولها أهمية كبيرة وتركيز فائق، ولهم أغاني تمجد الشيطان وتدعو لعبادته، ولعباد الشيطان رموز وشعارات منها شعار "بافوميت" والصليب المقلوب والكفن والجمجمة مع العظام المتقاطعة، والصليب المعقوف، والرقم (٦٦٦) والحرف (fff) والنجمة السداسية، والأفعى الملتفة حول الأرض، والمثلث الذي تكون بداخله عين والصاعقة المزدوجة والريشة المحاطة بدائرة، والهلال مع النجمة وشعار منطقة القداس الأسود وشعار منطقة الجنس والإنك وين يانج والمذبح وما عليه من رموز، ورمز التحية والتعارف ويسمى (علامة القرنين) وهيئة اللحية والوشم وغيرها من الرموز والشعارات[١].

---

(١) لمزيد من التفصيل: انظر: الزهراني، جهاد موسى علي: عبدة الشيطان في العصر الحاضر وموقف الإسلام منهم، إشراف:

فجدير بالمسلم أن يتأمل هذا، ويعلم أن هناك عبادة حقيقية لذات الشيطان وقد وصل الحال بإبليس أن أقام مؤسسات وجماعات يديرها أولياؤه وأتباعه الذين يعيشون من أجل نصرته.

وبما أن العقيدة أساس مهم في تحقيق الأهداف التي يعيش الإنسان من أجلها.

والعقيدة الصحيحة أساس في التربية الإسلامية، وذلك من خلال فهم أركان الإيمان الست.

والشيطان في طريقه الطويل الذي يسعى من خلاله لكسب المعركة مع الإنسان، يحرص على إفساد عقيدة المسلم ويتضح ذلك من خلال: تشكيكه في ذات الله تعالى، ووجوده سبحانه.

فمن عناصر الإيمان بالله تعالى: الإيمان بوجوده، ومع أن الإيمان بوجود الله تعالى قد دل عليه الفطرة، والعقل، والشرع، والحس، إلا أن الشيطان يوسوس للإنسان في هذه القضية الكبيرة، والتي لا مجال أصلاً لإنكارها.

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك "[1].

ومن هذا الحديث يتضح لنا جلياً كيف أن الشيطان يشكك الإنسان في عقيدته، بل في أعز ما يمكن أن يوصله إلى ربه، وهو إيمانه بوجود الخالق تعالى.

والخلاصة: أن للشيطان أثره على عقيد وتوحيد وإيمان الإنسان، لذا وجب الحذر واليقظة، فأثمن ما يملكه العبد عقيدته، فإذا ما أفسدها الشيطان ! فماذا يبقى

أحمد عبداللطيف آل عبداللطيف، ١٤٢٨هـ. (رسالة غير مطبوعة).

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري ج٦ ص٣٣٧ فتح ، القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ج٢ ص١٥٤ نووي (مرجع سابق).

له بعد العقيدة ؟!

ثانياً: أثره على العبادة:

إن العبادة بمفهومها العام تشمل كل حركات الحياة عند الإنسان وسكناته، فهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة؛ إلا أن المقصود بالعبادة هنا هو: ما ذكره علماء الفقه في باب العبادات وهي الشعائر التعبدية من طهارة، وصلاة، وصيام، وحج، وزكاة، ونية، ونحوها.

وهذه الشعائر لها أثرها في تربية المسلم وبنائه البناء الصحيح، لذا كان للشيطان أثر على هذه الشعائر ومن هذه الآثار:

أ- أثره على النية ووسوسته فيها.

إنك تجد كثيراً من الناس وخاصة العباد منهم ممن قل علمهم يوسوس له الشيطان، فيلبس عليه في نيته.

يقول ابن القيم: " وهذه العبارات التي أحدثت عند افتتاح الطهارة والصلاة قد جعلها الشيطان معتركاً، وأهل الوسواس يحبسهم عندها، ويعذبهم فيها، ويوقعهم في طلب تصحيحها، فترى أحدهم يكررها، ويجهد نفسه في التلفظ بها، وليست من الصلاة في شيء؛ وإنما النية: قصد فعل الشيء، فكل عازم على فعل فهو ناويه، لا يتصور انفكاك ذلك عن النية، فإنه حقيقتها فلا يمكن عدمها في حال وجودها، ومن قعد ليتوضأ، فقد نوى الوضوء، ومن قام ليصلي فقد نوى الصلاة، ولا يكاد العاقل يفعل شيئاً من العبادات ولا غيرها بغير نية، فالنية أمر لازم لأفعال الإنسان المقصودة، لا يحتاج إلى تعب ولا تحصيل "[(١)].

ومن عجيب أثر الشيطان على هؤلاء ما ذكره ابن القيم في قوله: " ومن العجيب أنه يتوسوس حال قيامه حتى يركع الإمام، فإذا خشي فوات الركوع كبر سريعاً وأدركه، فمن لم يحصل النية في الوقوف الطويل حال فراغ باله، كيف يحصلها

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٢٥.

في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات ركعة ؟ ! "[1].

يقول ابن القيم في رد شبهة من حاله الوسوسة في النية وغيرها: " فإن قال: هذا مرض بليت به، قلنا: نعم، سببه قبولك من الشيطان، ولم يعذر الله تعالى أحداً بذلك، ألا ترى أن آدم وحواء لما وسوس لهما الشيطان فقبلا منه أخرجا من الجنة، ونودي عليهما بما سمعت، وهما أقرب إلى العذر، لأنهما لم يتقدم قبلهما من يعتبران به، وأنت قد سمعت، وحذرك الله تعالى من فتنته، وبين لك عداوته، وأوضح لك الطريق، فما لك عذر ولا حجة في ترك السنة والقبول من الشيطان "[2].

ويقول ابن تيمية عن هؤلاء، وتلاعب الشيطان بهم في النية للصلاة: " ومن هؤلاء من يأتي بعشر بدع، لم يفعل رسول الله ﷺ، ولا أحد من أصحابه واحدة منها فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، نويت أصلي صلاة الظهر فريضة، الوقت أداء لله تعالى، إماماً أو مأموماً، أربع ركعات، مستقبل القبلة، ثم يزعج أعضاءه، ويحني جبهته، ويقيم عروق عنقه، ويصرخ بالتكبير كأنه يكبر على العدو"[3]. مع سهولة ويسر النية، إلا أن الشيطان عقدها على الإنسان، فلعب به في أودية الوساوس والأوهام، فضيع عليه الطريق، ليكون رفيقه في الحريق.

ب- أثره على الوضوء والطهارة:

ومن الناس من تلاعب به الشيطان في باب الطهارة، فظهرت عليه آثار الشيطان بادية، ولقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح قال: " الطهور شطر الإيمان "[4].

---

(١) المرجع السابق ج١ ص١٢٦.
(٢) المرجع السابق ج١ ص١٢٦.
(٣) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) (مرجع سابق) ج١ ص١٢٦.
(٤) المنذري: مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. حديث رقم ١٢٠ ص ٤١.

لذا سعى الشيطان إلى إفساد هذا الشطر من الإيمان، وذلك عن طريق الوسوسة، قال ابن القيم رحمه الله: " ثم إن طائفة الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان، حتى اتصفوا بوسوسته، قبلوا قوله وأطاعوه، ورغبوا عن إتباع رسول الله ﷺ وصحابته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله عليه الصلاة والسلام، أو صلى كصلاته، فوضوءه باطل، وصلاته غير صحيحة ".

إلى أن قال: " وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلاً يشاهده ببصره، ويكبر، ويقرأ بلسانه، بحيث تسمعه أذناه، ويعلمه قلبه، بل يعلمه غيره منه، ويتقنه، ثم يشك هل فعل ذلك أم لا؟ " ! إلى أن قال: " حتى تراه متردداً متحيراً، كأنه يعالج شيئاً يجتذبه، أو يجد شيئاً في باطنه يستخرجه، كل ذلك مبالغة في طاعة إبليس، وقبول وسوسته، ومن انتهت طاعته لإبليس إلى هذا الحد، فقد بلغ النهاية في طاعته، ثم إنه يقبل قوله في تعذيب نفسه، ويطيعه في الإضرار بجسده، تارة بالغوص في الماء البارد، وتارة بكثرة استعماله، وإطالة العراك، وربما فتح عينيه في الماء البارد وغسل داخلهما حتى يضر ببصره، وربما أفضى إلى كشف عورته للناس، وربما صار إلى حال يسخر منه الصبيان ويستهزئ به من يراه، وربما شغله بوسوسته حتى تفوته الجماعة، وربما فاته الوقت "[1].

ومن آثار الشيطان على الإنسان في الطهارة: الإسراف في استعمال الماء في الوضوء والغسل، قال ابن القيم – رحمه الله –: " ومن ذلك الإسراف في ماء الوضوء والغسل " .

ومن آثار الشيطان على الإنسان في الطهارة أيضاً: الوسوسة في انتقاض الطهارة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: " إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا؟ فلا يخرج من المسجد حتى يسمع

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) (مرجع سابق) ص ١٢١، ١٢٢.

صوتاً أو يجد ريحاً" . وفي المسند وسنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: " إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في الصلاة، فيأخذ بشعرة من دبره فيمدها، فيرى أنه قد أحدث، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً" . وفي لفظ أبي داود: " إذا أتى الشيطان أحدكم فقال له: إنك قد أحدثت، فليقل له: كذبت، إلا ما وجد ريحاً بأنفه، أو سمع صوتاً بأذنه" . فأمر عليه الصلاة والسلام بتكذيب الشيطان فيما يحتمل صدقه فيه، فكيف إذا كان كذبه معلوماً متيقناً، كقوله للموسوس: لم تفعل كذا وقد فعله" .

ومن آثار الشيطان على الإنسان في الطهارة أيضاً: " ما يفعله كثير من الموسوسين بعد البول، وهي عشرة أشياء: السلت، والنتر، والنحنحة، والمشي، والقفز، والحبل، والتفقد، والوجور، والحشو، والعصابة، والدرجة" . فالسلت: وأن يسلته من أصله إلى رأسه، والمشي: أن يمشي خطوات ثم يعيد الإستجمار، والقفز: هو أن يرتفع عن الأرض شيئاً ثم يجلس بسرعة، والحبل: أن يتخذ بعضهم حبلاً يتعلق به حتى يكاد يرتفع ثم ينخرط منه حتى يقعد، والتفقد:أن يمسك الذكر ثم ينظر في المخرج، هل بقي فيه شيء أم لا، والوجور: يمسكه ثم يفتح الثقب ويصب فيه الماء، والحشو: هو أن يكون معه ميل وقطن يحشوه به، كما يحشو الدمل بعد فتحها، والعصابة: أن يعصبه بخرقه، أما الدرجة: فهي أن يصعد في سلم قليلاً ثم ينزل بسرعة [(١)].

فتأمل كيف فعل الشيطان بالإنسان، وأفسد عليه هذه العبادة العظيمة.

جـ- أثر الشيطان على الصلاة .

الصلاة أحد أركان الإسلام، وهي صلة بين العبد وربه، تطهر التقي من الرذائل، وهي من أفضل أعمال البر والخير.

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) (مرجع سابق) ج١ ص١٣١.

ولهذا حرص الشيطان أن يكون له أثر سلبي عليها، ويفسدها من خلال وسائل شتى، ومنها: تلبيس الصلاة على المصلي، ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحة، أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: "إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: "ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا وجدته فتعوذ بالله منه، وأتفل عن يسارك ثلاثاً" فقال: ففعلت، فاذهب الله عني"[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم، فليسجد سجدتين وهو جالس"[2]. ليوسوس له في صلاته، ويحرمه الأجر والثواب؛ والشيطان حريص على صد الإنسان عن الصلاة بكل الوسائل الممكنة، لما لها من أثر عظيم في سعادته في الدارين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة، آية: ٩١].

وكما عرض الشيطان لرسول الله ﷺ وهو في صلاته ليقطعها عليه.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: (إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي، فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلاةَ عَلَيَّ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَذَعَتُّهُ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إلى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إليه، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلام "رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي" فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِيًا، قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: فَذَعَتُّهُ بِالذَّالِ أَيْ

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (نووي) (مرجع سابق) ج١٤ ص١٩٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٣ ص١٠٤. القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (نووي) (مرجع سابق) ج٥ ص١٧٠.

خَنَقْتُهُ" [1].

فهذا رسول الله ﷺ يتعرض لآثار الشيطان وهو يحاول إفساد صلاته عليه، فكيف بنا نحن المساكين ؟!

والشيطان يفر من الأذان والإقامة، إلا أنه عند الصلاة يعود ليوسوس للإنسان، وينّقص أجره وثوابه، فلا يسلم منه المصلون.

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ إذا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فإذا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فإذا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ، حَتَّى لا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فإذا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ" [2].

ومن آثاره في الصلاة: ما يحصل من الوساوس الشيطانية لبعض المصلين: " ومن أصناف الوسواس: ما يفسد الصلاة، مثل: تكرير بعضهم الكلمة. كقوله: إت إت التحى التحى، وفي السلام: أس أس. وقوله في التكبير: أكككبر ونحو ذلك، فهذا الظاهر بطلان الصلاة به، وربما كان إماماً فأفسد صلاة المأمومين، وصارت الصلاة التي هي أكبر الطاعات، أعظم إبعاداً له عن الله من الكبائر، وما لم تبطل به الصلاة من ذلك فمكروه، وعدول عن السنة، ورغبة عن طريقة رسول الله ﷺ بذمه، والوقيعة فيه، فجمع على نفسه طاعة إبليس، ومخالفة السنة، وارتكاب شر الأمور ومحدثاتها، وتعذيب نفسه وتعريضها لطعن الناس فيه، وتغرير الجاهل بالاقتداء به، فانه يقول: لولا أن ذلك فضل لما أختاره لنفسه، وأساء الظن بما جاءت به السنة، وأنه لا يكفي وحده وانفعال النفس، وضعفها للشيطان، حتى يشتد طمعه فيه،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٤ ص٤١١.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج٢ ص٣٣٢.

وتعريضه نفسه للتشديد عليه بالقدر، عقوبة له "[1].

ومن آثاره على صلاة المتبعين له: ما ذكره أيضاً ابن القيم: " قال أبو الفرج بن الجوزي: قد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف، فتراه يقول: الحمد الحمد، فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة؛ وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد في إخراج ضاد " المغضوب "، قال: ولقد رأيت من يخرج بصاقه مع إخراج الضاد، لقوة التشديد، والمراد تحقيق الحرف فحسب؛ وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق، ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة؛ وكل هذه الوساوس من إبليس. "[2].

إن المؤمن إذا أمكن الشيطان من نفسه، وتلاعب به في صلاته، حتى أصبحت الصلاة مبعدة له عن الله، بعد أن كانت من أعظم الطاعات، وأجل القربات.

د- أثره على الزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، والزكاة تطهر المال، وتزكي النفس، والله تعالى قال: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [سورة التوبة، آية: ١٠٣].

وقد حث الله تعالى على الإنفاق، والصدقة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: " حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء "[3].

قال رسول الله ﷺ: " الصدقة تطفئ غضب الرب "[4].

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) (مرجع سابق) ج١ ص١٢٦-١٢٧.

(٢) المرجع السابق ج١ ص١٤٥.

(٣) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، (مرجع سابق) ج٤ ص٤٩٦.

(٤) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، (مرجع سابق) ج١٧ ص٥٤.

ومن آثار الشيطان على المسلم أنه يأمره بالإمساك، والبخل، ويخوفه من الفقر قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٨].

يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية: " وإياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتم، وليس هذا نصحاً لكم، بل هذا غاية الغش ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم ولا يضركم، ومع هذا فهو﴿يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً ﴾ لذنوبكم وتطهيرا لعيوبكم ﴿وَفَضْلًا ﴾ وإحسانا إليكم في الدنيا والآخرة، من الخلف العاجل، وانشراح الصدر ونعيم القلب والروح في القبر، وحصول ثوابها وتوفيتها يوم القيامة، وليس هذا عظيما عليه لأنه ﴿وَٰسِعٌ ﴾ الفضل عظيم الإحسان ﴿عَلِيمٌ ﴾ بما يصدر منكم من النفقات قليلها وكثيرة، سرها وعلنها، فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه "[1].

قال الخازن: " قوله عز وجل: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ أي يخوفكم الفقر يقال: ووعدته شراً وإذا لم يذكر الخير والشر يقال: في الخير وعدته وفي الشر أوعدته، والفقر: سوء الحال، وقلة ذات اليد، وأصله: من كسر فقار الظهر، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت افتقرت، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ﴾ يعني: يوسوس لكم ويحسن لكم، البخل ومنع الزكاة والصدقة، قال الكلبي: كل فحشاء في القرآن فهي الزنا، إلاّ هذا الموضع، وفي هذه الآية لطيفة: وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولاً بالفقر، ثم يتوصل بهذا

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص١١٥.

التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، وهي البخل، وذلك لأن البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد، فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلاّ بتلك المقدمة، وهي التخويف من الفقر، فلهذا قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ ﴾ يعني: مغفرة لذنوبكم، وستراً لكم ﴿وَفَضۡلٗا ﴾ يعني: رزقاً وخلفاً؛ فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة، والفضل إشارة إلى منافع الدنيا، وما يحصل من الرزق والخلف "[1].

لذا يمسك الإنسان عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، سواء الإنفاق الواجب من الزكاة، أو الإنفاق المندوب من الصدقة، كل ذلك من آثار تخويف الشيطان ووعده ووعيده له؛ فليحذر المسلم على نفسه، وليعلم أن الله هو المعطي، وله الفضل أولا وآخراً.

ثالثا: أثره على الأخلاق والسلوك.

إن الأخلاق في الإسلام لها مكانة عظيمة، وقد وصف الله تعالى نبينا محمد ﷺ بأنه صاحب خلق عظيم، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [سورة القلم، آية: ٤]. بل اختصر ﷺ الهدف من رسالته بقوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2].

" إن الخلق الحسن صفة الأنبياء والصديقين، وان الأخلاق السيئة سموم قاتلة، تنخرط بصاحبها في سلك الشيطان، وفي أمراض تفوت جاه الأبد، فينبغي أن تعرف

---

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج١ ص٣٠١.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى (مرجع سابق) ج١٠ ص١٩٢.

العلل ثم معالجتها"[1].

وإن المتأمل في أحوال الناس ليجد أثر الشيطان واضحاً جلياً في أخلاقهم وسلوكهم، فكل خلق مشين، وسلوك منحرف نراه في واقعنا، فإن للشيطان دوراً في ذلك، وهو أثر من آثاره علينا، واذكر أمثلة لبعض الأخلاق الشيطانية على سبيل المثال، ومن أبرز هذه الأخلاق:

أ- الكبر.

لقد سبق معنا في بيان أسباب عداوة إبليس لأدم وذريته أن من أهم الأسباب، وأظهرها الاستكبار.

فقد كان إبليس مع الملائكة مشمولاً بالأمر كما سبق بيانه، وقد كشف القرآن لنا وأبان وأوضح صراحة ما كان في نفس إبليس من الكبر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٤].

وقد حذرنا الله تعالى من إتباع خطوات الشيطان حيث قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾[سورة الأنعام، آية: ١٤٢].

قال الخليل:" خطواته أعماله، ومن أعماله الكبر".

وقال ابن عباس: "خطواته عمله".

وقال حقي: " لا تكونوا على سيرته وصفته، وهي الإباء والاستكبار، فإنه ضد الإسلام".

ونلاحظ أن الكبر الذي قام في نفس إبليس قاده إلى رفض السجود لأدم

---

(١) المقدسي، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة: مختصر منهاج القاصدين، الطبعة الأولى، دار العلم: بيروت، لبنان، تعليق وتحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، ١٤٠٨هـ. ص ٢٣٩.

امتثالاً لأمر الله تعالى.

قال أبو حامد الغزالي: " فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به، وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له، فجره ذلك إلى التكبر على أمـر الله تعالى، فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد "[1].

فمتى تكبر الإنسان فإنه يعيش أثراً من آثار الشيطان، وخطـوة مـن خطواتـه، لذا يعد الكبر انحرافاً خلقياً يعدل بصاحبه عن طريق الحق، ويصرفه إلى طريق الغواية والضلال، بعيداً عن إتباع الصراط المستقيم.

وحيث أن الكبر كان من أهم الأسباب في طرد إبليس من رحمة الله وصغاره، فانه بذل كل ما في وسعه من أساليب وطرق لإيقاع الإنسـان فيمـا جـرى بـه القلـم عليه.

ولذا توافرت نصوص الكتاب والسنة على التحذير من هذه الصفة الذميمة، ولخطورة هذه الصفة التي تعتبر أول معصية عصي الله بها، كان الواجب على العاقل معرفتها كي يجتنبها ولا يقع فيها.

فالتكبر في اللغة هو: التعاظم.

يقول الألوسي: " وأصل الاستكبار: طلب الكبر من غير استحقاق، لا بمعنـى تحصيله، مع اعتقاد عدم حصوله، بل بمعنى عد نفسه كبيراً، واعتقاده ذلك "[2].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " قال رجل: إن الرجـل يحـب أن يكـون ثوبـه حسـناً، ونعلـه

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (مرجـع سـابق) ج٣ ص٢٩٩.

(٢) الأصفهاني، الحسين بـن محمـد: معجـم مفـردات ألفـاظ القـرآن (مرجع سابق) ص ٤٣٨.

حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر، الحق وغمط الناس"[1].

ومن أسباب الكبر: اعتقاد المتكبر أنه سبق بفضل أو فضيلة أو أكثر، وهذا عين ما حصل لإبليس، حيث اعتقد فضله على آدم وسبقه - وهذا ليس بلازم -، وللكبر مظاهر ينبغي على المسلم تجنبها منها:

١- إسبال الثياب تكبراً.

٢- محبة إقبال الناس عليه وقيامهم له.

٣- الاختيال في المشي مع الإعراض عن الخلق.

٤- الإفساد في الأرض.

٥- إظهار البلاغة في الحديث"[2].

والكبر قد يكون بالمال، أو بالجمال، وقد يكون بالعلم، أو العمل، ويكون في القلب، وعلى اللسان، والجوارح، وهو داء الخاصة والعامة، الأغنياء والفقراء، العلماء والعباد، الأفراد والجماعات، الدول والمنظمات.

والكبر يكون بالجاه والنسب، والشيطان يلبس على الإنسان ويغويه ويرديه من هذا الطريق، ومن صور ذلك: الاتكال على النسب، وترك العمل الصالح.

يقول ابن القيم: "ومن تلبيسه - أي إبليس - عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر به فيقول: أنا من أولاد أبي بكر، وهذا يقول: أنا من أولاد علي، وهذا يقول: أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين، أو يقول: أنا قريب النسب من فلان العالم، أومن فلان الزاهد"[3].

وقد حذر رسول الله ﷺ من مثل هذا، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم كتاب الإيمان، (مرجع سابق) حديث ٩١.

(٢) نوح: السيد محمد: آفات على الطريق، الطبعة الأولى، دار اليقين: مصر، ١٤١٨هـ. ص ١٨٥.

(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: تلبيس إبليس، (مرجع سابق) ص ٤٧٢.

رسول الله ﷺ: "من أبطا به عمله، لم يسرع به نسبه"[(١)].

فعلى المسلم أن يتنبه ويتجنب هذا الأسلوب الشيطاني، فإنه يفسد دنيا المرء وآخرته والله الموفق.

ب- الحيل والمكر والخداع:

ومن أثره على الأخلاق والسلوك: ممارسة الحيل والمكر والخداع، (والمخادعة: هي الاحتيال والمراوغة، بإظهار الخير مع إبطان خلافه، ليحصل مقصود المخادع، وهذا موافق لاشتقاق اللفظ في اللغة فإنهم يقولون: طريق خيدع، إذا كان مخالفاً للقصد لايشعر به، ولا يفطن له، ويقال للسراب الخيدع، لأنه يغر من يراه، وضب خدع، أي مراوغ؛ كما قالوا: أخدع من ضب، ومنه: (الحرب خدعة) وسوق خادعه، أي متلونة، وأصله: الإخفاء والستر، ومنه سميت الخزانة مخدعاً)[(٢)].

ومن أساليب الشيطان وطرقه الخبيثة: ما استعمله مع أبينا آدم وزوجه حواء، حين عرض عليهما النصح، وأقسم على ذلك حيلة ومكراً وخداعاً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [سورة طه، آية: ١٢٠].

قال السعدي – رحمه الله –: "يقول: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ) أي: الشجرة التي من أكل منها خلد في الجنة، (وَمُلْكٍ لا يَبْلَى) أي: لا ينقطع إذا أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتر به آدم، وأكلا من الشجرة فسُقِط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، (مرجع سابق) حديث ٢٧٩٩.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٤.

ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم "[١].

وقال الخازن: "(فوسوس إليه الشيطان) أي أنهى إليه الوسوسة فأسر إليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال: (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي إن أكلت منها بقيت مخلداً (وملك لا يبلى) أي لا يبيد ولا يفنى، رغبة في دوام الراحة، فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبة إبليس فيه، إلا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة، وإبليس وقفه على الإقدام عليها، وآدم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره، وإبليس هو عدوه، أعرض عن قول الله تعالى، ولم يرد المخالفة، ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دفع لقضاء الله ولا مانع منه "[٢].

يقول النسفي في تفسيره: (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أضاف الشجرة إلى الخلد: وهو الخلود، لان من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى حيلة منه ومكراً وخداعاً [٣].

كما يقول الطبري في تفسيره: (هل أدلك على شجرة الخلد) يقول: قال له هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكاً لا ينقضي فيبلى، كما حدثنا موسى قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي قال: (يا أدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) إن أكلت منها كنت ملكاً مثل الله، أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبداً) [٤].

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٥١٤.

(٢) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٤ ص٣٨٤.

(٣) النسفي، أبي البركات عبدالله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التنزيل، (مرجع سابق) ج٣ ص٧٠.

(٤) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٦ ص٢٢٣.

وقـــال تعـــالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠].

" قوله تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ) يعني: فوسوس إليهما، والوسوسة: حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسـان، يقـال: وسـوس، إذا تكلـم كلامـاً خفيفـاً مكـرراً، وأصله: من صوت الحلي، ومعنى وسوس لهما: فعلَ الوسوسة، وألقاها إليهما.

فإن قلت: إن آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف مـا بينـه وبـين إبلـيس مـن العداوة فكيف قبل قوله؟

قلت: يحتمل أن يقال: إن إبليس لقي آدم مراراً كـثيرة، ورغبـه في أكـل هـذه الشجرة بطرق كثيرة منها: رجـاء نيـل الخلـد، ومنهـا قولـه: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢١]، فلأجل هذه المواظبة والمداومة علـى هـذا التمويه، أثر كلام إبليس في آدم حتى أكل من الشجرة، (وقال) يعـني: وقـال إبلـيس لآدم وحواء (مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ) يعني عن الأكل من هذه الشـجرة (إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ) يعني: إنما نهاكما عن هذه الشجرة لكي لا تكونـا ملكـين من الملائكة، تعلمان الخير والشر، أو تكونا من الباقين الذين لا يموتون، وإنما أطمـع إبليس آدم بهذه الآية، لأنه علم أن الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم، وأحب أن يعيش مع الملائكة، لطول أعمارهم، أو يكـون مـن الخالـدين الذين لا يموتون أبداً [١].

يقول الخازن رحمه الله: " وقوله تعالى: (وَقَاسَمَهُمَآ) أي: وأقسم وحلـف لهمـا، وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ) قال قتادة: حلف لهمـا

---

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسـير الخـازن، (مرجـع سـابق) ج٣ ص٤.

بالله تعالى حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني خُلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وقال بعض العلماء: من خادعنا بالله خدعنا له؛ (فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ) يعني: فخدعهما بغرور، يقال: ما زال فلان يدلي فلاناً بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل؛ قال الأزهري: وأصله: أن الرجل العطشان يتدلى في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء، فوضعت التدليه موضع الطمع فيما لا فائدة فيه، والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش، وهو أن إبليس حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، لأن التدلي لا يكون إلا من علو إلى أسفل؛ ومعنى الآية: أن إبليس لعنه الله تعالى غر آدم باليمين الكاذبة، وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، وإبليس أول من حلف بالله كاذباً فلما حلف إبليس ظن آدم أنه صادق فاغتر به "[1].

كما يقول السعدي: " فلم يزالا ممتثلَيْن لأمر اللّه، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما وقال: (وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ) أي: من جنس الملائكة (أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ) كما قال في الآية الأخرى: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ).

ومع قوله هذا أقسم لهما باللّه (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ) أي: من جملة الناصحين، حيث قلت لكما ما قلت، فاغترا بذلك، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل.

(فَدَلَّىٰهُمَا) أي: نزَّلهما عن رتبتهما العالية، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوضارها، فأقدما على أكلها "[2].

---

(١) المرجع السابق (٣/٦).

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٥.

فيتبين من هذا كيف استطاع إبليس اللعين أن يوقع أبانا آدم وأمنا حواء في الغواية، وترك الأمر الصريح الواضح من الله بعدم الأكل من الشجرة، فزين لهما ذلك، واحتال عليهما، وأغراهما بالأكل من الشجرة بعد أن اقسم بأن بغيتكما تتحقق ومرادكما يكون بالأكل من الشجرة، فلكما الخلد والملك الذي لا ينتهي، فوقعا في شراكه، وعصيا ربهما، ووقعا فيما نهاهما عنه تعالى.

وهذا ينطبق على ما حصل للأبوين في الجنة، من مخادعة إبليس لهما ليحصل مقصوده بتلك الحيلة وذلك الإغراء.

والحيل المقصودة ها هنا والتي تعتبر أثراً من آثار الشيطان، ورثها الإنسان حيث قام بها أولياؤه، وحزبه، وأتباعه، وهي الحيل التي استخدمها إبليس مع آدم وزوجه، والتي يستخدمها أتباعه وأولياؤه اليوم، وهي الحيل المتضمنة إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم مظلوما، والحق باطلاً والباطل حقاً، كما ذكر ذلك ابن القيم: (الرأي رأيان: رأي يوافق النصوص وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذي اعتبره السلف، وعملوا به؛ ورأي يخالف النصوص وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذي ذموه وأنكروه).

وكذلك الحيل نوعان: نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض.

وقال الإمام أحمد – رحمه الله –: " لا يجوز شيء من الحيل في إبطال حق مسلم؛ وقال الميموني: قلت لأبي عبد الله: من حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فهل تجوز تلك الحيلة؟ قال: نحن لا نرى الحيلة إلا بما يجوز؛ قلت: أليس حيلتنا فيها

أن نتبع ما قالوا، وإذا وجدنا لهم قولاً في شيء اتبعناه ؟ قال: بلى هكذا هو؛ قلت: أوليس هذا منا نحن حيله؟ قال: نعم".

فبين الإمام أحمد بهذا: الفرق بين سلوك الطريق المشروعة التي شرعت لحصول مقصود الشارع، وبين الطريق التي تسلك لإبطال مقصوده[(١)].

وهذا الأسلوب الذي يستخدمه الشيطان في إغواء الإنسان، يقول عنه ابن القيم: (ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله – يعني الشيطان –: الحيل والمكر والخداع الذي يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه) [(٢)].

ويكفي المربى والمتربي أن يعلم، أن من احتال ومكر فإنه يحصل له عكس مراده، فان إبليس احتال على آدم وظن أن الله سيبعده ويقصيه، فانظر كيف اجتبى الله آدم وهداه وقربه، وأصبح بعد التوبة خيراً منه قبلها، وكرم ذريته من بعده، فقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[سورة البقرة، آية: ٣٧].

وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [سورة فاطر، آية: ٤٣].

وبعد أن تحدث ابن القيم عن الحيل والمكر والخداع في مئة وستة وثلاثين صفحه في كتابه القيم إغاثة اللهفان قال –رحمه الله –: (وهذا باب واسع جداً، عظيم النفع، لمن تدبره يجده متضمناً لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته، بأن يعكس عليه مقصوده شرعاً وقدراً، دنياً وآخره؛ وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده، بأن من مكر بالباطل مكر عليه، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خدع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [سورة النساء، آية: ١٤٢].

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٣-٢٨٤.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٨٣.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [سورة فاطر، آية: ٤٣].

وقال: " فلا تجد ماكراً إلا وهو ممكـور بـه، ولا مخادعـاً إلا وهـو مخـدوع، ولا محتالاً إلا وهو محتال عليه "[١].

ويتلخص من هذا أن الحيل والمكر والمخادعة من صفات الشيطان وخطواتـه التي أورثها لإتباعه وأوليائه، فهذا أثر من آثاره وخطوة من خطواته تعيشها المجتمعات سلوكاً واقعاً نراه في حياتنا.

فليحذر منها المسلم، وليتنبه لهذا المربون والمتربون، حفظنـا الله مـن مضـلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكـر، إغاثـة اللهفـان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٣٠٠.

المبحث الثاني: أثر الشيطان على جوانب مكونات الإنسان:

لقد عنيت التربية بجوانب مكونات الإنسان، فهناك عناية بالتربية القلبية، وهناك عناية بالتربية العقلية والفكرية، وهناك عناية بالتربية الجسمية والصحية، وهناك عناية بتربية الجوارح، وإذا كانت التربية تقوم بدور البناء لهذه المكونات، فإنك تجد في المقابل أن الشيطان يعمل في الاتجاه المعاكس لأهداف التربية، ويقوم بدور الهدم، وذلك سعياً حثيثاً منه لتحقيق أهدافه، لإنزال أكبر ضرر بالإنسان، سواءً الأضرار الدنيوية، أو الأخروية، أو هما معاً، فإذا استشعر الإنسان ضراوة وشراسة المعركة، وأن عدوه متربص به، وأن هذه المعركة على أشدها، ولاحظ أثر هذه العداوة في نفسه، أوفي من حوله، يرى هذه الآثار بادية واضحة على قلبه، أو عقله، أو جسده، أو أعضائه وجوارحه، فإنه سيكون حريصاً على معرفة أساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان، وسيكون أكثر حرصاً على معرفة الأساليب التربوية للوقاية من عداوة الشيطان والسلامة من شره ومكره؛ ويتناول الباحث في هذا المبحث: أثر عداوة الشيطان على جوانب مكونات الإنسان القلب، والعقل، والجسد، والجوارح والأعضاء، اسأل الله التوفيق والسداد.

أولا: أثره على القلب:

إن كلمة القلب جاءت في القران الكريم في (١٣٢) موضعاً، مفردة وجمعاً، وهذا يبين ما للقلب من أهمية، كمكون رئيس من مكونات طبيعة الإنسان وحقيقته، ومن أمثلة الآيات التي جاءت فيها كلمة القلب قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [سورة الحج، آية: ٣٢].

فالتقوى محلها القلب، وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ

بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [سورة المائدة، آية: ٤١]. فالقلب هو مستقر الإيمان.

وقد اخبر النبي ﷺ أن القلب محط التكليف، كما جاء في الحديث : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله "[(١)].

وكما جاء في الأثر أن الشيطان جاثم على قلب الإنسان: " الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس "[(٢)].

كما أن أشرف ما في الإنسان قلبه، فإنه العالم بالله العامل له الساعي إليه، وإنما الجوارح أتباع وخدم له، يستخدمها القلب استخدام الملوك للعبيد، فمعرفة القلب وصفاته أصل الدين، وأساس طريق العارفين، وحمايته حماية لأصل الدين، وحفظه حفظ للدين، وكما قال ابن القيم: " القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، تكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبيﷺ: " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله "[(٣)]. فهو ملكها، وهي المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما يأتيها من جهته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسئول عنها كلها، لان كل راعٍ مسئول عن

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١ ص١٢٦ فتح، القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١٠ ص٢٨ نووي.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٣٠ ص٣٥٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١ ص١٢٦ فتح، فتح، القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١٠ ص٢٨ نووي.

رعيته "[1].

ولذا اجتهد الشيطان على القلب أيما اجتهاد، وبذل على إفساده من الجهد ما يتناسب مع مكانته، يقول ابن القيم - رحمه الله -: " ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب، والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده عن الطريق، وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل، فإن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق "[2].

والقلب للإنسان كالحصن للمدينة، كما يصوره ابن الجوزي بقوله: " وإنما يدخل على الناس بقدر ما يمكنه، ويزيد تمكنه ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم، وجهلهم وعلمهم، واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثلم - أي نوافذ -، وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض فيه الهوى والشيطان، تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه، وجميع الثلم، وان لا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو ما يفتر "[3].

كما يصور لنا الحديث النبوي أثر الشيطان والملك على قلب الإنسان بقوله: " إن للملك بقلب ابن آدم لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك: إيعاد بالخير وتصديق

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٥.
(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٦.
(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، تلبيس إبليس (مرجع سابق) ص٣٨.

بالوعد، ولمة الشيطان، إيعاد بالشر وتكذيب بالوعد"[1].

ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾[سورة البقرة، آية: ٢٦٨].

"فالملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهاراً كله، وآخر بضده، نستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان"[2].

ويقول ابن قدامة: "واعلم أن مثل القلب كمثل حصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرفها، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد، وهي كثيرة، إلا أنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان"[3].

وهكذا يتضح لكل عاقل لبيب أن القلب محط تعاقب الشيطان، والملك والشيطان حريص على الاستيلاء على القلب، فمن أراد أن يحفظ قلبه فليحفظ جوارحه، فجدير بالمربين والمتربين وبخاصة المعنيين بالتربية الإسلامية أن يولوا القلب عناية فائقة، لما لصلاحه من أثر على صلاح الإنسان، ولما لفساده من أثر على فساد الإنسان.

ثانياً: أثره على العقل والفكر:

لقد منح الله الإنسان العقل ليقوده، ويدله على الخير، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الكبير، الطبعة الثانية، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. ج7 ص٤٩٨.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٩٩-١٠٠.

(٣) المقدسي، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة: مختصر منهاج القاصدين، (مرجع سابق)، ص ٢٣٤.

فمنذ أن خلق الله آدم كرمه بالعقل المدرك المميز، وفضله على الملائكة بالعلم الذي يدرك بالعقل، وقد امتدح الله من استخدم عقله بقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص، آية: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد، آية: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٩].

وجعله الله مناط التكليف، فغير العاقل لا تتعلق بأفعاله وأقواله أحكام الشرع الحنيف، كما قال ﷺ: " رفع القلم عن ثلاث، وذكر منهم المجنون حتى يفيق "(١).

وعاب الله على من لم يستخدم عقله في الوصول إلى الحق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٧٩].

و مع هذا يمكن أن تنقلب هذه المنحة إلى محنة، والنعمة إلى نقمة، إذا أسلم الإنسان قيادة للشيطان، ويعتبر الذنب الأول للشيطان أعمال العقل في غير محله وموطنه.

حيث أن إبليس لعنه الله عندما أمره الله جل وعلا بالسجود لآدم، أبى وقال: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر، آية: ٣٣]. فهنا أعمل إبليس عقله، ونظر لأصل خلقه ومبدئه وعنصره.

يقول السعدي في ذلك: " فاستكبر على أمر الله، وأبدى العداوة لآدم وذريته، وأعجب بعنصره، وقال: أنا خير من آدم "(٢).

كما يقول الخازن مبينا كيف انحط إبليس باستخدامه العقل في قوله تعالى: "(لَمْ

---

(١) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي الكبرى (مرجع سابق) ج٣ ص٣٦٠ حديث ٥٦٢٥.

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٣١.

أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ) أراد إبليس أنه أفضل من آدم، لأن آدم طيني الأصل، وإبليس ناري الأصل؛ والنار أفضل من الطين، فيكون إبليس في قياسه أفضل من آدم، ولم يدرِ الخبيث أن الفضل فيما فضله الله تعالى[1].

وقال – إبليس –: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ [سورة الإسراء، آية: ٦١].

فهنا أعمل إبليس عقله، حيث رأى انه من غير اللائق أن يسجد لمن خلق من طين ومن صلصال من حمأ مسنون، فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ حيث ذهب بعقله ورأيه إلى أن النار أفضل من الطين، وعليه فمن خلق من نار أفضل ممن خلق من طين، فأبى ورفض السجود بناء على هاتين المقدمتين، ويعتبر إبليس أول من استعمل القياس، وكان هذا القياس فاسداً وباطلاً وغير صحيح.

كما قال السعدي في تفسير هذه الآية: "(قَالَ) متكبرا: (ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا) أي: من طين وبزعمه أنه خير منه لأنه خلق من نار، وقد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة أوجه "[2].

ثم ورَّث هذا المبدأ لكثير من الخلق ممن استعملوا عقولهم، ولكن لإبطال حق أو إحقاق باطل، فكل من استعمل عقله وضل فهو ممن اتبع خطوات الشيطان وأساليبه، فعاش أثراً من آثاره المدمرة، ومن أمثلة ذلك: من استخدم عقله في الترويج لمذاهب منحلة، وأفكار عفنة، ونظريات متهافتة شرقية أو غربية، فهي من آثار الشيطان على العقول التي ضلت وأضلت.

كما أن استخدام الحيل في إحقاق الباطل، أو إبطال الحق، من آثار تلاعب الشيطان بهؤلاء الخلق.

---

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن، (مرجع سابق) ج٤ ص١٤٦.

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٦١.

و كان السلف الصالح يتخوفون من إبداء الآراء التي قد تكون من نتاج الفكر والعقل، وهي مخالفة لمراد الله تعالى، وقد نقل ابن القيم عن السلف ذلك، وحمل على من حكَّم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة فقال: " وهؤلاء الجهّال يرى أحدهم أدنى شيء فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة ولا يلتفت إليهما ويقول: حدثني قلبي عن ربي، ونحن أخذنا عن الحي الذي لا يموت، وأنتم أخذتم عن الوسائط، ونحن أخذنا بالحقائق، وأنتم اتبعتم الرسوم، وأمثال ذلك من الكلام الذي هو كفر، وإلحاد، وغاية صاحبه أن يكون جاهلاً يعذر بجهله، حتى قيل لبعض هؤلاء: ألا تذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الملك الخلاق ؟

وهذا غاية الجهل، فإن الذي سمع من الملك الخلاق موسى بن عمران كليم الرحمن، وأما هذا وأمثاله فلم يحصل لهم السماع من بعض ورثة الرسول، وهو يدعي أنه يسمع الخطاب من مرسله فيستغني به عن ظاهر العلم، ولعل الذي يخاطبهم هو الشيطان، أو نفسه الجاهلة، أوهما مجتمعين ومنفردين.

ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفراً؛ وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة، وبهذا تارة، فما يلقي في القلوب لا عبرة به، ولا إلتفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول، ويشهد له بالموافقة، وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان.

وقد سئل عبد الله بن مسعود عن مسألة المفوضة شهراً فقال بعد الشهر: " أقول فيها برأيي، فان يكن صواباً فمن الله، وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله.

وقال عمر ﷺ أيضاً: " أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله عليه السلام لرددته.

واتهام الصحابة لأرائهم كثير مشهور، وهم أبر الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأبعدها من الشيطان، فكانوا أتبع الأمة للسنة، وأشدهم اتهاماً لأرائهم، وهؤلاء

ضد ذلك "[1].

وقد يسيطر الشيطان على عقل الإنسان وتفكيره، فيتحرك بأمره ونهيه، قال ابن القيم: " ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً، حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يخيل له أنه يضره، فلا اله إلا الله؛ كم فتن بهذا السحر من إنسان؟ وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان ؟ وكم جلّى الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة ؟ وكم بهرج من الزيوف على الناقدين، وكم روج من الزغل على العارفين ؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة، والآراء المتشعبة، وسلك بهم في سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك، بعد مهلك وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى، وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله:﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة المائدة، آية: ١٠٥][2].

وإن المشاهد لحال كثير من أذكياء العالم ليجد أنهم أتوا من قبل إعمال عقولهم وتوسعهم في ذلك فيما لا مجال للعقل فيه، أو في مصادمة آرائهم لنصوص الكتاب والسنة.

قال ابن القيم – رحمه الله –: " ومن كيده بهم وتحيله عليهم: إخراجهم من العلم والدين: أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١١٢-١١٣.
(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ص١٠١-١٠٢.

اليقين، وأوحى إليهم إن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية والطرق الكلامية، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق يونان، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان، ومرت عليها القرون والأزمان، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان، كإخراج الشعرة من العجين "[1].

وتجده في موضع آخر يحمل على من أستهوته الشياطين، وأثرت على عقله وثقافته فيقول: " ومن حيله ومكايده: الكلام الباطل، والآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة، التي هي زبالة الأذهان، وحثالة الأفكار، والزبد الذي يقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل، والخطأ بالصواب "[2].

وقال أيضاً: " ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل والخداع الذي يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق على ذمه "[3].

وبهذا يتبين أيها الفطن اللبيب أن إعمال العقل يكون توظيفاً لنعمة أنعم الله تعالى بها، أو يكون سبيلاً وطريقاً للشيطان على الإنسان يضله ويغويه؛ فترى أثر الشيطان عليه من خلال كلامه، وكتاباته، وحواراته، ومناقشاته، لذا على المربي والمتربي أن يعرف الموقف الحق والوسط في النظر والتعامل مع العقل، كي لا يستجره الشيطان إلى مضلات الفتن، ومهاوي الردى.

ثالثا: أثر الشيطان على جسد الإنسان:

إن جسم الإنسان هو الوعاء الذي يحتوي كافة الأجهزة، ومن خلاله يؤدي

---

(١) المرجع السابق ج١ ص١٠٩.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨١.

(٣) المرجع السابق ج١ ص٢٨٣.

وظائفه ويقوم بدوره في الحياة.

ومنهج التربية الإسلامية يُعنى ببناء وسلامة الجسد على الوجه الذي يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة والاستقرار في الدنيا والآخرة، ويتضح ذلك من خلال عناية الإسلام بالجانب الصحي للإنسان، حيث أن الإسلام أشاد بالقوة الجسدية واعتبرها من الصفات التي يمتدح بها الإنسان حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [سورة القصص، آية: ٢٦].

ويقول الله تعالى حاثاً المسلمين على إعداد الأقوياء لنشر شرع الله تعالى ودينه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٦٠].

وهذه القوة تكون في الرجال والعتاد، وقد احل الله تعالى الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن ليتقوى بها الإنسان على تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٤٥].

كما أن جمال اللباس والنظافة والطيب ورائحته له أثر على النفس وقوتها، وقد جاء في الحديث أن الرجل يحب أن يكون نعله حسن وثوبه حسن..

وقال ﷺ: " حبب لي من دنياكم النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة"

وفي المقابل حرص الشيطان على أن يكون له أثره السلبي على سعادة وراحة

وطمأنينة واستقرار الإنسان، كان ذلك ظاهراً منذ اللحظة الأولى التي عادى فيها أبينا آدم، وحرص على إغوائه، فبعد أن أسكن الله تعالى أبانا آدم الجنة، وضمن له سبحانه وتعالى متطلبات الحياة الهنية حيث قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [سورة طه، آية: ١١٧]. وقد بين الله تعالى لآدم أن خروجك من الجنة سيعود عليك بالشقاء، يعني يكون عيشك من كد يدك، فيكون الشقاء في طلب القوت، وروي أنه أهبط لآدم ثور أحمر فكان يحرث عليه، ويمسح العرق عن جبينه، فأصبح طعامهما كداً وكدحاً وتعباً ونصباً، فكان عيشه بكد يمينه وعرق جبينه، فأصبح يحرث، ويزرع، ويحصد، ويطحن، ويخبز، ونلاحظ هنا أن الله تعالى ضمن لأدم الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان وهي المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، وذكر أنه استجمعها له في الجنة، وأنه مكفي لا يحتاج معها إلى جهد كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا، وذكرها الله بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع، والعري، والظمأ، والضحو .

ليطرق سمعه بأشنع وأبشع أصناف الشقاء التي حذره منها، حتى يجتنب السبب، وقرن الله بين الجوع والعري، لان الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، وقرن بين الظمأ والضحى، لأن الظمأ حر الباطن، والضحى حر الظاهر.

وللشيطان أثر على جسد الإنسان وبدنه، فهو يسعى لإنزال الضرر بالإنسان في بدنه وجسده، فقد تعرض لرسول الله ﷺ وهو خير البشر، وجاء بشهاب من نار يقذفه في وجه رسول الله ﷺ: فعن أبي التَّيَّاحِ قَالَ: " سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَنْبَشٍ: "كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ، قَالَ: جَاءَتْ الشَّيَاطِينُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الأودِيَةِ، وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَرُعِبَ، قَالَ جَعْفَرٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: جَعَلَ يَتَأَخَّرُ قَالَ: وَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ أعوذ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ

وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأرض، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ، فَطَفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"[1].

وعن أبي هريرة قال: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاةَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ، فَذَعَتُّهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إليه أَجْمَعُونَ، أوكُلُّكُمْ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا "[2].

وعن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلي، فأتاه الشيطان، فأخذه، فصرعه، فخنقه، قال رسول الله ﷺ: " حتى وجدت برد لسانه على يدي، ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح موثقاً حتى يراه الناس "[3].

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ خَلْفَهُ، فَقَرَأَ فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ قَالَ: " لَو رَأَيْتُمُونِي وَإِبلِيس، فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي فَمَا زِلْتُ أَخْنُقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إِصْبَعَيَّ هَاتَيْنِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، وَلَوْلا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ، لأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ يَتَلاعَبُ بِهِ صِبْيَانُ الْمَدِينَةِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَحَدٌ

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج١٢ ص٣١.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج٣ ص١٤٧.

(٣) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب: السنن الكبرى، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ج٦ ص٤٤٢.

فَلْيَفْعَلْ "[1].

وعَنْ أبي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: " أعوذ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثُمَّ قَالَ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَة اللَّهِ ثَلاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يتناول شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الصَّلاةِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: " إِنَّ عَدُو اللَّهِ إبليس جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أعوذ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهِ لَوْلا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ، لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أهل الْمَدِينَةِ "[2].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، أو كَلِمَةً نَحْوَهَا، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إلى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إليه كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، قَالَ: رَوْحٌ فَرَدَّهُ خَاسِئًا "[3].

كما يخرج الإنسان إلى هذه الحياة الدنيا فيكون في مقدمة مستقبليه، وكبار مستضيفيه الشيطان، ولكنه استقبال بالأذية، فقد قال ﷺ: " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعيه حين يولد، غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب "[4].

وفي صحيح البخاري أيضاً: " ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها ".

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٢٣ ص٣٩٩.
(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج٣ ص١٤٨.
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٢ ص٢٥٩.
(٤) المرجع السابق ج١١ ص٦٤.

والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٣٦].

فانظر إلى عظيم أثر الشيطان على الإنسان حين الولادة، فهو يمسه ويطعنه في جنبه، ويؤذيه في جسده.

وقد قرر ابن تيميه أثر الشيطان على جسد الإنسان، وأنه لا حجة لمنكري ذلك فقال: " وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي، وإنما معه عدم العلم، إذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك، كالطبيب الذي ينظر في البدن من جهة صحته ومرضه الذي يتعلق بمزاجه، وليس في هذا تعرض لما يحصل من جهة النفس، ولا من جهة الجن، وإن كان قد عُلم من غير طبه أن للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية، وكذلك للجن تأثير في ذلك، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم "[(١)]. وفي الدم الذي هو البخار، الذي تسميه الأطباء الروح الحيواني المنبعث من القلب الساري في البدن الذي به حياة الأبدان "[(٢)].

وسبق أن بينت عناية الإسلام بحفظ جسد الإنسان وصحته، والشيطان يسعى في مرضه وموته، ومن هذه الآثار: ما بينه ﷺ من أن الطاعون من وخز أعدائنا من الجن، فقال ﷺ: " فناء أمتي بالطعن والطاعون، وخز أعدائكم من الجن، وفي كل

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) رقم ٢٠٣٥، القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) رقم ٢١٧٥.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سابق) ج١٩ ص٣٢. وإيضاح الدلالة في عموم الرسالة ضمن مجموع الرسائل المنيرية، طبعة مكتبة ابن سيناء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ج٢ ص١١٨- ١١٩.

شهادة "[1].

ومن أثره على الجسد: ما يحصل للمرأة من خروج دم الإستحاضة، فقد قال ﷺ: " إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان "[2].

ومن آثاره على جسد الإنسان: ما يحصل له من المس والصرع، يقول ابن تيميه: " دخول الجن في بدن الإنسان ثابت بإتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة، آية: ٢٧٥]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم " وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: " قلت لأبي: أن أقواماً يقولون: إن الجن لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون هذا يتكلم على لسانه "[3].

يقول ابن تيمية: " هذا الذي قاله مشهور فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويُضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضُرب به جمل لأثر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجر المصروع، وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه، ويحول الآلات، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً بأن الناطق على لسان الإنس، والمحرك لهذه الأجسام، جنس آخر غير الإنسان "[4].

---

(١) الألباني، محمد بن ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير (مرجع سابق) ج٤ ص٩٠.

(٢) المرجع السابق ج٣ ص١٩٦.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سابق) ج٢٤ ص٢٧٦.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سابق) ج٢٤ ص٢٨٢.

ويقول – رحمه الله –: " وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بـدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشـرع يكـذب ذلـك فقـد كـذب علـى الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك "[1].

وتحدث عن من يستعمل الجن، وذكر أنهم أصناف، وقال: " ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله أما في الشـرك، وأمـا في قتـل المعصـوم الـدم، أوفي العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه، وانسائه العلم، وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشـة، كجلـب مـن يطلـب منـه الفاحشـة، فهـذا قـد اسـتعان بهـم علـى الإثـم والعدوان "[2].

فانظر كيف أشار إلى أثر الشيطان على بدن الإنسان بالقتل والأمراض وغيرها.

ومن أثر الشيطان على بدن وجسـد الإنسـان: أن الجـن تـدخل في الإنسـان، وهذا من أعظم الأثر عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيميه: " وجود الجن ثابت بكتـاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسـان ثابت باتفاق أئمة أهل السـنة والجماعـة، قـال الله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾[البقـــرة، آيـــة: ٢٧٥]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم "[3].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: " قلت لأبي: إن أقوامـاً يقولـون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني! يكذبون هذا يتكلم على لسانه "[4].

---

(١) المرجع السابق ج٢٣ ص٢٧٤.
(٢) المرجع السابق ج١١ ص٣٠٧.
(٣) آل سلمان، أبي عبيدة مشهور بن حسن: فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان (مرجع سابق) ج١ ص٣٩٥.
(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سـابق) ج١٩ ص١١-١٢.

ويقرر ابن تيميه أن الصرع يحصل للإنسي من الجني لأسباب مختلفة، فيقول: "وصرع الجن للإنس هو لأسباب ثلاثة: تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل، وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم أوصب عليهم ماء حاراً، أو يكون قتل بعضهم، أو غير ذلك من أنواع الأذى، هذا أشد الصرع، وكثيراً ما يقتلون المصروع، وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل"[(١)].

وقال في موضع غير هذا: "صرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس، والجني قد يحب الإنسي كما يحب الإنسي الإنسي، وكما يحب الرجل المرأة والمرأة الرجل، ويغار عليه، ويخدمه بأشياء، وإذا صار مع غيره فقد يعاقبه بالقتل وغيره كل هذا واقع"[(٢)].

"وكذلك الجنيات منهن من يريد من الإنس الذي يخدمنه ما يريد نساء الإنس من الرجال، وهذا كثير في رجال الجن ونسائهم، فكثير من رجالهم ينال من نساء الإنس ما يناله الإنس، وقد يفعل ذلك بالذكران"[(٣)].

ومن صور تأثيره على الأبدان: ما جاء في المسند عن يعلى بن مره قال: "رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلاثًا مَا رَآهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلا يَرَاهَا أَحَدٌ بَعْدِي، لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ حَتَّى إذا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، فَمَرَرْنَا بِامرأَةٍ جَالِسَةٍ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا صَبِيٌّ أَصَابَهُ بَلاءٌ، وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلاءٌ، يُؤْخَذُ فِي الْيَوْمِ

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سابق) ج٢٣ ص٨٢.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: النبوات، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٥هـ. تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، ص٣٩٩.

(٣) ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سابق) ج٢٣ ص٨٢.

مَا أَدْرِي كَمْ مَرَّةً، قَالَ: نَأولينيهِ، فَرَفَعَتْهُ إليه، فَجَعَلَتْهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ، ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثًا، وَقَالَ: " بِسْمِ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ اخْسَأْ عَدُو اللَّهِ "ثُمَّ نَاولها إِيَّاهُ، فَقَالَ: الْقَيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، فَأَخْبِرِينَا مَا فَعَلَ، قَالَ: فَذَهَبْنَا وَرَجَعْنَا، فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَعَهَا شِيَاهٌ ثَلاثٌ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَبِيُّكِ؟ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ فَاجْتَرِرْ هَذِهِ الْغَنَمَ، قَالَ: انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً وَرُدَّ الْبَقِيَّةَ "(١).

ومن صور تأثيره على بدن الإنسان: ما يحصل للإنسان من المس، يقول الفخر الرازي:" والمس: الجنون، يقال: مس الرجل فهو ممسوس وبه مس، وأصله: من المس باليد، كأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه، ثم سمي الجنون مساً، كما أن الشيطان يتخبطه ويطؤه برجله فيخبله، فسمي الجنون خبطه، فالتخبط بالرجل، والمس باليد "(٢).

وقد يتخبط الشيطان الإنسان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة، آية: ٢٧٥]. قال قتادة في معنى المس في الآية: " هو التخبيل الذي يتخبطه الشيطان من الجنون "(٣).

وقال ابن جرير: " يعني بذلك: " يتخبله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يتخبطه فيصرعه من المس يعني: من الجنون "(٤).

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٣٥ ص٤٢٦.
(٢) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي: التفسير الكبير، (مرجع سابق) ج٧ ص٨٨.
(٣) الصنعاني، عبدالرزاق بن همام الحميري: تفسير القرآن، (مرجع سابق) ج١ ص١١٠.
(٤) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٣ ص١٠١.

ويقول ابن حيان: "وظاهر الآية أن الشيطان يتخبط الإنسان، فقيل: في ذلك حقيقة هو من فعل الشيطان بتمكين الله تعالى من ذلك في بعض الناس، وليس في العقل ما يمنع ذلك"[1].

بل أثبت القرآن والسنة وعلماء السلف ذلك والواقع شاهد حال عليه.

ومن ذلك تخبط الشيطان للإنسان عند الموت، فعن أبي اليسر ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو: "اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق، والحرق، والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً وأعوذ بك أن أموت لديغاً"[2].

ومما سبق يتضح جلياً أن للشيطان أثراً على جسد الإنسان، حفظنا الله وإياكم من كيده وشره ومكره.

ومن صور أثره على البدن: دخول الجن في بدن الإنسان بسبب السحر، قال في العداوة: "السحر لا يتم في أكثر أحواله إلا بمعاونة الشيطان، وهو من عمله، فإذا خضع الساحر للشيطان وتذلل وتقرب إليه بألفاظ الكفر والشرك بالله تعالى، فحينئذ يقضي الشيطان بعض أغراض الساحر، فيأتي الشيطان، أو يرسل شيطاناً آخر فيلتبس في أغلب الأحوال ببدن الشخص الذي أراد الساحر أن يسحره، فيبدأ هذا الشيطان الجني في تنفيذ ما أراده الساحر من أذية الشخص المسحور إما بالتفريق بينه وبين زوجه، وإما بأذيته في بدنه بالأوجاع والآلام، أو بصرفه عن أمر من الأمور، أو غير ذلك من المقاصد الشيطانية الخبيثة، وقد شاهدت مثل هذه الحالات عدة مرات: حيث يتكلم الشيطان الجني الذي في بدن المسحور، ويذكر أنه تلبس في المسحور عن

---

(١) الأندلسي، محمد بن يوسف أبو حيان: البحر المحيط، الطبعة الثانية، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ. ج٢ ص٣٣٤.

(٢) النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، (مرجع سابق) ج١ ص٧١٣.

طريق السحر الذي عمل له فأحياناً يخبر باسم الساحر، ومكان الساحر، وقد يكـون صادقاً، وفي أحيان كثيرة يكذب في ذلك، والجني الذي يلبس في بـدن المسـحور عـن طريق السحر يكون أشد فتكاً وشراسة في الغالب ممن يتلبس في بـدن المصـروع مـن غير طريق السحر، وذلك أن الجني الذي توكل إليه مهمة تنفيذ السحر يختار من عتاة الجن وأشدهم طغياناً وفتكاً، غير أن الآيات والتعوذات تدحره وتضعف كيده بـإذن الله تعالى، فيخرج من البدن صاغراً ذليلاً، فإذا خرج من البدن فان السحر يبطـل إن شاء الله تعالى "[(١)].

هذه بعض النماذج والصور الدالة على أن للشيطان أثر على جسد الإنسان، فهو يمرض، ويقتل، ويصرع، ويتلبس، ومـرض الطـاعون والاستحاضـة هـي مـن الشيطان وكم هي تلك الأمراض المستعصية التي عجز الطب الحديث بما وصل إليـه من تقنية عالية وخبرة متراكمة طويلة عن الوصول إلى تفسيرات ماديـة، ومـن هـذه الأمراض مرض السرطان، حيث يجزم كثيراً من الأطباء المختصون وبعـض المعنـيين بالعلاج بالقرآن أن بعض حالاته عين أو جان، ولذا وجب على العاقـل اللبيـب أن يحصن نفسه بالذكر، ويحفظه بالشكر.

رابعاً : أثر الشيطان على الجوارح والأعضاء.

إن أثر الشيطان على جوارح الإنسان وأعضائه ظاهر مشاهد، وهذا الأثر إمـا أن يتمثل في حمله على أنواع المعاصي المختلفة، أو يكون على الحقيقة، واليـك بيـان الجوارح والأعضاء التي يؤثر عليها الشيطان:

أ - أثره على اللســان :

إن أثــر الشــيطان علــى اللســان يكــون بإظهــار الســباب واللعــان، ويكــون بالسخرية والاستهزاء، ويكون بكثرة الجدال والمـراء وشـهادة الـزور، وكثـرة النقـد والتجريح، وبالتناجي، ونحوها من المعاصي، وبالكلام فيما لا يعني وما لا فائدة فيه،

---

(١) الحــواس، عبــدالمنعم بــن حــواس: عــداوة الشــيطان للإنســان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم، (مرجع سابق) ص٥٣٥.

وإذا كان بعض أهل العلم عدو الحديث بفضول الكلام مفتاحاً ومـدخلاً للشـيطان، فكيف بالمعاصي الصريحة ؟!

والله تعالى يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، آية: ١١٤].

يقول الإمام الغزالي – رحمه الله –: " اللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى دار البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان، إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله "[١].

وقال ابن القيم في بيان آفة فضول الكلام وأنها أثر من آثار الشيطان: " وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابا من الشر، كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ: " وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "، وفي الترمذي أن رجلاً من الأنصار توفي، فقال بعض الصحابة طوبى له؛ فقال النبي ﷺ: " فما يدريك فلعله تكلم بما لا يعنيه، أو بخل بما لا يغنيه "، وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فان جارحتيهما لا يملاَّن ولا يسأمان، بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد: أحياء علوم الدين (مرجع سابق) ص١٥٣٦.

الشعب، عظيمة الآفات "[1].

ومن الصور التي تُظهر أثر الشيطان على اللسان: عندما يصرع الجني الإنسان، ويدخل في بدنه، فإنه يتكلم على لسانه، يقول ابن تيميه - رحمه الله -: " الجني إذا حل في المصروع وصرعه وتكلم على لسانه فان الإنسي يتغير حتى يبقى الصوت والكلام الذي يسمع منه ليس هو صوته وكلامه المعروف، وإذا ضُرب بدن الإنسي فإن الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذلك ما لا يحصى، ونحن قد فعلنا من ذلك ما يطول وصفه "[2].

كما أنه أحياناً إذا حضر الجني على لسان المصروع تراه يزبد، ويروغ، ويتكلم بكلام لا يفهم، قال الإمام ابن تيمية عن أهل السماع الشيطاني: " فإذا حضروا سماع المكاء والتصدية أخذهم الحال فيزبدون، ويراوغون، كما يفعله المصروع، ويتكلمون بكلام لا يفهمونه هم ولا الحاضرون، وهو شياطينهم تتكلم على ألسنتهم عند غيبة عقولهم، كما يتكلم الجني على لسان المصروع "[3].

يقول - رحمه الله -: " فإن الجني إذا تكلم على لسان المصروع ظهر الفرق بين ذلك المصروع و بين غيره من الناس، بل اختلف حال المصروع، وحال كلامه، وسمع منه من الكلام ما يعلم يقيناً أنه لا يعرفه وغاب عقله، بحيث يظهر ذلك للحاضرين، واختلف صوته ونغمته "[4].

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: بدائع الفوائد (مرجع سابق) ج١-٢ ص٤٦٩.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبعة المديني، مصر، تحقيق: علي سيد صبح المديني. ج٤ ص٣٦٣.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: الفتاوى العراقية، طبعة عالم الكتب، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر ص٨٢.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (مرجع سابق) ج٢ ص٤٦-٤٧.

ويقول أيضاً: " فإنه يتغير الكلام، ويعرف الحاضرون أنه ليس هو كلام الإنسي مع أنه يتكلم بلسان الإنسي وحركة أعضائه، فيعلم أن الصوت حصل بحركة بدن الإنسي مع العلم بأنه قد تغير تغيراً خالف به المعهود من كلام الإنسي، [فالكلام في الصورة للمصروع وفي الباطن للجني] والإنسان الذي حل فيه الجني يغيب عنه عقله، ولا يشعر بما يتكلم الجني على لسانه "[(١)].

ويقول – رحمه الله –: والكلام إما أن يكون " من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك، أو الفرس، أو غيرهم، ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم، وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى، وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهوداً وعياناً "[(٢)].

ب- أثره على العين:

ويكون ذلك بتحسين الشيطان للإنسان إطلاق البصر، وإتباع النظر تلو النظر، يقول ابن القيم – رحمه الله –: " إن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والانشغال به، والفكر في الظفر به ".

فمبدأ الفتنة من فضول النظر، كما في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: " النظرة سهم من سهام إبليس، فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم القيامة " أو كما قال ﷺ رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي؛ فالحوادث العظام إنما هي من فضول النظر، فكم نظره أعقبت حسرات لا حسرة "[(٣)].

---

(١) المرجع السابق (١٢/٤).
(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سابق) ج١١ ص٥٧٤-٥٧٥.
(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: التفسير القيم (مرجع سابق) ص٦٢٥.

قال الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر

وقال آخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وقال المتنبي:

رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأنا الذي جلب المنية طرفه ... فمن المطالب والقتيل القاتل

وقال آخر:

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهدا ... أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... توقّه إنه يرتد بالعطب

ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ... فهل سمعت ببرء جاء من عطب

قال ابن مسعود ﷺ: " ما من نظرة إلا للشيطان فيها مطمع ".

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَان زِنَاهما النَّظَرُ، وَالأُذُنَان زِنَاهما الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَى، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ "[1].

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١٣ ص١٢٥.

وقال ﷺ : " لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان "[(١)].

فإذا خلا بها تجرأ على النظر إليها، وتجرأت على النظر إليه، وحركها الشيطان تجاهه، وحركه الشيطان تجاهها.

وعن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت: " بينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب، فقال ﷺ " احتجبا منه " فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله ﷺ: " أو عمياوان أنتما، ألستما تبصرانه "[(٢)].

وعلى أية حال فإن إرسال البصر، وإطلاق النظر في النساء والمردان من أعظم أسلحة الشيطان وآثاره الظاهرة، وكذلك المرأة مطالبة بحفظ نظرها وعدم إطلاق بصرها.

ولذا قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور، آية: ٣٠-٣١].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٩ ص٣٣١.

(٢) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود (مرجع سابق) ج١١ ص١٥٣.

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان"[1].

يقول الإمام القرطبي – رحمه الله –: "البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه عن جميع المحرمات "[2].

وحذر ابن القيم في بدائع الفوائد من فضول النظر وقال: "فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب والاشتغال به؛ والفكرة في الظفر به، فمبدأ الفتنة من فضول النظر، كما في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه، أو كما قال ﷺ؛ " فالحوادث العظام إنما كلها من فضول النظر، فكم نظرة أعقبت حسرات لا حسره"، كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها	فتك السهام بلا قوس ولا وتر[3]

وأختم بكلام ابن القيم في الداء والدواء وهو يتحدث عن فوائد غض البصر فيقول: "الثامنة: أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب، فإنه يدخل مع النظرة، وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه ويزينها، ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يعده ويمنيه، ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الصحيح (مرجع سابق) ج٢ ص٣١٩.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي)، (مرجع سابق) ج١٢ ص٢٢٣.

(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: بدائع الفوائد، الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، لا يوجد طبعة ولا تاريخ. ج٢ ص٤٦٧.

الصورة، فيصير القلب في اللهيب.

فمن ذلك اللهيب تلك الأنفاس التي يجد فيها وهج النار، وتلك الزفرات والحرقات، فإن القلب قد أحاطت به النيران من كل جانب، فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور"[1].

فإطلاق البصر وتكرار النظر سهم من سهام الشيطان يصل إلى قلب الإنسان، فمن أراد حفظ قلبه فليحفظ نظره.

جـ- أثره على الأذن:

إن استحسان سماع الحرام من آثار الشيطان على الإنسان، فاستماع الغيبة والنميمة، والكذب ولو كان مزاحاً، وسماع الزور، والسخرية والاستهزاء، وغيرها من المسموعات، إذا قبلتها الأذن، فهي من آثار الشيطان عليها، ومن أعظم الآثار على الأذن، استماع الغناء والتلذذ به.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: "ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها: من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبة الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيتهم عند ذياك السماع، وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان،

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: الداء والدواء (مرجع سابق) ص٢٧٧-٢٧٨.

وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان ؟ "[1].

ويقول – رحمه الله –: " وأما سماعه من المرأة الأجنبية أو الأمرد، فمن أعظم المحرمات، وأشدها فساداً للدين "[2].

ويقول رحمه الله: " هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني، له في الشرع بضعة عشر اسماً: اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقران الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسمّود "[3].

قال يزيد بن الوليد: " يا بني أمية إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنى "[4].

واستمع إلى عظيم أثر سماع الغناء على الإنسان حيث يقول ابن القيم –رحمه الله – : " فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا، وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارق والحشايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا، وكم أهدى للمشغوف به من أشجان وأحزان فلم يجد بداً من قبول تلك الهدايا، وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وذلك منه من إحدى العطايا، وكم خبأ لأهله من آلام منتظرة، وغموم متوقعة، وهموم مستقبلة "[5].

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٩٦-١٩٧.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٠١.

(٣) المرجع السابق ج١ ص٢٠٧.

(٤) المرجع السابق ج١ ص٢١٤.

(٥) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٢١٥.

كما قيل:

فســل ذا خــبرة ينبيــك عنــه ... لــتعلم كــم خبايــا في الزوايــا
وحــاذر إذا شــغفت بــه ســهاما ... مريشـــــة بأهـــــداب المنايـــــا
إذا مـــا خالطـــت قلبـــا كئيبـــا ... يقلـــب بـــين أطبـــاق الرزايـــا
ويصــبح بعــد أن قــد كــان حــرا ... عفيــف الفــرج: عبــدا للصــبايا
ويعطي من بــه أن قــد كــان حــرا ... وذلــك منــه مــن شــر العطايــا

كما يبين - رحمه الله - خواص الغناء، وأثـره علـى السـماع، فيقـول: " فمـن خواصه - أي سماع الغناء-: أنه يلـهي القلـب ويصـده عـن فهـم القـرآن وتـدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً، لما بينهما من التضـاد، فإن القرآن ينهى عن إتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبـة شـهوات النفـوس وأسـباب الغي، وينهى عن إتباع خطوات الشيطان؛ والغنـاء يـأمر بضـد ذلـك كلـه، ويحسـنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح، ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح، فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان، فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وخليفته وخدينه وصديقه، عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ، واحكـم بينهمـا شـريعة الوفـاء الـتي لا تفسخ، وهو جاسوس القلب، وسارق المروءة، وسوس العقـل، يتغلغـل في مكـامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة، ويدب إلى محل التخيل فيثير ما فيـه مـن الهـوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة "[(١)].

وصدق القائل:

أتـــذكر ليلـــة وقـــد اجتمعنـــا ... على طيب السـماع إلى الصـباح؟
ودارت بيننـــا كـــأس الأغـــاني ... فأســكرت النفــوس بغــير راح
فلـــم تـــر فـــيهم إلا نشـــاوى ... سرورا والسـرور هنـاك صـاحي

---

(١) المرجع السابق ج١ ص٢١٦-٢١٧.

إذا نـــادى أخـــو اللـــذات فيـــه   أجاب اللهو: حي علـى السـماح
ولم نملـك سـوى المهجـات شـيئا   أرقناهـــــا لألحــــاظ المــــلاح

" وقال ابن أبي الدنيا في كتاب " مكايد الشيطان وحيله ": عـن أبـي أمامـة عـن رسول الله ﷺ قال: " إن إبليس لما انزل إلى الأرض قـال: يـارب أنـزلتني إلى الأرض، وجعلتني رجيماً، فاجعل لي بيتاً قال: الحمام، قال: فاجعل لي مجلساً قال: الأسـواق ومجامع الطرقات، قال: فاجعل لي طعاماً، قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليـه، قـال: فاجعل لي شراباً، قال: كل مسكر، قال: فاجعل لي مؤذناً، قال: المزمار، قال: فاجعل لي قرآناً، قال: الشعر، قال: فاجعل لي كتاباً، قال: الوشم، قال: فاجعل لي حـديثاً، قال: الكذب، قال: فاجعل لي رسلاً، قال: الكهنة، قال: فاجعل لـي مصـايد، قـال: النساء "[1].

ومن أراد التوسع في معرفة أثره على الأذن فليرجع إلى كتاب إغاثـة اللـهفان المجلد الأول، ص١٩٦، فقد تكلم بكلام نفيس لم أجد مثله نقلت بعضاً منه هنا.

د- أثره على الأنف والخيشوم:

أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يبيت على خيشوم الإنسان، فجاء عَنْ أبـي هُرَيْـرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إذا اسْتَيْقَظَ أحدكم مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ، فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ "[2].

قال ابن حجر " مبيته على الأنف ليتوصـل منـه إلى القلـب إذا اسـتيقظ فمـن استنفر منعه من التوصل إلى ما يقصده من الوسوسة فحينئذ فالحديث متنـاول لكـل

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكـر، إغاثـة اللهفـان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٢١٨-٢١٩.
(٢) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب: (مرجـع سـابق) ج١ ص١٦٣.

مستيقظ "[1].

قال السندي: " ومبيت الشيطان إما حقيقة لأنه أحد منافذ الجسم يتوصل منها إلى القلب والمقصود من الإستنثار إزالة آثاره وإما مجازاً فإن ما ينعقد فيه من الغبار والرطوبة قذرات توافق الشيطان فالمراد أن الخيشوم محل قذر، يصلح لبيتوتة الشيطان، فينبغي للإنسان تنظيفه والله تعالى أعلم "[2].

وقال الزرقاني: " ولا مانع من حمله على الحقيقة "[3].

وقال القارئ: " فإن الشيطان يبيت على خيشومه ".

يعني أن الشيطان إذا لم يمكنه الوسوسة عند النوم لزوال الإحساس يبيت على أقصى أنفه ليلقي في دماغه الرؤيا الفاسدة ويمنعه عن الرؤيا الصالحة لأن محله الدماغ، فأمر عليه الصلاة والسلام أن يغسلوا داخل أنوفهم لإزالة لوث الشيطان ونتنه منها "[4].

يوم أن عجز الشيطان عن الوسوسة للإنسان حالة نومه بات على خيشومه والخيشوم محل للقذرات والرطوبات، والأماكن المتسخة والنتنة يحبها الشيطان فكان

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق)، باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم ج٦ ص٣٤٣.

(٢) السندي، نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي: حاشية السندي على سنن النسائي، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة. ج٣ ص٦٧.

(٣) الزرقاني، محمد عبدالباقي يوسف: شرح الزرقاني، كتاب الطهارة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ. ج١ ص٧٢.

(٤) القاري، علي بن سلطان محمد: مرقاة المفاتيح، الفصل الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ، تحقيق: جمال عيتاني. ج٢ ص٩٦.

الخيشوم محل مبيته، والخيشوم منفذ مهم للجسم يصل الشيطان من خلاله لجسر الإنسان بل لقلبه فيؤذيه ويؤثر فيه.

هـ - أثره على اليد والقدم.

كل ما يحصل من أخذ وعطاء، وبيع وشراء باليد، وكان حراماً فهو من الشيطان، فالربا، والنجش، والعينة، وغيرها من البيوع أخذاً وعطاءً، من آثار الشيطان، والرشوة أخذها وعطاؤها، من آثار الشيطان، وقد نهى الله عن ذلك كله.

الأكل والشرب مع الإنسان:

ومن آثاره المباشرة على اليد: أنه يضع يده في يد من أراد الأكل أو الشرب إذا لم يذكر الله تعالى، فيأكل معه ويشرب معه.

وفي حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في قصة الجارية والأعرابي: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا؛ فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابي لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا "[(١)].

الأكل بالشمال:

أكل الإنسان بيده الشمال من التشبه بالشيطان، وهو من أعماله التي يدعو الإنسان إليها ويزينها له.

كما جاء من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إذا أَكَلَ أحدكم فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإذا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ "[(٢)].

لحس اليد:

ويمكن أن يلحس الشيطان يد من لم يغسلها، كما جاء من حديث أبي

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم بشرح النووي (مرجع سابق) ج١٠ ص٢٩٢.
(٢) المرجع السابق ج١٠ ص٢٩٥.

هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه "[1].

القتل والضرب:

ومن أثره على اليد: دعوة الإنسان إلى حمل السلاح، أو العصى، أو الحديدة، أو السكين، أو الشفرة، ورفعها على المسلم، بل وضربه بها.

وقد نهى النبي ﷺ وحذر من ذلك فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يديه فيقع في حفرة من النار "[2].

قال ابن حجر: " والمراد أنه - أي الشيطان - يغري بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه، فيحقق الشيطان ضربته له "[3].

وكذلك يحمل الشيطان الإنسان على المشي بقدميه إلى مواطن الرذيلة والفساد ويسوقه إليها سوقاً، ويدفعه إليها دفعاً، ويكون في زمرته ومن حوله.

و - أثره على الفرج..

يتمثل أثر الشيطان على الفرج بصور متعددة منها: مشاركة الرجل في جماع زوجته إذا لم يذكر الله تعالى، وإن كنا لا ندرك هذه الكيفية وتخفى علينا إلا أن الخبر الصادق عن رسول الله ﷺ جاء به، فهي تقع على صوره من الصور، وكيفيه من الكيفيات هي غيب عنا، كما جاء من حديث عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لَو أَنَّ أحدكم إذا أَتَى أهلهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ

---

(1) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الصحيح (مرجع سابق)، كتاب الأشربة، حديث ١٨٥٩.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، (مرجع سابق)، باب الفتن، (مرجع سابق) حديث ٧٠٧٢.

(3) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج١٣ ص٢٧.

الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرُّهُ "[1].

كما قرر شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – أن الجني يمكن أن يجامع الإنسية، والإنسي يمكن أن يجامع الجنية، حيث قال – رحمه الله –: " وكذلك الجنيات منهن من يريد من الإنس الذي يخدمه ما يريد نساء الإنس من الرجال، وهذا كثير في رجال الجن ونسائهم، فكثير من رجالهم ينال من نساء الإنس ما يناله الإنس، وقد يفعل ذلك بالذكران "[2].

بل ذكر بعض أهل العلم أنه يمكن أن يحصل تناكح وزواج بين الإنسي والجني، قال الأشقر:" لازلنا نسمع أن فلاناً من الناس تزوج جنية، أوان امرأة من الإنس خطبها جني، وقد ذكر السيوطي آثارا وأخباراً عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الإنس والجن "[3].

ويقول ابن تيميه: " وقد يتناكح الإنس والجن، ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف "[4].

ومن أثره على الفرج: إيقاع الإنسان في الفاحشة التي فتحت لها أبواب مشرعة، وخاصة بعد انتشار وسائل الإعلام، وآخرها الانترنت، والبلوتوثات، حيث كان لها دور فاعل في نشر الرذيلة، يراها الصغار والكبار، الصالحون والفجار، النساء والرجال.

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١ ص٢٤٤.
(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الرسائل الكبرى، القاهرة، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٢٣هـ ج١ ص٦٢.
(٣) الأشقر، عمر سليمان: عالم الجن والشياطين، (مرجع سابق) ص ٢١.
(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع الفتاوى (مرجع سابق) ج١٩ ص٣٩.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الإسراء، آية: ٦٤].

ومما ورد في بيان المراد بمشاركة الشيطان في الأولاد، المراد به أولاد الزنى، كما ورد ذلك في تفسير الطبري[1].

فالوقوع في أي جماع محرم من أثر الشيطان، سواء من زنى، أواتى زوجته وهي حائض، أو فعل فعل قوم لوط، وهو إتيان الذكر للذكر في دبره، أو إتيان البهيمة، أو نكاح اليد "الاستمناء"، أو السحاق، وغير ذلك من الأساليب الشيطانية التي يمارسها من لا خلاق لهم.

وقد أمر الله المؤمنين بحفظ فروجهم حيث قال تعالى: " ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [سورة المؤمنون، آية: ٥-٧].

ز- أثره على البطن..

من آثار الشيطان على الإنسان: دفعه لأكل الأموال المحرمة ومنها الربا، وقد نهى عنه الله ورسوله ﷺ حيث قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٥ ص١٢٠.

أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٧٥-٢٧٩].

ومن حديث جابر ﷺ قال: "لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه"[(١)].

ومنها الرشوة، عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: "لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي"[(٢)].

وكل ما هو حرام لا يجوز أكل ثمنه، مثل ثمن الكلب، وكسب البغي، واكل مال اليتيم، والإسراف في الأكل منهي عنه، وهو من عمل الشيطان وأثره، فقد قال ﷺ "كلوا واشربوا وتصدقوا، ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة"[(٣)].

وقد حذر علماء السلوك من البطنة والشبع، وعُد من آثار الشيطان على الإنسان، حيث يدعوه لكثرة الأكل والشبع، فيثقل عن الطاعة، وتثقل عليه العبادة، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إياكم والبطنة، فإنها ثقل في الحياة، ونتن في الممات" وقال لقمان لابنه: "يا بني: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة".

وقال ابن أبي عبيده الخواص: "حتفك في شبعك، وحفظك في جوعك، إذا أنت شبعت ثقلت، فنمت، واستمكن منك العدو، فجثم عليك".

وقال عمر بن قيس: "إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب".

وقال الحسن ﷺ : "كانت بلية أبيكم آدم عليه السلام أكلة، وهي بليتكم إلى

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١١ ص٢٦ نووي.

(٢) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبو داود ج٣ ص٣٠٠، الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الصحيح (مرجع سابق)، ج٢ ص٣٩٧.

(٣) القزويني، عبدالله بن محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه (مرجع سابق) ج٢ ص١١٩٢.

يوم القيامة ".

وروي أن إبليس لعنه الله قال ليحيى عليه السلام: ربما شبعت فأثقلناك عن الصلاة، فقال يحيى: " لله علي أن لا أشبع أبداً"، فقال إبليس عليه لعنة الله: " ولله علي أن لا أنصح مسلماً أبداً " .

قال وحيد عبد السلام بعد أن نقل هذه الأقوال: " إن الرجل إذا شبع أستمكن منه الشيطان، ومنعه من كل خير، وزين له كل شر "[1].

وهكذا يتضح لنا أن للشيطان أثراً على جوارح الإنسان وأعضائه، فهذه الأعضاء بمثابة البوابات التي يدخل من خلالها ليؤثر على قلب الإنسان في الغالب، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) بالي، وحيد عبدالسلام: وقاية الإنسان من الجن والشيطان،القاهرة، دار بشير، الطبعة [بدون]. ص٣٠٤.

المبحث الثالث: أثر الشيطان على الأسرة والمجتمع.

سبق الحديث في المبحث الأول عن: أثر الشيطان على مجالات بناء الإنسان في العقيدة، والعبادة، والأخلاق والسلوك، وكان الحديث في المبحث الثاني: عن أثر الشيطان على مكونات الإنسان، أثره على القلب، والعقل، والجسد، والجوارح والأعضاء، وفي الغالب أن المبحثين الأول والثاني تركز على النظر لأثر الشيطان على الإنسان بصفته الفردية، وفي هذا المبحث يحاول الباحث أن يبرز ما للشيطان من أثر على الأسرة، والتي تعتبر النواة الأولى لبناء أي مجتمع، ويتحدث الباحث عن أثر الشيطان على المجتمع بصورة عامة، وهنا أيضاً نلاحظ أن التربية تسعى بكل وسائطها ووسائلها التربوية لبناء الأسرة السعيدة، وتسعى كذلك بمؤسساتها المختلفة لبناء المجتمع الصالح المتكاتف، فلتربية أهدافها البناءة إلا أن الشيطان يقوم بدوره في الاتجاه المعاكس للتربية البناءة، فهو يسعى لهدم وتقويض الأسرة، ويختار الباحث نموذجين يبين من خلالهما أثر الشيطان على الأسرة النموذج الأول: ما يقوم به الشيطان من توسيع دائرة الخلاف بين الزوجين، أول نواة في بناء الأسرة، ليصل في نهاية المطاف بهما إلى الانفصال والطلاق، وعندها تبدأ سلسلة أخرى من المشكلات في المجتمعات.

والنموذج الثاني الذي أختاره الباحث: يصور أثر الشيطان ودوره في إذكاء الخلاف بين الإخوان في الأسرة الواحدة، واختار الباحث لهذا النموذج ما حصل ليوسف وإخوته من الفرقة والخلاف، وكان للشيطان دور واضح في ذلك نص الله عليه صراحة في القرآن.

كما تحدث الباحث عن أثر لشيطان على المجتمع، وذلك من خلال إظهار دور الشيطان في نشر العداوة والبغضاء، والكراهية، والتحاسد، والتدابر، والتقاطع على هذه الدنيا الزائلة، فباتت كثير من المجتمعات خاضعة للشيطان يسيرها كيفما شاء، ومتى شاء، في عقائدها، وعباداتها، وسلوكها، وأخلاقها.

ويختم الباحث الحديث عن دور الشيطان في المجتمعات من خلال دوره في الأزمات والأحداث الكبيرة، أسأل الله العون والسداد والإخلاص.

أولا : أثر الشيطان على الأسرة .

ويتناول الباحث الحديث عن أثر الشيطان على الأسرة، من خلال استعراض نموذجين، الأول: يتعلق بأثره على الحياة الزوجية، والثاني: يتعلق بأثره على العلاقة بين الإخوان:

أ- أثر الشيطان على تفكك العلاقات الزوجية وإضعافها أو تقويضها وانهيارها .

يعتبر الزواج في الإسلام سكناً للنفس، وراحة للقلب، وتعايشاً بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة، والألفة والمحبة، والانسجام، والتعاون والتناصح.

والقارئ لكتاب الله تعالى يجد عظمة القرآن في تصوير هذه العلاقة، وهي تفيض بالحب والوئام، ويفوح منها عبير التراحم والتفاهم والمحبة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم، آية: ٢١].

(إنها صلة النفس بالنفس في أوثق وأقوى وشائجها، يعقدها الله جل وعلا بنفسه بين النفسين لتنعم بالسكينة والاستقرار في بيت الزوجية الهنيء المحبب، العامر بالمودة الخالصة، والرحمة الظليلة الحنون) (١) ومع هذه الأجواء التي يرسمها لنا المنهج الرباني،يسعى الشيطان بكل وسائله لإضعاف هذه العلاقة، بل يسعى لتقويضها، ويتضح ذلك جلياً من خلال الحديث الذي يرويه أبو سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة، أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول ما صنعت شيئاً،

---

(١) الهاشمي، محمد علي: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، الطبعة العاشرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.

قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت؛ قال الأعمش: أراه قال فيلتزمه * * نِعْم أنت، بكسر النون وسكون العين، وهي نعم الموضوعة للمدح أخت (بئس) "[1].

قال في الديباج: "ثم إن هذا تهويل عظيم في ذم التفريق، حيث كان أعظم مقاصد اللعين - أي التفريق بين الزوجين أعظم مقاصد الشيطان -، لما فيه من انقطاع النسل، وانصرام بني آدم، وتوقع وقوع الزنا الذي هو أعظم الكبائر فساداً، وأكثرها معرة "[2].

فنلاحظ من خلال الحديث كيف يبذل الشيطان الجهد في تقويض هذه العلاقة من خلال قوله: " ما زلت به حتى فرقت بينه وبين أهله ".

ما زال الشيطان يحدث أوجه الخلافات بينهما، وتثور ثائرتهما لتكون النتيجة أن يفارق الزوج سكنه، وتفارق الزوجة سكنها، أي أثر أعظم من هذا الأثر على حياة الأسرة المسلمة في أن تفكك العلاقة، وينقلب السكن والهدوء والطمأنينة إلى ضوضاء وقلق وكراهية، ويتبدل القرب بعداً، والحب بغضاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

إنه أثر من آثار الشيطان على الأسرة، إذا لم تتيقظ لحبائل الشيطان وأساليبه الماكرة؛ واكتفي بهذا المثال في بيان أثر الشيطان على الأسرة من خلال تقويض العلاقة بين الزوجين، لأذكر نموذجاً آخر لبيان أثر الشيطان على العلاقات بين الإخوة.

ب- أثر الشيطان على الأسرة من خلال إفساد العلاقة بين الإخوان في البيت الواحد داخل الأسرة الآمنة المطمئنة:

---

(١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (مرجع سابق) ج٢ ص٥١٧.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل : الديباج على صحيح مسلم، (مرجع سابق) ج٦ ص١٦٦.

ويتضح ذلك من خلال ما حصل من إخوة يوسف عليه السلام حيث قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [سورة يوسف، آية: ٤].

يصور لنا المشهد القرآني حال الخوف الذي انتاب نبي الله يعقوب عليه السلام من الموقف السلبي الذي توقعه من إخوان يوسف تجاه يوسف: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يوسف، آية: ٥].

يقول سيد طنطاوي: " وفيها إشارة إلى أن الشيطان هو الذى يغريهم بالكيد له إذا ما قص عليهم ما رآه، وهو بذلك لا يثير في نفسه الكراهة لإخوته"[1].

إنه الكيد، والذي تحقق بعد حين عندما رموه في غيابة الجب، بسبب ما قام في صدورهم من الحسد ليوسف عليه السلام، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ [سورة يوسف، آية: ٩].

ونلاحظ أن الآية السابقة ختمت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يوسف، آية: ٥]. فما علاقة كيد إخوان يوسف وحسدهم له بعداوة الشيطان؟

يقول سيد قطب: " ومن ثم فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعض، ويزين لهم الخطيئة والشر "[2].

فكانت نتيجة المؤامرة هي: "(اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً) يقول سيد قطب

---

(١) طنطاوي، سيد: الوسيط (مرجع سابق) ج١ ص٢٢٧٦.
(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٤ ص٢٩٢.

في ذلك: " هكذا ينزغ الشيطان، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث، وهكذا لما غلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم: اقتلوا "[1].

والجواب أن الشيطان هو العدو الحقيقي، البين الواضح، هو الذي دفع إخوان يوسف لما أقدموا عليه، بعد أن أقام في صدورهم الحسد له.

كما أنه في نهاية القصة قال يوسف: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سورة يوسف، آية: ١٠٠].

ونلاحظ أيضاً أن يوسف لم ينسب الكيد والحسد والإساءة إلى إخوانه مع حصول ذلك منهم، بل نسب الأمر إلى الشيطان، وأنه نزغ بينه وبين إخوته.

فتبين لنا من القصة أن الشيطان هو السبب في إفساد العلاقة بين الإخوان في الأسرة الواحدة، كما هو الحال في قصة يوسف وإخوته، وكما نص على ذلك القرآن صراحة، ونحن نشاهد في حياتنا اليومية الخلافات اللامنتهية بين الإخوان والتي تصل بهم إلى جريمة القتل، كما حصل في قصة قابيل وهابيل، والواقع يشهد على كثير من الخلافات التي تؤدي إلى التقاطع والتناحر، ويسعى الناس في حل كثير من الخلافات بين الأقارب والإخوان دون النظر إلى خلفية أن الشيطان يقبع وراء تلك الخلافات، فتطرح الحلول فلا يظهر لها أثر في الإصلاح، لأن الناس تعاملت مع مظاهر المشكلة، ولم تتعامل مع أسبابها الحقيقية، فكثير من الخلافات بين الإخوان سببها كيد الشيطان وإيقاعه للعداء بين الأحبة..

ولذا وجب على المعنيين بالتربية والإصلاح عند وضع الحلول للمشكلات الأسرية سواء بين الزوجين، أو الإخوان والأقارب، تذكُّر تلك العداوة وذلك الكيد

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٤ ص٢٩٤.

والتذكير بها، فان ذلك ادعى للوصول إلى الحلول المنجية من الانهيار في العلاقات الأسرية بإذن الله تعالى..

واكتفي بهذين النموذجين لبيان أثر الشيطان على الأسرة والبيت الآمن، فمتى ما غفل الناس أو تغافلوا أو جهلوا هذه العداوة، فإن الشيطان سيعيث في البيت فساداً، ويدمر الأسرة عاجلاً أو آجلاً.

ثانيا : أثر الشيطان على المجتمع .

حرص الإسلام على قيام مجتمعات متميزة في علاقاتها وتعاملاتها، من خلال بناء أفرادها بناءاً قوياً، وقد دلت نصوص الوحيين صراحة على ذلك، قال ﷺ : " ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى "[(١)].

يقول الفرج: " حرص الإسلام على تماسك أفراد المجتمع، والترابط والتآخي والتآلف بينهم، وحث بعضهم على بعض، وسد بعضهم حاجة بعض، يحقنون دماءهم، ويصونون أعراضهم، ويحرسون أموالهم "[(٢)].

وذكر الدكتور محمد عبد الله دراز – رحمه الله – جملةً من الأخلاق الاجتماعية التي تزيد من ترابط المجتمع وتآلفه مثل: " الوفاء بالعهد، الأمانة، وأداء الشهادة الصادقة، والإحسان، والتراحم المتبادل، والعفو، والدعوة إلى الخير، ورد التحية، وحسن الجلسة "[(٣)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، (مرجع سابق) كتاب الأدب، حديث رقم ٦٦، القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) كتاب البر، ج ٤ ص ١٩٩٩.

(٢) الفرج، عبدالرحمن: بناء المجتمع الإسلامي، الطبعة الثانية، دار الفرقان: المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ. ص٣٥.

(٣) دراز، محمد عبدالله: دستور الأخلاق في القرآن، الطبعة الأولى، تعريف وتعليق وتحقيق: عبدالصابور شاهين، مراجعة

وصنف الكثير من العلماء في الأخلاق الاجتماعية التي حث الإسلام عليها إلا أن الشيطان حريص على تفكك المجتمع وتفرقه.

ويتضح ذلك من خلال:

أولاً: نشر العداوة والبغضاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة، آية: ٩١].

يقول سيد قطب في تفسيره: "بهذا ينكشف لضمير المسلم هدف الشيطان، وغاية كيده، وثمرة رجسه، إنها إيقاع العداوة والبغضاء في الصف المسلم"[(١)].

فقد حذرنا الله تعالى من إرادة الشيطان الجازمة الحازمة، وهي إيقاع العداوة والبغضاء والكراهية بين الناس.

كما حذرنا رسول الله ﷺ من الغضب، وبين لنا أنه من الشيطان، فتثور ثائرة الإنسان على أخيه، فلربما شتم وسب بسبب أز الشيطان له، وعندها تكون العداوة والبغضاء.

جاء من حديث سليمان بن صرد قال: "اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ"، فَانْطَلَقَ إليه الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ، أَمَجْنُونٌ أَنَا، اذهَبْ"[(٢)].

السيد محمد بدوي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٣٩٣هـ. ص ٨٩.

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٢ ص٤٣٠.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج١٧ ص٢٠٢.

وفي رِوَايَة مُسْلِم " فَقَامَ إِلى الرَّجُل رَجُل مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ[1]، " وَفِي الرِّوَايَة الْمُتَقَدِّمَة " فَقَالُوا لَهُ"؛ فَدَلَّتْ هَذِهِ الرِّوَايَة عَلَى: أَنَّ الَّذِي خَاطَبَهُ مِنْهُمْ وَاحِد وَهُو مُعَاذ بْن جَبَل كَمَا بَيَّنَتْهُ رِوَايَةُ أَبِي دَاود، وَلَفْظه " قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاذ يَأمره، فَأَبَى، وَضَحِكَ، وَجَعَلَ يَزْدَاد غَضَبًا "[2].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ أَنْفَهُ يَتَمَزَّعُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنْ الْغَضَبِ، فَقَالَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاذٌ يَأمره، فَأَبَى، وَمَحِكَ، وَجَعَلَ يَزْدَادُ غَضَبًا.

جاء في عون المعبود بيان بعض المعان المهمة في هذه القصة التي تتكرر أمامنا دائماً عند الغضب ومنها:

(أَنَّ أَنْفه يَتَمَزَّع): أَيْ يَتَشَقَّق وَيَتَقَطَّع [3].

ونلاحظ في الرواية أن اشتداد الغضب بالإنسان استزلال من الشيطان، من أجل إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس.

وقد حث النبي ﷺ على كظم الغيظ، وقد جاء في الحديث: " إِنَّهُ يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْغَضَبِ أَنْ يَسْتَعِيذَ فَيَقُولَ: أعوذ بِاَللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِزَوَالِ الْغَضَبِ "[4].

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج٤ ص٢٠١٥.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج١٧ ص٢٠٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، الطبعة الثانية. ج١٠ ص٣٠٢.

(٤) المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ. ج٨ ص٣٤٩.

ويقول ابن حجر في شرح الحديث: " أَنَّ الْغَضَب نَوْع مِنْ شَرّ الشَّيْطَان، وَلِهَذَا يَخْرُج بِهِ عَنْ صُورَته، وَيُزَيِّن إفساد مَا لَهُ، كَتَقْطِيعِ ثَوْبه، وَكَسْر آنِيَّته، أو الإِقْدَام عَلَى مَنْ أَغْضَبَهُ، وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَاطَاهُ مَنْ يَخْرُج عَنْ الاعْتِدَال [(١)].

والشيطان يئس أن يعبده الناس في جزيرة العرب، ولكنه يسعى في التحريش بينهم، وزرع العداوة والبغضاء في صفوفهم، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ " [(٢)].

قال النووي في شرح هذا الحديث: " وَلَكِنَّهُ سَعَى فِي التَّحْرِيش بَيْنهمْ بِالْخُصُومَاتِ، وَالشَّحْنَاء، وَالْحُرُوب، وَالْفِتَن وَنَحْوهَا " [(٣)].

وقد جاء في تحفة الأحوذي في شرح هذا الحديث: " أَيْ فِي إِغْرَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَالتَّحْرِيضِ بِالشَّرِّ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ قَتْلٍ، وَخُصُومَةٍ، وَالْمَعْنَى لَكِنَّ الشَّيْطَانَ غَيْرُ آيِسٍ مِنْ إِغْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْفِتَنِ، بَلْ لَهُ هُو مَطْمَعٌ فِي ذَلِكَ " [(٤)].

يقول سيد قطب عن هذه الآية: " ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٥٣].

(وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) على وجه الإطلاق وفي كل مجال، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه: بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فالشيطان

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج١٧ ص٢٠٢.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) حديث ٢٨١٢، ج٤ ص١٢٦٦.

(٣) النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: شرح النووي على مسلم (مرجع سابق) ج٩ ص١٩٢.

(٤) المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (مرجع سابق) ج٥ ص١٦٥.

ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيئ يتلوها، فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف، ثم بالجفوة، ثم بالعداء، والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، تندّي جفافها، وتجمعها على الود الكريم، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

يتلمس سقطات فمه وعثرات لسانه، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمناً من نزغاته ونفثاته "[1].

كما يقول البغوي: "﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يفسد ويلقي العداوة بينهم "[2].

ومن خلال هذا الاستعراض لهذه النصوص، يتضح جلياً أن الشيطان يسعى بكل ما أوتي من أساليب في إيقاع العداوة والبغضاء والتحريش بين الخلق، على مستوى الأفراد والجماعات، ليفرق الصف، ويقوّض البناء، وما نشاهده في واقعنا من تفرق واختلاف، وبغض وشحناء، ما هو إلا أثر من آثار الشيطان، والله المستعان.

ومن أثره على المجتمع: ما يحصل من نزغ الشيطان وهمزه.

والنزغ هو: "الدخول في أمر لإفساده" (٣).

قال ابن زيد: "نزغت بين القوم: إذا أفسدت بينهم" (٤).

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٥ ص٢٨.

(٢) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (مرجع سابق) ج٥ ص٩٩.

(٣) الأصفهاني، الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن (مرجع سابق)، مادة نزغ، ص٥٠٩.

(٤) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي: التفسير الكبير، (مرجع سابق) ج١٥ ص٩٧، الألوسي، محمود بن عبدالله الحسيني: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (مرجع سابق) ج٩ ص١٤٧.

وفي اللسان: "النزغ: الكلام الذي يغري بين الناس، ونزغه: حركة أدنى حركة، ونزغ الشيطان بينهم ينزغ، وينزغ نزغاً، أي افسد وأغرى، وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠٠]. نزغ الشيطان، وساوسه، ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي، يعني يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه"[1].

قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٥٣].

فكم أغرى الشيطان بين الناس، وافسد ذات البين، وفرق بين الأقارب، وأذكى العداوة بين الجيران، وحرش بين الزملاء والأصحاب والإخوان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: "وأيضاً فالعداوة والبغضاء شر محض لا يحبها عاقل، بخلاف المعاصي فإن فيها لذة كالخمر، والفواحش، فإن النفوس تريد ذلك، والشيطان يدعو إليها النفوس حتى يوقعها في شر لا تهواه ولا تريده، والله تعالى قد بين ما يريده الشيطان بالخمر والميسر، ولم يذكر ما يريده الإنسان"[2].

وقال الفخر الرازي: "وقيل النزغ: الإزعاج، وأكثر ما يكون عند الغضب، وأصله، الإزعاج بالحركة إلى الشر"[3].

وأغلب ما يكون ذلك عند الغضب، كما هو مشاهد ومعايش، كما أن الهمز لا يبعد عن النزغ.

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب (مرجع سابق)، مادة (نزغ) ج٨ ص٤٥٤.

(٢) آل سلمان، أبي عبيدة مشهور بن حسن: فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٨.

(٣) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي: التفسير الكبير، (مرجع سابق) ج١٥ ص٩٧.

قال البغوي: " الهمز: هو النخس والغمز، وأصله: شدة الدفع "[1].

وقال الطبري: " الهمز: هو الغمز، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام، والهمزات جمع همزه "[2].

قال ابن عطية: " وأمره بالتعوذ من الشيطان في همزاته، وهي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه، وكأنها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المحادة "[3].

ولذا عد علماء السلف فضول المخالطة مع الناس من أساليب الشيطان المانعة من التوفيق.

يقول ابن القيم في بدائع الفوائد: " وأما فضول المخالطة فهي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات، وهي في القلوب لا تزول بفضول المخالطة، فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر.

أحدها: من مخالطته كالغذاء لا يستغني عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله وأمره ونهيه، الناصحين لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه، فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كله.

---

(١) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ج٥ ص٤٢٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٨ ص٥١.

(٣) الأندلسي، أبو محمد محمد عبدالحق بن غالب بن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: لبنان، ١٤١٣هـ، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد. ج١٠ ص٣٩٧.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض، فما دمت صـحيحاً فلا لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيـام مـا أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشـاركات والاستشـارات والعـلاج لـلأدواء ونحوها.

القسم الثالث: وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعـه، وقوتـه وضعفه، فمنهم من مخالطته كالداء العضال، والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليـه في دين ولا دنيا، ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت فهي مرض الموت المخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضرباً عليك، فإذا فارقك سكن الألم، ومنهم من مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض، العقل الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصي تتنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به، فهو يحدث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرحى العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض، ويـذكر عـن الشافعي – رحمه الله – أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانـب الـذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر، ورأيت يوماً عند شيخنا قدس الله روحه رجـلاً مـن هذا الضرب، والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إلي وقال: مجالسة الثقيل حمى الربع، ثم قال: قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت لها عاده، أو كما قال.

وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى للروح، فعرضية ولازمة، ومن نكد الـدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بـد مـن معاشـرته ومخالطتـه، فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لا

كله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس - لا كثرهم الله - وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله ﷺ، الداعون إلى خلافها، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، إن جردت التوحيد بينهم قالوا: تنقصت جناب الأولياء والصالحين، وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين، وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا: أنت من المفتنين، وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدعة المضلين، وإن انقطعت إلى الله تعالى وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا: أنت من المبلسين، وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين، فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل بأعتابهم، ولا باستعتابهم ولا تبالي بذمهم ولا بغضهم، فإنه عين كمالك"[١].

الإنسان يخالط الناس لا محالة، لأنه يعيش في المجتمع بل هو جزء منه لا يتجزأ، فعليه النظر في حال المخالطة، وليعلم أن الخلطة كما تكون باب خير تكون باب شر، ومدخل شيطاني، فمن رام النجاة فليقتصد في فضول المخالطة، فإن الإسراف والتوسع فيها مصيدة، وأسلوب من أساليب الشيطان، فاحذر.

ثانيا: أثر الشيطان ودوره في المواقف الحرجة والأزمات والأحداث الكبيرة:

تمر على المجتمعات أحداث كبيرة، وأزمات ضخمة، ومشكلات هائلة، قد يسجلها التاريخ، وربما يترتب عليها توجهات كبيرة، وتحولات هائلة، فهل يتصور أن يكون للشيطان دور في هذه الأحداث بشكل أو بآخر ؟ !

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: بدائع الفوائد (مرجع سابق) ج١-٢ ص٤٧١.

هذا ما يجيب عليه الباحث في هذا المبحث، وبالله التوفيق ومنه العون والتسديد.

لقد كان للشيطان دور مع كبار المربين والمصلحين، إنهم الأنبياء والمرسلين، فقد جاء في كتب التاريخ والتفسير والسير[1] حديث عن ذلك، وأكتفي بذكر ما كان للشيطان من دور في حياة النبي ﷺ في أحداث بارزة في حياته ﷺ، ويمكن للبيب أن يفهم ويقيس.

الموقف الأول: ما جاء في زاد المعاد حيث قال ابن قيم: " فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْعَقَبَةِ، الثّلُثُ الأول مِنْ اللّيْلِ، تَسَلّلَ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً وَامرأتَان، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ خِفْيَةً مِنْ قَوْمِهِمْ، وَمِنْ كُفّارِ مَكّةَ، عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأُزُرَهُمْ، فَكَانَ أول مَنْ بَايَعَهُ لَيْلَتَئِذٍ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُور، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ، إذْ أَكّدَ الْعِقْدَ، وَبَادَرَ إليه، وَحَضَرَ الْعَبّاسُ عَمّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مُؤَكّدًا لِبَيْعَتِهِ، كَمَا تَقَدّمَ وَكَانَ إذْ ذَاكَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، وَاخْتَارَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْهُمْ تِلْكَ اللّيْلَةَ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، وَهُمْ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَة، وَسَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُور، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ وَكَانَ إسْلَامُهُ تِلْكَ اللّيْلَةَ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرو، وَعُبَادَة بْنُ الصّامِتِ، فَهَؤُلَاءِ تِسْعَةٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ الأوسِ: أُسَيْد بْنُ الْحُضَيْرِ، وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ، وَرفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ وَقِيلَ: بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التّيْهَانِ مَكَانَهُ؛ وَأَمّا الْمَرْأَتَانِ: فَأُمّ عُمَارَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو وَهِيَ الّتِي قَتَلَ مُسَيْلِمَةُ ابْنَهَا حَبِيبَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيّ؛ فَلَمّا تَمّتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ، اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنْ يَمِيلُوا عَلَى أهل الْعَقَبَةِ بِأَسْيَافِهِمْ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَصَرَخَ الشّيْطَانُ عَلَى الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سُمِعَ، يَا أهل الْجَبَاجِبِ: هَلْ لَكَمَ فِي مُذَمّمٍ، وَالصّبَاةُ مَعَهُ قَدْ

---

(١) بل جاء ذلك في القرآن الكريم صراحة مع آدم وإبراهيم ونوح وعيسى وموسى ومحمد عليهم صلاة الله وسلامه وغيرهم من الأنبياء.

اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ ؟ فَقَالَ ﷺ: هَذَا أَزَبّ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، أَمَا وَاَللّهِ يَا عَدُو اللّهِ لأَتَفرّغَنّ لَكَ، ثُمّ أمرهمْ أَنْ يَنْفَضّوا إلى رِحَالِهِمْ، فَلَمّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ غَدَتْ عَلَيْهِمْ جِلّةُ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافُهُمْ حَتّى دَخَلُوا شِعْبَ الأَنْصَارِ فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ: إنّهُ بَلَغَنَا أَنّكُمْ لَقِيتُمْ صَاحِبَنَا الْبَارِحَةَ وَوَاعَدْتُمُوهُ أَنْ تُبَايِعُوهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَاَيْمُ اللّهِ مَا حَيّ مِنْ الْعَرَبِ أَبْغَضَ إلَيْنَا مِنْ أَنْ يَنْشَبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْحَرْبُ مِنْكُمْ، فَانْبَعَثَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ الْخَزْرَجِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاَللّهِ مَا كَانَ هَذَا، وَمَا عَلِمْنَا، وَجَعَلَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبي ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ: هَذَا بَاطِلٌ، وَمَا كَانَ هَذَا، وَمَا كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا عَلَيّ مِثْلَ هَذَا، لَو كُنْتُ بِيَثْرِبَ مَا صَنَعَ قَوْمِي هَذَا حَتّى يُؤَامرونِي، فَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ مِنْ عِنْدَهُمْ، وَرَحَلَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُور فَتَقَدّمَ إلى بَطْنِ يَأْجَج، وَتَلاحَقَ أصحابهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَتَطَلّبَتْهُمْ قُرَيْشٌ، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إلى عُنُقِهِ بِنِسْعِ رَحْلِهِ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، وَيَجُرّونَهُ، وَيَجْذِبُونَهُ بِجُمّتِهِ، حَتّى أَدْخَلُوهُ مَكّةَ، فَجَاءَ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ، وَالْحَارِثُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيّةَ، فَخَلّصَاهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَتَشَاوَرَتْ الأَنْصَارُ حِينَ فَقَدُوهُ أَنْ يَكِرّوا إليه، فإذا سَعْدٌ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَوَصَلَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إلى الْمَدِينَةِ"[1].

وكما تلاحظ جاء في آخر هذه القصة: "وَصَرَخَ الشّيْطَانُ عَلَى الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سُمِعَ، يَا أهل الْجَبَاجِبِ: هَلْ لَكَمَ فِي مُذَمّمٍ وَالصّبَاةُ مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ ؟ "[2].

كما جاء في الروض الأنف: " فَلَمّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ صَرَخَ الشّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سَمِعْته قَطّ: "يَا أهل الْجَبَاجِبِ" : - وَالْجَبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ -

---

(١) الزرعي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٤٠٧هـ، الطبعة الرابعة عشر، مؤسسة الرسالة: بيروت. ج٣ ص٣٨.

(٢) الزرعي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب: زاد المعاد في هدي خير العباد، (مرجع سابق) ج٣ ص٣٨.

هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمّمٍ وَالصّبَاةِ مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ؛ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِﷺ: هَذَا أَزَبّ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ؛ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ ابْنُ أَزْيَبَ اسْتَمِعْ، أَيْ عَدُوّاللّهِ، أَمَا وَاَللّهِ لأَفْرُغَنّ لَك الرّسُولُ لا يَسْتَجِيبُ لِطَلَبِ الْحَرْبِ مِنْ الأَنْصَارِ.

قَالَ: ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ارْفَضّوا إلَى رِحَالِكُم؛ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَاَللّهِ الّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ، إنْ شِئْت لَنَمِيلَنّ عَلَى أهل مِنَى غَدًا بِأَسْيَافِنَا ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إلَى رِحَالِكُمْ؛ قَالَ: فَرَجَعْنَا إلَى مَضَاجِعِنَا، فَنِمْنَا عَلَيْهَا حَتّى أَصْبَحْنَا "[1].

إن بيعة العقبة من الأحداث الجسام في تاريخ الإسلام، وسعى إبليس لكشف هذه البيعة، وصرخ بأعلى صوته تسمعه بيوتات مكة، ويأتي أشرافها للأنصار يستفسرون عن الأمر، أفلا نتوقع أن يكون للشيطان دور في واقع حياتنا السياسية، والاقتصادية، والدعوية، على مستوى الأفراد، والجماعات، والدول، للصد عن سبيل الله تعالى.

الموقف الثاني: مجيء الشيطان في صورة شيخ نجدي في دار الندوة، لما اجتمعت قريش للتشاور في أمر رسول الله ﷺ .

قال ابن الأثر: " لما تتابع أصحاب رسول الله ﷺ بالهجرة، أقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به من ذلك، وتخلف معه علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق؛ فلما رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب، وتشاوروا فيها، فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من أهل نجد، سمعت بخبركم فحضرت، وعسى أن لا تعدموا مني رأياً.

---

(١) السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد: الروض الأنف، دار إحياء التراث العربي: دمشق، تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي. ج٢ ص٢٧٢.

وكانوا عتبة، وشيبة، وأبا سفيان، وطعيمة بن عدي، وحبيب بن مطعم، والحارث بن عامر، والنضر بن الحارث، وأبا البختري بن هشام، وربيعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، وأبا جهل، ونبيهاً، ومنبهاً ابني الحجاج، وأمية بن خلف، وغيرهم.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه، فأجمعوا فيه رأياً، فقال بعضهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله؛ فقال النجدي: ما هذا لكم برأي، لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم؛ فقال آخر: نخرجه وننفيه من بلدنا، ولا نبالي أين وقع إذا غاب عنا؛ فقال النجدي: ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه؟ لو فعلتم ذلك، لحل على حي من أحياء العرب، فيغلب عليهم بحلاوة منطقه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم، ويأخذ أمركم من أيديكم؛ فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً نسيباً، ونعطي كل فتى منهم سيفاً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، ورضوا منا بالعقل. فقال النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره؛ فتفرقوا على ذلك "[1].

فانظر إلى مشاركة إبليس في هذا المؤتمر، حيث جاء في القصة قوله: " فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من أهل نجد، سمعت بخبركم فحضرت، وعسى أن لا تعدموا مني رأياً "[2].

---

(١) الشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم، الكامل في التاريخ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: عبدالله القاضي. ج١ ص٢٧٥.

(٢) الشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم، الكامل في التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص٢٧٥.

إنها مؤامرة كبيرة، يجتمع عليه القوم اجتماعاً مغلقاً وسري للغاية ليتشاورو في، كيف نتخلص من محمد ﷺ، ونقضي على دعوته ؟

ويأبى الشيطان إلا أن تكون لـه مشـاركة في هـذا الحـدث التـاريخي فيسـمع، وينتقد، ويعلق، ثم يؤيد، وينتهي الرأي على ما رشحه مـن الآراء: " قـال النجـدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره؛ فتفرقوا على ذلك "[1].

أفلا تتوقع أخي العاقل أن يشارك الشيطان في توجيه القرارات المصيرية على مستوى الأفراد والجماعات ؟

ألا تتوقع أن يكون لآرائه آثار على الأفراد والمجتمعات ؟

الموقف الثالث: صياح الشيطان إن النبي ﷺ قتل يوم أحد.

قال ابن قيم الجوزية وهو يصف معركة أحد: " قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فَدَفَعَ اللّوَاءَ إلى عَلِيّ بْنِ أبي طَالِبٍ، وَنَشِبَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْهِهِ، فَانْتَزَعَهُمَا أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرّاحِ، وَعَضّ عَلَيْهِمَا حَتّى سَقَطَتْ ثَنِيّتَاهُ مِنْ شِدّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ، وَامْتَصّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ الدّمَ مِنْ وَجْنَتِهِ، وَأَدْرَكَهُ الْمُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ مَا اللّهُ حَائِلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَحَالَ دُونَهُ نَفَرٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ نَحْو عَشْرَةٍ حَتّى قُتِلُوا، ثُمّ جَالَدَهُمْ طَلْحَةُ حَتّى أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ، وَتَرّسَ أَبُودُجَانَةَ عَلَيْهِ بِظَهْرِهِ وَالنّبْلُ يَقَعُ فِيهِ وَهُوَلا يَتَحَرّكُ، وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النّعْمَانِ فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَرَدّهَا عَلَيْهِ بِيَدِهِ وَكَانَتْ أَصَحّ عَيْنَيْهِ وَأَحْسَنَهُمَا، وَصَرَخَ الشّيْطَانُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ إنّ مُحَمّدًا قَدْ قُتِلَ، وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرّ أكثرهُمْ، وَكَانَ أمر اللّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا "[2].

فانظر إلى قوله: " وَصَرَخَ الشّيْطَانُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ إنّ مُحَمّدًا قَدْ قُتِلَ، وَوَقَعَ ذَلِكَ

---

(١) المرجع السابق ج١ ص٢٧٦.

(٢) الزرعي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب: زاد المعاد في هدي خير العباد، (مرجع سابق) ج٣ ص١٧٢.

فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرّ أَكثرهُمْ، وَكَانَ أمر اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا "[1].

تأمل هذا الموقف، وقد اشتبكت السيوف، والتحمت الصفوف، وسالت الدماء، وقد ارتبك صف المؤمنين بعد نزول الرماة، وظهرت بوادر الهزيمة، وقد شغلوا بأنفسهم، والمصاب حقاً جلل، وهم بحاجة إلى ما يثبتهم ويجمع شملهم، إن كلمة قوية تؤثر سلباً أو إيجاباً ستؤثر في الموقف، وهنا إبليس يجيد استغلال الفرص، وإذا به يصيح " قتل محمد "، أتمنى أن تعيش الموقف بكل جوارحك، وحواسك، وقلبك، وعقلك.. كيف سيكون الحال ؟ !

وانظر ماذا تقول الرواية: " فلم يشك في أنه قتل "، هذا هو الأثر الذي تركه الشيطان في نفوس أصحاب النبي ﷺ، حتى حملة هذه الإشاعة كثير من أصحاب رسول الله ﷺ على القعود والرجوع إلى المدينة "، وصرخ الشيطان قائلاً: إن محمدا قد مات، فألقى رجال سلاحهم من أيديهم، وبقوا واقفين حيارى مدهوشين، منهم عمر وطلحه "[2].

وما زال هذا التصور في عقولهم، ولم يتغير هذا التصور الا رؤية رسول الله ﷺ: " فما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله ﷺ، " فكان لخروجه وطلوعه أثر إيجابي على نفوس الصحابة، ونسو مصيبة الهزيمة وغمها بمجرد ثبوت أن الخبر إشاعة وليس حقيقة، " ففرحنا حتى كأنه لم يصيبنا ما أصابنا " .

واختم بحدث من الأحداث الكبيرة والتي كان له دور فيها خروج الأبوين من الجنة، فهو الذي وسوس للأبوين، وزين لهما الأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها وقال: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [سورة طه، آية:١٢٠].

---

(١) المرجع السابق ج ص١٧٢

(٢) الجزائري، أبو بكر جابر: هذا الحبيب محمدﷺ يا محب، الطبعة الثالثة، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ١٤١٦هـ. ص٢٦٥.

فرغبهما فيما ترغب فيه النفس من طلب الملك والخلد، وأقسم لهما بالله أنـه لمن الناصحين لهما، فلمـا ذاقـا الشـجرة اتضـحت لهمـا المـؤامرة، ووقعـا في الزلـل والمعصية، وندما على ما فعلا، واهبطا من الجنة، فأصبح طعامهم لا يؤكـل إلا كـدا وكدحا، ومن قبل ضمن الله لهمـا العـيش الرغيـد: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [سورة طه، آية: ١١٨-١١٩].

أفلا نتصور أن الشيطان يكون لـه أثـر فاعـل في حيـاة الأفـراد والجماعـات، وصـدق الله تعـالى حيـث يقـول: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة سبأ، آية: ٢٠].

إن لهذه المواقف دلالة واضحة وصريحة علـى أن الشـيطان يمكـن أن يتـدخل تدخلاً مباشراً وبنفسه في المواقـف الحرجـة والأحـداث الكـبيرة في المجتمعـات؛ وإن كانت هذه المواقف ظهرت في جيل فريد من الأجيال، فكيف ما بعده وما قبلـه مـن الأجيال ؟!

وإذا تقرر أن للشيطان دور فاعل في الأحداث الكـبيرة علـى مسـتوى الأمـم والشعوب، فكيف بدوره على مستوى الأفراد والجماعـات الصـغيرة؟ لا شـك أنـه يمارس دور فاعل على هيئه من الهيئات، وصورة من الصـور، فلـيكن المـؤمن علـى حذر من ذلك، والله الموفق.

الخاتمـة:

لقد تبين من خلال هذا الفصـل الأثـر العظـيم الـذي يتركـه الشـيطان علـى الإنسان، واتضح ذلك من خلال بيـان أثـره علـى مجـالات بنـاء الإنسـان؛ فالتربيـة الإسلامية تهدف إلى بناء الإنسان من خلال مجموعة من المجـالات، وأهـم مجـال مـن هذه المجالات مجال العقيدة، وظهر جلياً كيف أن الشيطان يؤثر على عقيدة الإنسـان، بيّن الباحث ذلـك مـن خـلال دعـوة الشـيطان الإنسـان لعبادتـه، وتـبين أن لعبـادة

الشيطان صورتان: الصورة الأولى: إيقاع الإنسان في الشرك بأقسامه، والكفر بأنواعه، والصورة الثانية: عبادة ذات الشيطان.

وتبين أيضاً أثر الشيطان على الجانب العبادي، وذكر الباحث أمثلة ذلك من خلال بيان أثره على النية والقصد، وأثره على الطهارة والوضوء، وأثره على الصلاة، وأثره على الزكاة.

كما بين الباحث أثر الشيطان على الأخلاق والسلوك، واكتفى بذكر نموذجين لذلك، حيث ذكر من الأخلاق الذميمة: خلق الكبر وهو من الأخلاق الشيطانية التي ورّثها الشيطان لأوليائه وأتباعه، ومن السلوك الذميم الذي يتصف به بعض الناس الاحتيال والمكر والخداع، وهذا من أثر الشيطان على السلوك.

كما تحدث الباحث في هذا الفصل عن أثر الشيطان على جوانب مكونات الإنسان، وبين أثر الشيطان على القلب، والعقل، والجسد، والأعضاء والجوارح.

ثم ختم الحديث ببيان أثر الشيطان على الأسرة والمجتمع، حيث بين أثر الشيطان على الأسرة، من خلال تفكيك العلاقات الزوجية وإضعافها وتقويضها؛ ومن خلال إفساده للعلاقة بين الأخوان في البيت الآمن داخل الأسرة الواحدة.

كما بين الباحث أثر الشيطان على المجتمع من خلال نشره للعداوة والبغضاء، ومن خلال دوره في المواقف الحرجة، والأزمات، والأحداث الكبيرة.

وبهذا يكون الباحث قد أتى على ما أراد من بيان أثر الشيطان على الإنسان، وينتقل إلى الفصل الأخير ليبين من خلاله الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان.

الفصل الخامس

الأساليب التربوية للوقاية من عداوة الشيطان

المبحث الأول : أساليب عامــة .

المبحث الثاني : أساليب محددة وخاصة .

تمهيد:

تجلى الهدف من عداوة الشيطان للإنسان، والحكمة التي من أجلها كانت تلك العداوة، وعرفنا سببها، ثم تبين بحمد الله تعالى ومنته الطرق والأساليب التي يستخدمها الشيطان لإنزال الضرر بالإنسان، كما تعرفنا على أثر عداوة الشيطان على حياة الإنسان سواء أثر هذه العداوة على مكونات الإنسان، أو أثرها على جوانب بناء الإنسان، واتضح لنا أثره على الأسرة والمجتمع، ونصل في هذا الفصل إلى بيت القصيد؛ فمن خلال ما سبق يتضح خطورة هذا العدو، وشراسة المعركة معه، والإطلاع على ما حباه الله وأعطاه من القدرات ابتلاءاً، واختباراً للعباد، ويصل الباحث إلى الإجابة المهمة على سؤال: ما هو المخرج من كل هذا؟ وما هو السبيل إلى الخلاص من كيد الشيطان وأثره على العباد ؟ ما الأساليب والطرق التي يمكن من خلالها أن نصل إلى بر الأمان ويحصل لنا الاطمئنان ؟ كيف نكسب المعركة مع عدونا ؟ كيف ننتصر على الشيطان ؟؟

هذا ما سيتم الإجابة عليه من خلال هذا الفصل، فهو يهدف إلى الإجابة على:

ما الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان ؟

وسيتم الإجابة على هذا السؤال من خلال اختيار مجموعة من الطرق والأساليب التي يستخدمها الإنسان للانتصار في هذه المعركة، سواء النظرية منها، أو العملية، وجدت هذه الأساليب في نصوص الكتاب والسنة، أسأل الله أن يوفق للعمل بها والاستفادة منها، وقام الباحث بتقسيم هذه الأساليب إلى: أساليب عامة، وأساليب خاصة.

وهذا الفصل مسك الختام، ومكانته من البحث مكانة الوقوف بعرفة من الحج، ومكانة النصيحة من الدين[1]، ولمكانة هذا الفصل وأهميته من البحث سميته به.

---

(١) حيث قال ﷺ (الحج عرفة) سنن الترمذي ج٣ ص٢٣٧ حديث ٨٨٩، وقال (الدين النصيحة) سنن الترمذي ج٤ ص ٣٢٤ حديث

المبحث الأول: أساليب عامة:

وهي مجموعة من الأساليب ينبغي أن ينطلق منها كل من رام النجاة من الشيطان، وهذه الأساليب هي: الدخول في الإسلام، ذلك أن الدخول في الإسلام يعتبر البوابة الأولى للسلامة من الشيطان وشره، لأن الدخول في الإسلام بكافة شرائعه هو الصراط المستقيم الذي أمر الله بإتباعه، وإتباع الصراط المستقيم يتمثل في متابعة النبي ﷺ، والاقتداء به، ولا تتم متابعة النبي ﷺ إلا بالتمسك بكتاب الله الذي نزل عليه، والتمسك بسنته ﷺ التي صحت عنه عليه الصلاة والسلام، والتمسك بالكتاب والسنة يقود الإنسان إلى امتثال الأوامر التي أمر الله بها، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنها، ومن اتبع ما أمر الله به ورسوله ﷺ، واجتنب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ فقد حقق العبودية لله تعالى، فهو حقاً وصدقاً من عباد الله، ومن حقق معنى العبودية لله تعالى فقد صدق في إيمانه، ومن صدق في إيمانه فقد اهتدى هذه الأساليب العامة مترابطة، وتؤدي إلى نتيجة واحده وان اختلفت العبارات والألفاظ في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، واليك تفصيل ذلك وبيانه:

أما المبحث الثاني: فقد احتوى على مجموعة من أساليب التربية الإسلامية المحددة والتي ينبغي على من رام النجاة من عداوة الشيطان أن يركز عليها، ويراعيها في حياته لكي ينجو من كيد الشيطان ومكره، مع التنبه إلى أن كل أسلوب يستخدمه الشيطان للإضرار بالإنسان إذا اخذ الإنسان بعكسه أو بضده فإنَّه أقرب للنجاة من كيد الشيطان، والله الهادي إلى سواء السبيل.

أولا: الدخول في الإسلام كله بكافة شرائعه:

أول ما يدعو إليه الباحث للسلامة من كيد الشيطان الدخول في الإسلام، لأن الشيطان متمكن من الكافر كلَّ التمكن، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى

١٩٢٦، وذلك لبياني مكانة الوقوف بعرفة من الحج ولبيان مكانة النصيحة في الإسلام وعظمتها.

ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ [سورة مريم، آية: ٨٣]. فالله تعالى مكن الشياطين من الكافرين، فهي تحرك عقولهم، وقلوبهم، وجوارحهم تجاه الشر، والضلال، والفساد في الأرض والسماء، فإذا دخل الإنسان في الإسلام، عليه أن يدخل في الإسلام كله بكافة شرائعه.

قال تعالى: " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٠٨-٢٠٩].

يقول سيد قطب – رحمه الله –: "إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان. بهذا الوصف المحبب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم، دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة.

وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله، في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم؛ أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور، ومن نية أو عمل، ومن رغبة أو رهبة، لا تخضع لله، ولا ترضى بحكمه وقضائه"[(١)].

كما يضيف قائلاً – رحمه الله –: "استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية؛ الاستسلام لليد التي تقود خطأهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد؛ وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير، في الدنيا والآخرة سواء.

وتوجيه هذه الدعوة إلى الذين آمنوا، إذ ذاك تشي بأنه كانت هنالك نفوس ما تزال يثور فيها بعض التردد في الطاعة المطلقة في السر والعلن، وهو أمر طبيعي أن يوجد في الجماعة، إلى جانب النفوس المطمئنة الواثقة الراضية؛ وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا؛ ليخلصوا ويتجردوا؛ وتتوافق خطرات نفوسهم، واتجاهات

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص١٨٣.

مشاعرهم، مع ما يريد الله بهم، وما يقودهم إليه نبيهم ودينهم، في غير ما تلجلج، ولا تردد، ولا تلفت.

والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام، عالم كله ثقة واطمئنان، وكله رضي واستقرار؛ لا حيرة ولا قلق، ولا شرود ولا ضلال، سلام مع النفس والضمير، سلام مع العقل والمنطق، سلام مع الناس والأحياء، سلام مع الوجود كله ومع كل موجود، سلام يرف في حنايا السريرة، وسلام يظلل الحياة والمجتمع، سلام في الأرض، وسلام في السماء.

وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصوره لله ربه، ونصاعة هذا التصور وبساطته.

إنه إله واحد، يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر عليها قلبه؛ فلا تتفرق به السبل، ولا تتعدد به القبل؛ ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك - كما كان في الوثنية والجاهلية - إنما هو إله واحد يتجه إليه في ثقة، وفي طمأنينة، وفي نصاعة، وفي وضوح.

وهو إله قوي قادر عزيز قاهر، فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحقة الوحيدة في هذا الوجود، وقد أمن كل قوة زائفة، واطمأن واستراح، ولم يعد يخاف أحداً، أو يخاف شيئاً، وهو يعبد الله القوي القادر العزيز القاهر، ولم يعد يخشى فوت شيء، ولا يطمع في غير من يقدر على الحرمان والعطاء "[1].

دخول الإنسان بكلية في الإسلام كله.

وهذا معنى الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، التسليم المطلق للإسلام، والرضي به كله، وإذا لم يكن كذلك؛ فهذا إتباع لخطوات الشيطان.

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص١٨٤.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٠٨].

ويقف أيضاً هنا وقفة أخرى: ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة، حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان، فإنه (ليس هناك إلا اتجاهان اثنان، إما الدخول في السلم كافة، وإما إتباع خطوات الشيطان، إما هدى وإما ضلال. إما إسلام وإما جاهلية إما طريق الله وإما طريق الشيطان وإما هدى الله وإما غواية الشيطان)، وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه، فلا يتلجلج، ولا يتردد، ولا يتحير بين شتى السبل، وشتى الاتجاهات.

إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحداً منها، أو يخلط واحداً منها بواحد؛ كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته، ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته، ومن لا يتجرد من كل تصور آخر، ومن كل منهج آخر، ومن كل شرع آخر.. إن هذا في سبيل الشيطان، سائر على خطوات الشيطان.

ليس هنالك حل وسط، ولا منهج بين بين، ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك! إنما هناك حق وباطل، هدى وضلال، إسلام وجاهلية، منهج الله أو غواية الشيطان، والله يدعو المؤمنين في الأولى إلى الدخول في السلم كافة؛ ويحذرهم في الثانية من إتباع خطوات الشيطان، ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم، ويستثير مخاوفهم بتذكيرهم بعداوة الشيطان لهم، تلك العداوة الواضحة البينة، التي لا ينساها إلا غافل، والغفلة لا تكون مع الإيمان.

ثم يخوفهم عاقبة الزلل بعد البيان: ﴿ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٠٩]. وتذكيرهم بأن الله (عَزِيزٌ) يحمل التلويح بالقوة والقدرة والغلبة، وأنهم يتعرضون لقوة الله حين

يخالفون عن توجيهه، وتذكيرهم بأنه (حَكِيمٌ). فيه إيحاء بأن ما أختاره لهم هو الخير، وما نهاهم عنه هو الشر، وأنهم يتعرضون للخسارة حين لا يتبعون أمره ولا ينتهون عما نهاهم عنه، فالتعقيب بشطريه يحمل معنى التهديد والتحذير في هذا المقام "[1] .

كما أن الإسلام نظام حياة شامل، متكامل، متوازن، فقد عني ببناء الإنسان بصفته الفردية، وعني به بصفته عضوا في جماعة، ولبى جميع رغباته الفطرية، وأشبع ميولاته، فمن دخل في الإسلام بكل شرائعه وجد إشباعا لجميع مكوناته العقل، والجسد، والقلب، وسلمت تصوراته عن الحياة والكون والإنسان ووجد اهتماماً بجميع نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والإعلامية والفنية والحربية، وفي المجالات التجارية والصناعية والإدارية والرياضية وغيرها من المجالات، فمن دخل في الإسلام بهذا التصور الشامل والتوازن المعتدل فإنه سيكون بإذن الله تعالى أبعد من الشيطان ومن أخذ شيئا من الإسلام وترك شيئاً فأخذ الإسلام في الشعائر التعبدية وترك الإسلام في الجوانب الاقتصادية فان الشيطان منه أقرب وهو عن الإسلام أبعد ومن رام السلامة من الشيطان فعليه أن يدخل في جميع شرائع الإسلام وعقائده وأحكامه بكليته لا يبعض نفسه فقلبه لله وعقله لغير شرع الله بل كلما فهم الإنسان الإسلام وطبقة كله كان ابعد من الشيطان والله الموفق.

يقول سيد قطب – رحمه الله –: " وهكذا نجد هذا الكتاب لا يعلم المسلمين العبادات والشعائر فحسب؛ ولا يعلمهم الآداب والأخلاق فحسب – كما يتصور الناس الدين ذلك التصور المسكين! إنما هو يأخذ حياتهم كلها جملة. ويعرض لكل ما تتعرض له حياة الناس من ملابسات واقعية.. ومن ثم يطلب – بحق – الوصاية التامة على الحياة البشرية؛ ولا يقبل من الفرد المسلم ولا من المجتمع المسلم، أقل من أن تكون حياته بجملتها من صنع هذا المنهج، وتحت تصرفه وتوجيهه. وعلى وجه

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص٢١١.

التحديد لا يقبل من الفرد المسلم، ولا من المجتمع المسلم أن يجعل لحياته مناهج متعددة المصادر: منهجاً للحياة الشخصية، وللشعائر والعبادات، والأخلاق والآداب، مستمداً من كتاب الله. ومنهجاً للمعاملات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدولية، مستمداً من كتاب أحد آخر؛ أومن تفكير بشري على الإطلاق! إن مهمة التفكير البشري أن تستنبط من كتاب الله ومنهجه أحكاماً تفصيلية تطبيقية لأحداث الحياة المتجددة، وأقضيتها المتطورة- بالطريقة التي رسمها الله"[1].

فالدخول في الإسلام كله بكافة شرائعه يجعل الإنسان في قرب من الرحمن وبعدٍ عن الشيطان.

ثانيا: إتباع الصراط المستقيم:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة الأنعام، آية: ١٥٣].

يقول السعدي - رحمه الله تعالى- : "(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر.

(فَاتَّبِعُوهُ) لتنالوا الفوز والفلاح، وتدركوا الآمال والأفراح(وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) أي: تضلكم عنه وتفرقكم يميناً وشمالاً فإذا ضللتم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم.

(ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم علماً وعملاً صرتم من المتقين، وعباد الله المفلحين، ووحد الصراط وأضافه إليه لأنه سبيل

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٢ ص٧٠٤-٧٠٥.

واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه"[1].

وقال الخازن في تفسيره: " قوله عز وجل (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ) يعني وأن هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيماً يعني قويماً لا اعوجاج فيه (فاتبعوه) ويعني فاعملوا به. وقيل: إن الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمين ما وصى به مفصلاً أجمله في هذه الآية إجمالاً يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه، ويدخل فيه أيضاً جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه ﷺمن دين الإسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين وأمرهم بإتباع جملته وتفصيله (وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ) يعني الطرق المختلفة والأهواء المضلة والبدع الرديئة، وقيل السبل المختلفة مثل: اليهودية والنصرانية وسائر الملل والأديان المخالفة لدين الإسلام (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده، روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال: خط لنا ﷺ خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية (ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ) يعني بإتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة"[2].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الأعراف، آية:١٦].

قال الخازن في تفسيره: (قَالَ) يعني إبليس (فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى) يعني فبأي شيء

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٠.

(٢) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٢ ص٤٨٢.

أضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتدأ فقال (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) وقيل: هي باء القسم تقديره فبإغوائك إياي وقيل معناه فيما أوقعت في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي إلى الأرض من السماء وأضللتني عن الهدى لأقعدن لهم صراطك المستقيم يعني: لأجلسن على طريقك القويم وهو طريق الإسلام، وقيل المراد بالصراط المستقيم: الطريق الذي يسلكونه إلى الجنة وذلك بأن أوسوس إليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم، وقيل: المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة، وقيل: المراد به الحج. والقول الأول أولى لأنه يعم الجميع ومعنى لأردنَّ بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم ولأضلنَّهُم كما أضللتني"[1].

ويقول السعدي رحمه الله: "أي: قال إبليس – لما أبلس وأيس من رحمة اللّه – (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ) أي: للخلق (صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) أي: لألزمن الصراط ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه.

(ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم.

ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازما ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدَّق ظنه فقال: (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) فإن القيام بالشكر من سلوك الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به"[2].

فالصراط المستقيم هو شرع الله ومنهجه ودينه الذي ارتضاه في الأرض ولزومه يطرد الشيطان ويضعف كيده.

---

(١) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٢ ص١.

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٤-٢٨٥.

ثالثا: إتباع النبي ﷺ .

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[سورة النساء، آية: ٨٠].

لا شك أن إتباع النبي ﷺ نجاة وفلاح وفوز ونجاح في الدنيا والآخرة فقد توافرت نصوص الكتاب والسنة بالحث على الإتباع ونبذ الابتداع، فكان في إتباع النبي ﷺ نجاة من الشيطان وعداوته وإضلاله وغوايته، وفي ترك إتباعه والابتداع ضلال وغواية.

قال ابن القيم في معرض حديثه عن علاج الوسوسة: " فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق في إتباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله، وليعزم على سلوك طريقه عزيمة من لا يشك أنه على الصراط المستقيم وأن ما خالفه من تسول إبليس ووسوسته، ويوقن أنه عدوله لا يدعوه إلى خير، وليترك التعريج على كل ما خالف طريقة رسول الله ﷺ كائنا ما كان، ولينظر أحوال السلف في متابعتهم لرسول الله ﷺ فليقتد بهم وليختر طريقهم، وليعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ ما كان فيهم موسوس "(١).

ولا ينجي من هذه الفتنه إلا تجريد إتباع الرسول وتحكيمه في دق الدين وجله ظاهره وباطنه عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام وما يثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وإعدادها ومقادير نصب الزكاة ومستحقيها ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وصوم رمضان فلا يجعله رسولا في شيء دون شيء من أمور الدين بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل لا يتلقى إلا عنه ولا يؤخذ إلا منه فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله وكل ما خرج عنها فهو

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٢٣.

ضلال، فإذا عقد قلبه على ذلك واعرض عما سواه ووزنه بما جاء به الرسول فان وافقه قبله لا لكون ذلك القائل قاله بل لموافقته للرسالة وان فاته ذلك أصابه من فتنها بحسب ما فاته منه [(1)].

قال سيد - رحمه الله - " ذلك شأن المتقين: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠١]. جاء بيان هذا الشأن معترضاً بين أمر الله سبحانه بالإعراض عن الجاهلين؛ وبيان ما إذا ومن ذا وراء هؤلاء الجاهلين، يدفعهم إلى الجهل والحمق والسفه الذي يزاولون.. فلما انتهى التعقيب عاد السياق يحدث عن الجاهلين: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠٢-٢٠٣].

وإخوانهم الذين يمدونهم في الغي هم شياطين الجن.. وقد يكونون هم شياطين الإنس أيضاً.. إنهم يزيدون لهم في الضلال، لا يكلون ولا يسأمون ولا يسكتون! وهم من ثم يحمقون ويجهلون! ويظلون فيما هم فيه سادرين.

ولقد كان المشركون لا يكفون عن طلب الخوارق من رسول الله ﷺ والسياق هنا يحكي بعض أقوالهم الدالة على جهلهم بحقيقة الرسالة وطبيعة الرسول: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ أي.. لولا ألححت على ربك حتى ينزلها!.. أو هلا فعلتها أنت من نفسك؟ ألست نبياً؟!

إنهم لم يكونوا يدركون طبيعة الرسول ووظيفته؛ كذلك لم يكونوا يعرفون أدبه مع ربه؛ وأنه يتلقى منه ما يعطيه؛ ولا يقدم بين يدي ربه ولا يقترح عليه؛ ولا يأتي كذلك الشيء من عند نفسه.. والله يأمره أن يبين لهم: (قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن

---

(١) المرجع السابق ج٢ ص١٣٢.

رَبِّيۚ) فلا أقترح، ولا أبتدع، ولا أملك إلا ما يوحيه إلي ربي. ولا آتي إلا ما يأمرني به "[1].

فإذا كان شأن نبي الله تعالى محمد ﷺ الإتباع ولا يسعه إلا إتباع ما جاء عن الله فنحن كذلك لا يسعنا إلا إتباع ما جاء عن رسول الله ﷺ

يقول ابن القيم رحمه الله: " ومن كيده – أي الشيطان – بهم وتحيله على إخراجهم من العلم والدين أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظيه لا تفيد اليقين وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية، والطرق الكلامية، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق يونان، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية من البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمه صقلتها العقول والأذهان ومرت عليها القرون والأزمان، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان كإخراج الشعرة من العجين "[2].

إن محمد ﷺ جاء بشريعة كاملة وطبقها واقعاً في حياته، فمن عرفه ﷺ حق المعرفة وجب عليه الإيمان به والتصديق لما جاء به، فهو إمام لكل من حارب الشيطان وكان له مع إبليس مواقف شهدت بها كتب السنة، فعلينا إتباع شرعه وعدم الابتداع في دينه فان الشيطان يدعو للبدعة والإتباع يدعو للسنة.

رابعاً: التمسك بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [سورة النساء، آية: ٦٩].

إن من أعظم سبل الوقاية من الشيطان التمسك بالكتاب والسنة، فالكتاب

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص١٤٢٠.
(٢) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٣٩.

والسنة جاءا بالصراط المستقيم والشيطان يجاهد ليخرجنا عن هذا الصراط قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة الأنعام، آية: ١٥٣].

وقد شرح الرسول ﷺ هذه الآية وبينها: "إذ خط خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه"(١).

إن إتباع ما جاءنا من عند الله تعالى من عقائد وأعمال وأقوال وعبادات وتشريعات وترك كل ما نهى الله عنه يجعل الإنسان في حرز ووقاية من الشيطان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[سورة البقرة، آية: ٢٠٨].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "وعاقبهم إذا اعرضوا عن كتابه وسنة نبيه ﷺ وطلبوا الهدى من غيره: بأن يضلهم ويسد عليهم أبواب الهدى، كما جاء عن النبيﷺ في حديث علي رضي الله عنه الذي رواه الترمذي وغيره وذكر القران: "من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله"(٢).

فإن المعرض عن القرآن إما أن يعرض عنه كبراً فجزاؤه أن يقصمه الله أو طلباً للهدى من غيره فجزاؤه أن يضله الله"(٣).

قال سفيان الثوري – رحمه الله تعالى –: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية،

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد، (مرجع سابق) حديث ٤٤٣٧ ج١ ص٤٦٥.
(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: سنن الترمذي (الجامع الصحيح) (مرجع سابق) ج١٠ ص١٤٧.
(٣) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٣٠٠.

والمعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها "[1].

يقول ابن القيم – رحمه الله –: " ومن كيده – أي الشيطان – بهم وتحيله على إخراجهم من العلم والدين أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظيه لا تفيد اليقين، وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية والطرق الكلامية، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق يونان وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية من البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمه صقلتها العقول والأذهان، ومرت عليها القرون والأزمان، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان كإخراج الشعرة من العجين "[2].

كما يقول – رحمه الله –: " وعاقبهم إذا اعرضوا عن كتابه وسنة نبيه فيتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويقويه ويؤيده ويفرحه ويسره وينشطه ويثبت ملكه، كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه، وكل من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، فكما أن البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغذية المصلحة له والحمية عما يضره فلا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره، فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه إلا بذلك ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو نزر يسير لا يصلح به تمام المقصود، وكذلك الزرع لا يتم إلا بهذين الأمرين فحينئذ يقال: زكا الزرع وكمل "[3].

ومن هنا يتضح أن التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل ما يحتاج

---

(١) اللالكائي، أبو القاسم: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض. ج١ ص١٣٢.
(٢) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٣٩.
(٣) المرجع السابق ج١ ص٤١.

إليه المسلم من أمور دينه ودنياه فيه عصمة للإنسان، فما كان محتاج فيه إلى التفصيل فسيجده مفصلاً، وما كان يكفي فيه الإجمال سيجده مجملا فالإعتصام بالكتاب والسنة وخاصة فيما يتعلق بالتشريع ثبات للإنسان وعصمة من الشيطان.

خامساً: امتثال الأوامر واجتناب النواهي:

جاء الإسلام بنظام شامل لحياة الإنسان متى ما ألتزمه كانت سعادته وذلك النظام جاء بأوامر في فعلها خير للإنسان ونواهي في اجتنابها خير للإنسان والشيطان، حريص على أن يترك الإنسان الأمر ويفعل النهي وفي مخالفة الشيطان نجاة الإنسان وسعادته وإذا تقرر عند الإنسان أن الله لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر عظم، الأمر والنهي في نفسه وقلبه وحصل منه الامتثال وانشرح قلبه بذلك.

يقول ابن القيم – رحمه الله – : " وأول مراتب تعظيم الأمر: التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه ثم فعله لكونه مأمورا به بحيث لا يتوقف الإنسان على معرفة حكمته فان ظهرت له فعله وإلا عطله فهذا من عدم عظمته في صدره بل يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلاً ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أولم تظهر فان ورد الشرع بذكر حكمه الأمر أوفقها العقل كانت زيادة البصيرة والداعية في الامتثال وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده ولم يقدح في امتثاله، فالمعظم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي على ما جاءت لا يعللها بعلل توهنها وتخدش في وجه حسنها، فضلاً عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها، فهذا حال ورثة إبليس والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء"[1].

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، الطبعة الأولى، طبعة دار العاصمة: الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ، تحقيق: علي ابن محمد الدخيل الله. ج٤ ص١٥٦١-١٥٦٢.

روى الإمام مسلم في صحيحة عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار "[1].

سادسا: تحقيق العبودية:

ومن أعظم الغايات التي جاء بها الإسلام تحقيق العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات، آية: ٥٦]. فالغاية من خلق الإنسان تحقيق العبودية لله تعالى فلا سلطان للشيطان على من حقق العبودية، ولذلك استثنى إبليس من حقق العبودية من قدرته على الإغواء فقال: (إلا عبادك) أي الصادقين في عبوديتهم لله تعالى كما أن الله تعالى قرر أن الشيطان ليس له سلطان على من حقق عبوديته لله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [سورة الحجر، آية: ٤٢]. فهذه إضافة تشريف وتكريم وحفظ ورعاية لهم أنهم حقاً عباد الله تعالى بتحقيقهم معنى العبودية، ولذلك لا سلطان للشيطان عليهم بالإغواء والإضلال فهم في كنف الله وكلاءته.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الحجر، آية: ٣٩-٤٢].

يقول أسعد حومد: " إِنَّ عِبَادِي الذِينَ قَدَّرْتُ لَهُمُ الهِدَايَةَ لاَ سُلْطَانَ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ عَلَى إِضْلاَلِهِمْ، وَلاَ عَلَى أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ ذُنُوبٍ يَضِيقُ عَنْهَا عَفْوِي، وَلَكِنَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنْهُمْ بِاخْتِيَارِهِ صَارَ مِنْ أتباعك، وَسَيَكُونُ

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج٢ ص٦٩ نووي، القزويني، عبدالله بن محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، (مرجع سابق) ج١ ص٣٣٤.

سُلْطَانُكَ عَلَى هَؤُلاَءِ سُلْطَانٌ تسَلُّطٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى الإِغْوَاءِ "[1].

ويقول الإمام الطبري: " قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن عبادي ليس لك عليهم حجة، إلا من اتبعك على ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك "[2].

ويقول السمرقندي: " (إِنَّ عِبَادِى) أي: عبادي الذين لا يطيعونك (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ) أي حجة ولا ملك، ولا أسلطك عليهم. كقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [سورة النحل، آية: ٩٩].

ثم قال: (إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ) أي: من أطاعك من الكافرين. ويقال: معناه إنما نفاذ دعوتك، ووسوستك لمن اتبعك من المشركين.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة ص، آية: ٨٢-٨٣] "[3].

يقول الطبري: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ) يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمتَه من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلا فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه "[4].

---

(١) حومد، أسعد: أيسر التفاسير، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٢هـ ج١ ص١٨٤٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٧ ص١٠٥.

(٣) السمرقندي، نصر بن محمد: بحر العلوم، (مرجع سابق) ج٢ ص٤٤٧.

(٤) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٢١ ص٢٤١.

كما يقول السعدي: " (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ) علم أن الله سيحفظهم من كيده "[1].

ويقول القطان: " حلف إبليس بعزة الله الخالق أنه لَيُغوينَّ بني آدم إلا الذين آمنوا بإخلاص وصِدق، فإنه لا سلطان له عليهم "[2].

اتضح لنا من خلال الآيات السابقة أن عباد الله الذين حققوا معنى العبودية لله تعالى لا يمكن أن يتسلط عليهم الشيطان، فمن أراد السلامة من مكر الشيطان وشره عليه أن يجتهد في تحقيق معنى العبادة لله تعالى.

سابعا: الإيمان الصادق:

الإيمان الصادق هو المنجى من الشيطان، فمتى ما صدق الإنسان في إيمانه فليبشر بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، والإيمان هو: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان؛ وقد بين الله تعالى في كتابه أن الشيطان لا حجة له ولا سلطان على المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [سورة النحل، آية: ٩٩].

يقول السعدي في تفسيره: " فإن الشيطان (لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ) أي: تسلط (عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ) وحده لا شريك له (يَتَوَكَّلُونَ) فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان ولا يبقى له عليهم سبيل.

(إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ) أي: تسلطه (عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ) أي: يجعلونه لهم وليا "[3].

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٧١٦.

(٢) القطان، يحيى بن سعيد: تفسير القطان، (مرجع سابق) ج٣ ص١٦٦.

(٣) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٤٩.

ويقـول الخـازن:" ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لما أمر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك أوهم أن لـه سـلطانا يعـني ليس له قدرة، ولا ولاية على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون، قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا أن الاستعاذة، إنما تفيد إذا حضر بقلب الإنسان كونه ضعيفاً، وأنه لا يمكنه التحفظ مـن وسوسـة الشـيطان إلا بعصمة الله ولهذا قال المحققون: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعـة الله إلا بتوفيـق الله ثـم قـال تعـالى ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ يعـني يطيعونه ويدخلون في ولايته"[1].

يقول الإمام الطبري – رحمـه الله تعـالى –: " فإنـه يعـني بـذلك: أن الشـيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله بـه وانتهـوا عمـا نهاهم الله عنه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ يقول: إنمـا حجتـه علـى الـذين يعبدونه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ يقول: والذين هم بالله مشركون"[2].

قال قتـــادة:" يعظمهـم في صـدوركم ولهـذا قـال:﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٧٥]. فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم"[3].

" ووسوسة الشيطان لا ندري نحن كيف تتم؛ لأننا لا ندري كنه الشيطان حتى

---

(١) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٤ ص٢٠٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١٧ ص٢٩٣.
(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٠١.

ندرك كيفيات أفعاله، وكذا اتصاله بالإنسان وكيفية إغوائه. ولكننا نعلم - بالخبر الصادق وهو وحده المصدر المعتمد عندنا عن هذا الغيب - أنه إغواء على الشر يقع في صورة من الصور؛ وإيحاء بارتكاب المحظور يتم في هيئة من الهيئات. وأن هذا الإيحاء وذلك الإغواء يعتمدان على نقط الضعف الفطرية في الإنسان، وأن هذا الضعف يمكن اتقاؤه بالإيمان والذكر؛ حتى ما يكون للشيطان سلطان على المؤمن الذاكر؛ وما يكون لكيده الضعيف حينئذ من تأثير "[1].

ونخلص من هذا إلى أن قوة الإيمان تطرد الشيطان فعلى قدر قوة إيمان الإنسان يكون بعد الشيطان عنه، وبقدر ضعف الإيمان يكون تسلط الشيطان على الإنسان، لذا ينبغي على العبد أن يكون إيمانه قوياً صادقاً، وذلك من خلال تقوية أعمال القلوب ووصلها بالله وأعمال الجوارح بممارسة شعار الإسلام.

هذا ما يسر الله تعالى جمعه من أساليب عامة، وقواعد رئيسة ومهمة يواجه بها المؤمن عدوه، يليها أساليب خاصة ومفصلة في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

(١) المرجع السابق ج١ ص١٠١.

المبحث الثاني: أساليب محددة وخاصة:

قام الباحث بذكر جملة من الأساليب العامة للوقاية من عداوة الشيطان كلها، تصب في قناة التمسك بالإسلام على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم وفي هذا المبحث يحاول الباحث ذكر مجموعة من الأساليب والطرق المحددة التي ينبغي على كل مسلم أن يكون على علم بها ثم يأخذ بها ويركز عليها في حياته ويراجعها بين الفينة والأخرى لينظر مدى معايشته لها في الحياة وأخذه بها لأنه قد يركز الإنسان على أسلوب معين، ويحقق فيه استقرارا بدرجة معقولة، ويهمل أسلوباً آخر كان الواجب عليه هو وبالذات عدم إهمال هذا الأسلوب، فعلى سبيل المثال احد الأثرياء محافظ على الصلوات المكتوبة، ومنتظم في أدائها، إلا أنه بعيد عن الإنفاق، وبذل المال، وقد يدخل عليه الشيطان فيأمره بالبخل خشية الفقر، وهو يملك أموال الدنيا، لذا وجب على الحصيف اللبيب أن يتنبه إلى أن الشيطان له أساليب متنوعة ومختلفة، وعليه أن ينوع في أساليب الوقاية بما يتناسب مع تنوع أساليب الشيطان، واليك هذه الأساليب:

أولا: الاستعاذة والتعويذ:

إن الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه والاستجارة بجنابه والتحصن به وتعويذ وتحصين الأبناء من أهم أساليب الوقاية من الشيطان وشره، واليك بيان ذلك:

أ- الاستعاذة:

يقول ابن كثير في معنى الاستعاذة: " والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابة من شر كل ذي شر، ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم، لا يضرني في ديني ودنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان

إلا الله ولهذا أمر بالاستعاذة من شيطان الجن، لأنه لا يقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بطبعه، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه "[1].

في تأويل الاستعاذة: قال أبو جعفر: والاستعاذة: الاستجارة، وتأويل قول القائل: (أعوذ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) أستجيرُ بالله - دون غيره من سائر خلقه - من الشيطان أن يضرَّني في ديني، أو يصدَّني عن حق يلزَمُني لرَبي[2].

" معنى "أعوذ بالله": أستجير، و أتحصن بالله وحده"من الشيطان" أي: من كل عات متمرد من الجن والإنس، يصرفني عن طاعة ربي، وتلاوة كتابه"الرجيم" أي: المطرود من رحمة الله "[3].

وفي لسان العرب: " (عوذ) عاذ به يَعُودُ عَوْذاً وعِياذا ومَعاذا لاذ فيه ولجأَ إليه واعتصم، ومعاذَ اللهِ أَي: عياذا بالله، قال الله عز وجل: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [سورة يوسف، آية: ٧٩]. أَي نعوذ بالله معاذا أَن نأْخذ غير الجاني بجنايته "[4].

وهناك مواطن يتأكد على الإنسان الاستعاذة بالله تعالى عندها ومن هذه المواطن:

مواطن الاستعاذة:

١- الاستعاذة عند دخول الخلاء: كما في الصحيحين عن انس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: " اللهم إني أعوذ بك من الخبث

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج١ ص٢٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١ ص١١١.

(٣) التفسير الميسر، عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بدون طبعة وتاريخ نشر. ج١ ص٥.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب (مرجع سابق) (٤٩٨/٣).

والخبائث "[1].

٢- الاستعاذة عند الغضب: استب رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما غضباً شديداً فقال النبي ﷺ : " إني لأعلم كلمه لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب " فقالوا: ما هي يا رسول الله ؟ قال: يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم "[2].

٣- التعوذ بالله من الشيطان عند سماع نهيق الحمار ونباح الكلاب: قالﷺ: " إذا نهق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم "[3].

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهم فإنهن يرين ما لا ترون "[4].

٤- منازعة الشيطان للإنسان في الصلاة - وهو فاعل ذلك لا محالة -: عن عثمان بن العاص ﷺ قال: " قلت يا رسول الله: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ : " ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسست به فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثا " قال ففعلت فأذهبه الله عني "[5].

٥- عند افتتاح الصلاة: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١ ص٢٤٦.
(٢) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود (مرجع سابق) ج١٢ ص٤٠٠.
(٣) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير بإسناد صحيح (مرجع سابق)، الألباني، محمد بن ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٦.
(٤) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود (مرجع سابق) ج٤ ص٣٢٧.
(٥) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١١ ص٢٠٩.

يصلي قال: " الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا " ثلاثا " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه "(١).

٦- عند دخول المسجد. كان النبي ﷺ إذا دخل المسجد يقول: " أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم "(٢).

٧- عند الإحساس بنزغات الشيطان ووساوسه وخاصة عند الاختلاف: قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠٠]. وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٥٣].

٨- التعوذ حين قراءة القرآن: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [سورة النحل، آية: ٩٨-٩٩].

وقد أشكل عند بعض الناس الحكمة من مشروعية الاستعاذة عند التلاوة وقد عد بعض العلماء فوائد ذلك وسأذكرها إجمالا:

فوائد الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القران:

هناك مجموعه من الفوائد والحكم ذكرها ابن القيم رحمه الله في الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القران فقال:

١- إن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من

---

(١) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود (مرجع سابق) ج٢ ص٤١٩.

(٢) الألباني، محمد بن ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير (مرجع سابق) ص٤٧١٥.

الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة فهو دواء لما أمره فيها الشيطان فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلى منه القلب ليصادف الدواء محلا خاليا فيتمكن منه ويؤثر فيه.

٢- إن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب كما أن الماء مادة النبات والشيطان نار يحرق النبات أولا فأولا فكلما أحس بنبات الخير في القلب سعى في إفساده وإحراقه فأمر أن يستعيذ بالله عز وجل منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن.

٣- إن الملائكة تدنو من قارئ القران وتستمع لقراءته كما في حديث أسيد ابن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح فقال النبي ﷺ: "تلك الملائكة".

٤- إن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود بالقران وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القران فلا يكمل انتفاع القارئ به فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه.

٥- إن القارئ مناجٍ لله تعالى كلامه والله تعالى اشد أذنا للقارئ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته؛ والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاته تعالى واستماع الرب قراءته.

٦- إن الله سبحانه اخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته.

٧- إن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عند ما يهم بالخير أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه. وفي الصحيح عن النبي ﷺ : "إن

شيطانا تفلت علي البارحة فأراد أن يقطع علي صلاتي " .. الحديث[1].

وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر. قال منصور عن مجاهد رحمه الله: " ما من رفقه تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عدته "[2].

٨- إن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها القرآن، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره، بل الاستعاذة مقدمه وتنبيه للسامع أن الذي يأتي بعدها هو التلاوة.

وقد قال احمد في رواية حنبل: لا يقرأ في صلاة ولا في غير صلاة إلا استعاذ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل، آية: ٩٨][3] .

ب- التعويذ:

الاستعاذة يباشرها الإنسان بنفسه لنفسه والتعويذ يكون للغير.

١- تعويذ ما في البطون:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٣٦]. ورد ذلك في قصة امرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها لربها، ودعت الله تعالى لما في بطنها أن يحميها الله تعالى وذريتها من الشيطان الرجيم، فاستجاب الله دعاءها وأجار مريم وذريتها من الشيطان الرجيم.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١٥ ص٧.

(٢) ابن أبي حاتم: تفسير ابن أبي حاتم، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد العماري، مكتبة الدار، دار طيبة، دار ابن القيم، ١٤٠٨هـ. ج١ ص٢٣٢.

(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٨٤.

" القـــول في تأويـــل: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ قـــال أبو جعفر: تعني بقولها:"وإني أعيذُها بك وذُريتها"، وإني أجعل مَعاذها ومَعـاذ ذرّيتهـا من الشيطان الرجيم، بك.

وأصل"المعاذ"، الموئل والملجأ والمعقل. فاستجاب الله لها، فأعاذهـا الله وذرّيتهـا من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلا.

عـن أبـي هريـرة قـال: قـال رسـول الله ﷺ مـا مـن نَفْـس مولـود يُولـد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة، ولها يَستهلّ الصبي، إلا ما كان من مريم ابنة عمران، فإنها لما وضعتها قالت:"رب إني أعيذها بك وذريتها من الشـيطان الـرجيم"، فضُـرب دُونها حجاب، فطعَن فيه "[1].

وقال طنطاوي: " معنى (أُعِيذُهَا بِكَ) أمنعها وأجيرهـا بحفظـك. مـأخوذ مـن العوذ، وهو أن تلتجئ إلى غيرك وتتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان إذا استجار به.

والمعنى: وإني أحصنها وأجيرها بكفالتك لها ولذريتها من الشـيطان الـرجيم الذي يزين للناس الشرور والمساوئ "[2].

٢- تعويذ الأبناء الصغار:

عن ابن عباس كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: (أن أباكمـا كـان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) [3].

" وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ انه قال: (ما من مولود إلا

---

(١) الطبري، محمد بـن جريـر: تفسـير الطبـري (مرجـع سـابق) ج٦ ص٣٣٦.
(٢) طنطاوي، سيد: الوسيط (مرجع سابق) ج١ ص٥٩٦.
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخـاري (مرجـع سـابق) ج١١ ص١٥٧.

يمسه شيطان، فيستهل صارخاً من الشيطان إلا مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ "[1].

وبهذا يتضح لك أيها المربي والمتربي أهمية وضرورة لزوم الاستعاذة بالله والالتجاء إليه وأنها المخرج من كيد الشيطان في أوقات وحالات متنوعة ومختلفة من حياتك اليومية، كما يتضح لك ضرورة العناية بتعويذ الصغار في كافة الأوقات وخاصة في الأوقات التي تنتشر فيها الشياطين فيستعاذ بالله من شر الشيطان فهو نعم الملتجأ والمستجار.

ثانيا : التوكل على الله :

التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه، ومن فوض أمره لله فهو في حفظ الله ورعايته، وقد بين الله تعالى في كتابه أنه لا حجة ولا سلطان للشيطان على عباده المتوكلين عليه.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة النحل، آية: ٩٨-١٠٠].

يقول الطبري في تفسيره: " (إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ) فإنه يعني بذلك: أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه(وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ) يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم "[2].

ويقول في فتح القدير: " والضمير في (إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ) للشأن أو للشيطان،

---

(١) المرجع السابق ج١١ ص٢٤٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج١ ص٢٩٣.

أي: ليس له تسلط « على » إغـواء (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ) وحكـي الواحدي عن جميع المفسرين أنهم فسروا السلطان بالحجة. وقالوا: المعنى: لـيس لـه حجـة علـى المـؤمنين في إغـوائهم ودعـائهم إلى الضـلالة. ومعنـى (وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ) يفوّضون أمورهم إليه في كل قول وفعل. فـإن الإيمـان بـالله والتوكـل عليه يمنعان الشـيطان مـن وسوسـته لهـم، وإن وسـوس لأحـد مـنهم، لا تـؤثر فيـه وسوسته. وهذه الجملة تعليـل للأمـر بالاستعاذة، وهـؤلاء الجـامعون بـين الإيمـان والتوكل هـم الـذين قـال فـيهم إبلـيس: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [سـورة الحجر، آية: ٤٠] وقال الله فـيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ [سورة الحجر، آية: ٤٢].

ثم حصر سبحانه سلطان الشيطان، فقال: (إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ) أي: تسـلطه علـى الإغواء (عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ) أي: يتخذونه ولياً ويطيعونـه في وساوسـه (وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ) الضمير في (بِهِۦ) يرجع إلى الله تعالى، أي: الذين هـم بـالله مشـركون. وقيل: يرجع إلى الشيطان. والمعنى: والذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشـركون بالله "[1].

" (إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ) تسلط وولاية (عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ) على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر باستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطاناً.

(إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ) يحبونه ويطيعونـه (وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ) بـالله أو

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (مرجع سابق) ج٤ ص٢٦٣.

بسبب الشيطان ﴿مُشْرِكُونَ﴾ "[1].

وهكذا يتضح أن التوكل على الله وتفويض الأمر إليه والاعتماد التام عليه في شأن الإنسان المتعلق بأمور دينه في آخرته ودنياه قبل فعل الأمر أو بعده وقبل حدوث الحدث أو بعده، فإنه يجنب الإنسان إتباع الشيطان، ويحفظه من كيده ومكره.

ثالثاً: الإخلاص:

ومن أخص الأساليب لمواجهة عدو الله تعالى، تجريد العمل لله، وطلب ثوابه وإرادة وجهه بهذا العمل، وتخليصه من كل شائبة تشوبه.

وقد جاء في معنى الإخلاص:

قيل: الإخلاص: أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه.

وقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة

وقيل: هو تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين.

وقيل لسهل: أي شيء اشد على النفس ؟ قال: الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب "[2].

قال سيد قطب – رحمه الله تعالى –: " وبعد فإن سنة الله في خلقه أن لا يجعل للشيطان سبيلاً ولا سلطاناً على عباده المخلصين لله وحده، فليس للشيطان عليهم تأثير ولا يملك أن يزين لهم الضلالات، لأنه ممنوع ومحجوز عنهم، ولأنهم منه في حمى وحفظ من مولأهم الحق، ولأن جميع مداخل الشيطان إليهم مغلقة بعد أن اتصلوا بالله وتعلقوا بالأسباب الموصلة إليه، فهم من الشيطان وكيده في حفظ وحماية وأمان، فالله لا يتركهم للضياع ويسلمهم لعدوهم، وعدوه بعد أن دخلوا في جواره

---

(١) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، (مرجع سابق) ج٣ ص٣٧٩.

(٢) بالي، وحيد عبدالسلام: وقاية الإنسان من الجن والشيطان (مرجع سابق) ص٢٥٣.

وصاروا من أوليائه "[1].

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله تعالى -: ترك العمل من اجل الناس رياء، والعمل من اجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما [2].

والشيطان لا يملك قوة ولا سلطانا على من اخلص عمله لله عز وجل قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر، آية: ٣٩-٤٠].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة ص، آية: ٨٢-٨٣].

قال ابن تيمية – رحمه الله تعالى -: " فبين أن سلطان الشيطان وإغواءه إنما هو لغير المخلصين "[3].

وقال الفخر الرازي: " إعلم أن إبليس استثنى المخلصين، لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم، ولا يقبلون منه "[4].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [سورة الحجر، آية: ٤٢].

قال الزجاج في معنى قوله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ): " أي من

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٤ ص٤٣٧.

(٢) الأصفهاني، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ، وبيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ ج٣ص٣٩٣.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية (مرجع سابق) ج١٠ ص٥٠.

(٤) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي: التفسير الكبير (مرجع سابق) ج١٩ ص١٨٨.

أخلص فلا حجة لك عليه ولا سلطان "[1].

وقال جمال الدين القاسمي: " أي حق نهجه ومراعاته لا اعوجاج فيه وهو أن لا سلطان لك على عبادي المخلصين، إلا الذين يناسبونك في الغواية والبعد عن صراطي فيتبعونك "[2].

وقال ابن القيم – رحمه الله – مبينا معنى الآية:

تضمنت هذه الآية أمرين:

أحدهما: نفي سلطان الشيطان وإبطاله عن أهل التوحيد والإخلاص فهو ليس له طريق يتسلط عليهم به، لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة، وهي داخله في مسمى السلطان، وإنما سميت الحجة سلطاناً، لان صاحبها يتسلط بها تسلط صاحب القدرة، وقد أخبر سبحانه أن لا سلطان لعدوه على عباده المخلصين.

الثاني: إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه، وعلى هذا يكون السلطان هاهنا على من لا يؤمن بالآخرة و شك فيها وهم الذين تولوه وأشركوا فيكون السلطان ثابتاً لا منفياً، وتسلطه عليهم يكون بالإغواء والإضلال والله سبحانه وتعالى لم يجعل للشيطان على العبد سلطانا حتى جعل له العبد سبيلا بطاعته والشرك به فجعل الله حينئذ له عليه سلطانا وقهرا [3].

" يروى عن الحسن قال: كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل

---

(١) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، الطبعة الأولى، طبعة عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. ج٣ ص٢٥١.

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، الطبعة الثانية، طبعة دار الفكر: بيروت، ١٣٩٨هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.ج١٠ ص٥٧.

(٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٩٨-١٠١ بتصرف.

فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء إليها ليقطعها غضبا لله تعـالى فلقيـه الشـيطان في صورة إنسان فقال: ماذا تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبـد مـن دون الله، قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال: لأقطعنها فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير من ذلك، لا تقطعها ولك ديناران إذا أصبحت عند وسـادتك قال: فمن لي بذلك ؟ قال أنا لك، فرجع فوجد عند وسادته دينارين، ثم أصبح فلم يجد شيئا فقام غضبان ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته فقال: ما تريـد ؟ قـال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله، قال: كـذبت مـا لـك إلى قطعهـا سبيل، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله ثم قال: أتدري من أنا ؟ فأخبره أنه الشيطان وقال: جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لي عليك سـبيل، فخـدعتك بالـدينارين فتركتهـا فلمـا فقـدتهما جئـت غضـبا للـدينارين فسـلطت عليك"[1].

وهكذا يتضح من خلال هذه القصة ما للإخـلاص مـن عظـيم الأثـر علـى الإنسان وقوته في الحق، وما له من التأييد والنصر مـن الله تعـالى بسـبب إخلاصـه، ويكفي العبد أن يخذله الله إذا ترك الإخلاص.

والمخلصون هم الذين استثناهم إبليس في قوله: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة الإسراء، آية: ٦٢]. وقولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة سبأ، آية: ٢٠].

يقول أبو حامد الغزالي: "ولا يسلم من الشـيطان إلا مـن دق نظـره، وسـعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته له، وإلا فالشيطان ملازم للمتشـمرين لعبـادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتـى في كحل العين، وقص الشارب، وطيب يوم الجمعة، ولبس الثياب، فان هذه سنن في

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكـر: تلبـيس إبلـيس (مرجع سابق)، ص ٣٢.

أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها، فيدعو الشيطان إلى فعل ذلك ويقول: هذه سنة لا ينبغي أن تتركها، ويكون انبعاث القلب باطناً لأجل تلك الشهوة الخفية، أومشوبة بها شوباً يخرج عنه حد الإخلاص بسببه، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص "[(١)].

والإخلاص لله هو رأس النجاة والخلاص من الشيطان، فكم ضاع في هذا الطريق مشمرون مجتهدون يوم أن فقدوا الإخلاص وهو يحتاج إلى مداومة ومراجعة مستمرة في كل عمل صغير أم كبير، هل أريد بهذا العمل وجه الله أم عرضاً من أعراض الدنيا؟ فكلما قوي إخلاص الإنسان. دقق نظره في أعماله وكان من الشيطان ابعد وللرحمن أقرب.

رابعاً: تذكر وعد الله على الطاعة والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه:

المؤمن الحق يكون يقظاً لأساليب عدوه، عارفاً ومتذكراً ومستحضراً وعد الله تعالى له الذي لا يخلف الميعاد، فقد وعدنا بالمغفرة للذنوب والآثام، ووعدنا تعالى بالفضل العظيم حيث قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٨].

ثم ذكر سبحانه وعده على طاعته وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه وهي المغفرة والفضل، والمغفرة وقاية الشر والفضل إعطاء الخير، وفي الحديث المشهور: "أن للملك بقلب ابن ادم لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالوعد، ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٨] [(٢)].

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج٤ ص٣٢٧.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة الشيطان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ص٩٩.

قال في الكشاف: " ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٦٨].

أي يعدكم في الإنفاق (ٱلۡفَقۡرَ) ويقول لكم أنّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا (وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ) ويغريكم على البخل، ومنع الصدقات إغراء الأمر للمأمور؛ والفاحش عند العرب: البخيل (وَٱللَّهُ يَعِدُكُم) في الإنفاق(مَّغۡفِرَةٗ) لذنوبكم وكفارة لها (وَفَضۡلٗاۗ)وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم، أو ثواباً عليه في الآخرة "[1].

وقال في الدر المنثور: " وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: اثنتان من الله واثنتان من الشيطان (ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ)يقول: لا تنفق مالك وأمسكه عليك فإنك تحتاج إليه (وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ) على هذه المعاصي وفضلاً في الرزق.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة " (وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ) لفحشائكم وفضلاً لفقركم "[2].

فمن تذكر وعد الله بالتوسعة على المؤمن في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فإنه يقبل على فعل الخيرات، ويعرض عن ترك السيئات ثقة بما عند الله تعالى.

ويقول الخازن في تفسيره: " قوله عز وجل: (ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ) أي يخوفكم الفقر يقال: وعدته شراً وإذا لم يذكر الخير والشر يقال: في الخير وعدته وفي

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر: الكشاف (مرجع سابق) ج١ ص٢٣٧.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: الدر المنثور في التفسير المأثور (مرجع سابق) ج٢ ص٢٠٤.

الشر أوعدته والفقر سوء الحال، وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت افتقرت ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ يعني يوسوس لكم ويحسن لكم، البخل ومنع الزكاة والصدقة. قال الكلبي: كل فحشاء في القرآن فهي الزنا إلاّ هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة، وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولاً بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، وهي البخل وذلك لأن البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلاّ بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر، فلهذا قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ يعني مغفرة لذنوبكم وستراً لكم ﴿وَفَضْلًا﴾ يعني رزقاً وخلفاً "[1].

إن التربية الإسلامية تسعى إلى الارتقاء بالإنسان، وترفع من قيمته وطموحاته وتميزه بإيمانه بالغيب وثقته بالله تعالى وبمنهجه القويم، وبوعده النافذ والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، فالمسلم يتطلع إلى مغفرة وتكفير ذنوبه ويطمع في عطائه ورزقه فإذا ما تذكر الإنسان وعد الله تعالى فعل الطاعة وترك المعصية وأقبل على استكمال محاسن النفس وابتعد عن وساوس الشيطان وضلالاته فنال سعادة الدنيا والآخرة إنه أسلوب تربوي فريد تميز به المنهج الرباني عن المناهج البشرية القاصرة.

خامساً: خوف الله :

إن للشيطان أولياء يخافونه، فمن خاف الشيطان فقد والاه، أما المؤمن فلا يخاف إلا الله تعالى، ومتى ما تمكن خوف الله تعالى من قلب المؤمن فلا مجال للخوف

---

(١) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج١ ص٣٠١.

من الشيطان، ومتى ما ضعف خوف الله تعالى في قلب الإنسان تمكن من تخويفه الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٧٥].

المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة:" يعظمهم في صدوركم ولهذا قال: (فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ) فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم "[١].

يقول الخازن في تفسيره: " قوله عز وجل: (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ) يعني إنما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بأن ألقى ذلك في أفواههم ليرهبوا المؤمنين، ويخوفوهم، ويجبنوهم قوله أولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين بأوليائه؛ وقيل معناه: أولياءه في صدوركم لتخافوهم، وقيل معناه: يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان إذا خوفهم ولا يطيعونه إذا أمرهم "[٢].

قال في التفسير الميسر: " إنَّما المثبِّط لكم في ذلك هو الشيطان، جاءكم يخوِّفكم أنصاره، فلا تخافوا المشركين؛ لأنّهم ضعاف لا ناصر لهم، وخافوني بالإقبال على طاعتي إن كنتم مصدِّقين بي، ومتبعين رسولي "[٣].

إذ خوف الله تعالى يطرد خوف ما عداه من الخلق فإذا خوف الشيطان الإنسان فليتذكر قوله تعالى: (فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ) .

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص١٠١.
(٢) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٢ ص٢.
(٣) التفسير الميسر، عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (مرجع سابق) ج١ ص٤٧٤.

وتعددت نصوص الشرع التي رغبة في هذه الصفة وهذا العمل القلبي الخوف من الله وجاء في المراد به.

قول الجرجاني: " الخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب " [1].

وقال ابن رجب – رحمه الله –: " القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم فان زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلا محمودا فان تزايد على ذلك بان أورث مرضاً أو موتاً أوهماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محمودا " [2].

وقال ابن حجر: " إن الخوف من المقامات العلية وهو من لوازم الإيمان قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة، آية: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر، آية: ٢٨].

والمؤمن الصادق مع إحسانه الظن بالله إلا أنه يخاف من ذنوبه ويخشى على نفسه الردى وعن انس ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: " كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ " [3].

---

(١) الجرجاني: علي بن محمد: التعريفات (مرجع سابق) ص١٠١.

(٢) ابن رجب الحنبلي: أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد: التخويف من النار، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩هـ. ص٢١.

(٣) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) ج٤ ص٩٣.

كما أن المؤمن ممتلئ قلبه بخوف الله تعالى رغم إحسانه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " سألت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ أهم الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ قَالَ: لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ"[١].

وأن مخافة الله إذا استقرت في قلب المؤمن دفعته للسير في الطريق الصحيح، والاجتهاد في طاعة الله تعالى.

فعن أبي هريرة ﷺ يقول قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ"[٢].

إن استقرار الخوف في قلب المؤمن يصرفه عن خوف ما سواه، وهذا رسول الله ﷺ مثلا تطبيقياً وواقعاً عملياً يعيش حقيقة الخوف الذي يقرب من الله تعالى، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: " مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ قَالَتْ وَكَانَ إذا رَأَى غَيْمًا أو رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ النَّاسَ إذا رَأَوا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إذا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ: مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾"[٣].

وهدف الشيطان إضلال الإنسان، ويحصل الضلال متى ما زال الخوف قال ذو النون: " الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) ج١٠ ص٤٥٤.
(٢) المرجع السابق ج٨ ص٤٨٩.
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١٥ ص٥٥.

عن الطريق "[1].

ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء قال عمر بن عبد العزيز: " من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خاف من كل شيء "[2].

كما قال الفضيل بن عياض – رحمه الله –: " إن خفت الله لم يضرك احد وان خفت غير الله لم ينفعك احد "[3].فهنيئا لمن امتلاء قلبه بخوف الله وحبه ورجائه فهو في خير عظيم وحصن أمين.

سادساً: تذكر قاعدة نافعة:

من خرج من طاعة الله عكس عليه مقصوده شرعاً وقدراً دنيا وآخره، فإن الشيطان أبى السجود لآدم وهو يروم العزة فعامله الله بعكس مقصوده فطرده من رحمته وأخرجه من جنته وأحل عليه لعنته وغضبه.

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: " معاقبة الرب سبحانه من خرج من طاعته بأن يعكس عليه مقصوده شرعاً وقدراً دنياً وآخرة، وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده بأن من مكر بالباطل مكر به ومن إحتال أُحتيل عليه ومن خادع غيره خدع.

فلا تجد ماكراً إلا هو ممكور به ولا مخادعا إلا وهو مخدوع ولا محتالا إلا وهو محتال عليه "[4].

---

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (مرجع سابق) ج٢ ص٥٧٧.

(٢) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول. ج٣ ص٣٠٦.

(٣) المرجع السابق ج٣ ص٢٠٧.

(٤) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج١ ص٣٠٠.

سابعاً: محبة الله :

من أراد النجاة من الشيطان وعداوته واليقظة لأساليبه وطرقه والخلاص والنجاة من آثاره فعليه بمحبة الله تعالى.

قال ابن القيم مبيناً أن حركات وسكنات العالم كله مبنية على الحب والبغض: "فإذا عرف هذا فأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة منها مبدأ جميع الأفعال والحركات كما أن البغض والكراهة مبدأ كل ترك وكف"[1].

بل يقرر في موضع آخر أن حركات العالم السفلي والعلوي سببها وغايتها في الوقت ذاته هو الحب.

قال "وإذا عرف هذا فكل حركة في العالم العلوي والسفلي فسببها المحبة والإرادة وغايتها المحبة والإرادة"[2].

ولما كان مدار النجاة على الحب والإنسان لا ينفك عن كونه يبحث عن محبوب فليعلم أن كل حب سوى حب الله ورسوله فمآله للزوال قال ابن القيم:

"فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له، فتحرك محب الرحمن ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان ومحب المتاع والأثمان ومحب الأوثان والصلبان ومحب النسوان والمردان ومحب الأوطان ومحب الإخوان، فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء؛ فيتحرك عند ذكر محبوبه منها دون غيره، ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ومحب قران الشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ولا عند تلاوة القرآن حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا وتحرك باطنه وظاهره شوقا إليه وطربا لذكره.

فكل هذه المحاب باطله مضمحلة سوى محبة الله وما والاها، من محبة رسوله،

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج٢ ص١٠٠.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص١٠١.

وكتابه ودينه وأوليائه؛ فهذه المحبة تدوم وتدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت بـه، وفضلها على سائر المحاب كفضل من تعلقت به على ما سواه. وإذا انقطعت علائـق المحبين وأسباب توادهم وتحابهم لم تنقطع أسبابها قال تعـالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة، آية: ١١٦] " [١].

كما قرر – رحمه الله – أن مدار كتب الله على تحقيق هذه المحبة وتجريدها:

حيث قال: " ومدار كتب الله تعالى المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن محبة ما يضـادها وملازمتهـا وضـرب الأمثـال والمقـاييس لأهل المحبتين، وذكر قصصهم ومآلهم ومنازلهم وثـوابهم وعقـابهم ولا يجـد حـلاوة الإيمان بل لا يذوق طعمه إلا من كان الله ورسوله أحب إليـه ممـا سـوأهما كمـا في الصحيحين من حديث انس ﷺ عن النبي ﷺ قال: " ثلاث من كن فيه وجـد حـلاوة الإيمان، وفي لفظ: لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث: مـن كـان الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكـره أن يرجـع في الكفـر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار " [٢].

وقال – رحمه الله – : " وأصل العبادة وتمامها وكمالها هو المحبة وإفـراد الـرب سبحانه بها فلا يشرك العبد فيها غيره " [٣].

إن الشيطان يحبب الإنسان في شهوات فانية ودنيا رذيلة ويحبب في نفسه طرق البدع والشركيات وسؤال غير الله تعالى فلـو صـرف النـاس حـبهم لله تعـالى لكـان رجاؤهم فيه وثقتهم بمنهجه وشرعه.

لقد غفل كـثير مـن النـاس عـن العنايـة بمحبـة الله تعـالى واشـتغلوا بمحـاب وشهوات قد زينها لهم الشيطان فمن أراد النجـاة فـإن طريـق محبـة لله طريقهـا والله

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمـد بـن أبـو بكـر: إغاثـة اللهفـان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج٢ ص١٠٧.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص١٠٨.

(٣) المرجع السابق ج٢ ص١٠٨.

الموفق.

ثامنا: تحقيق التوحيد:

إن من أنجح الأساليب وأقواها وأنفعها للعبد في الخلاص من الشيطان التعرف على التوحيد ومعنى لا إله إلا الله ثم تطبيقها قولا وعملا فإنه على قدر كمال توحيد العبد يكون بعد الشيطان منه وعلى قدر ضعف توحيد الإنسان يكون تمكن الشيطان منه ولذا هو أبعد ما يكون من أهل التوحيد واقرب ما يكون من أهل الشرك والكفر والنفاق.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: " والكلمة المتضمنة لهذين الأصلين هي الكلمة التي لا يدخل في الإسلام إلا بها ولا يعصم دمه وماله إلا بالإتيان بها ولا ينجو من عذاب الله إلا بتحقيقها بالقلب واللسان وذكرها أفضل الذكر كما في صحيح ابن حبان عنه ﷺ: " أفضل الذكر لا اله إلا الله ".

والآية المتضمنة لها ولتفضيلها سيدة أي القرآن والسورة المختصة بتحقيقها تعدل ثلث القران بها أرسل الله سبحانه جميع رسله وأنزل جميع كتبه وشرع جميع شرائعه قياما بحقها وتكميلا لها. وهي التي يدخل بها العبد على ربه ويصير في جواره وهي مفزع أوليائه وأعدائه إذا مسهم الضر في البر والبحر فزعوا إلى توحيده وتبرءوا من شركهم ودعوه مخلصين له الدين وأما أولياؤه فهي مفزعهم في شدائد الدنيا والآخرة.

ولهذا كانت دعوات المكروب: " لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا اله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم " [١].

ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه: " لا إله إلا أنت

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) حديث ٥٩٨٦ ج٥ ص٢٣٣٦.

سبحانك إني كنت من الظالمين" [١].

وقال ثوبان ﷺ: "كان رسول الله ﷺ إذا راعه أمر قال: الله ربي لا أشـرك بـه شيئا" وفي لفظ قال: "هو الله لا شريك له" [٢].

وقالت أسماء بنت عميس ﷺ : "علمني رسـول الله ﷺ كلمـات أقولهـا عنـد الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئا" [٣].

وفي الترمذي من حديث إبراهيم في بطن الحوت: لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها مسلم في شيء إلا استجيب له "[٤] .

وفي مسند الإمام احمد مرفوعا: "دعوات المكروب: اللهم رحمتـك أرجـو فـلا تكلني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت" [٥].

فالتوحيد ملجأ الطالبين ومفزع الهـاربين ونجـاة المكـروبين وغيـاث الملـهوفين وحقيقته إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع [٦].

ولذا كان أفضل الذكر لا اله إلا الله وهي أفضل ما ذكر الله به بل هـي ذكـر لنبينا المختار.

ولا إله إلا الله خير ما قاله محمد ﷺ وقاله النبيون من قبله وهي أفضل ذكـر

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) حديث ٣٥٠٥ ج٥ ص٥٢٩.
(٢) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي (مرجع سابق) حديث ١٠٤٩٣ ج٦ ص١٦٨.
(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبو داود (مرجع سابق) باب في الاستغفار حديث ١٥٢٥ ج٢ ص٨٧.
(٤) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) حديث ٣٥٠٥ ج٥ ص٥٢٩.
(٥) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) حديث ٢٠٤٤٧ ج٥ ص٤٢.
(٦) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج٢ ص١٠٨-١٠٩.

في يوم عرفه يوم أن يُرى الشيطان يبكي صغيرا حقيرا بسبب ما يرى من مغفـرة الله لعباده في ذلك الموقف وألسنتهم تلهج بكلمة التوحيد الخالص.

فتحقيق التوحيد هو الأسلوب المتميز والأصـلح في مواجهـة الشـيطان وإنمـا يجتهد الشيطان لإبطال التوحيد.

والمسلم بالتوحيد يبطل كيد الشيطان.

ولذا يجب أن يتعرف المسلم على حقيقة التوحيد.

قال الجرجاني: "التوحيد ثلاثة أشياء معرفة الله بالربوبية والإقرار بالوحدانيـة ونفي الأنداد عنه جملة" (١).

وقال ابن منظور: "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد" (٢).

وقال صاحب البصائر: "التوحيد الحقيقي الذي هو سبب النجاة ومادة السعادة في الدار الآخرة هو ما بينه الله تعالى وهدانا إليه في كتابه العزيز: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٨] (٣).

وقال ابن عبد الوهاب: "التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده" (٤).

وقال ابن تيميه – رحمه الله –: "والتوحيد هو أصل الدين الـذي لا يقبـل الله من الأولين والآخرين دينا غيره وبه أرسل الله الرسل وانـزل الكتـب كمـا قـال الله تعـــــالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، (مرجع سابق) ص٧٣.
(٢) ابن منظور: محمد بن مكرم: لسان العرب، (مرجع سـابق) مـادة (وحد) ج٣ ص٤٥٠.
(٣) صـالح بـن عبـدالله بـن حميـد، عبـدالرحمن بـن محمـد بـن عبدالرحمن بن ملوح: نضرة النعيم فـي مكـارم أخـلاق الرسـول الكريم، (مرجع سابق) ج٤ ص١٣٠٠.
(٤) مجموعة التوحيد، الرسالة الثالثة ص٧٠.

[سورة الزخرف، آية: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، آية: ٢٥]. وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة هود، آية: ٥٠]"[1].

وقال شارح العقيدة الطحاوية: "هذه كلمه التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر"[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٥٩] وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[سورة الأعراف، آية: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل، آية: ٣٦] ولهذا كان أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله"[3].

وهكذا يتقرر أن التوحيد أوجب الواجبات لذا كان غاية ما يطلبه إبليس من الإضلال أن يصل بالعبد إلى مرحلة الشرك بالله تعالى وهي الدرجة التي يرتضيها

---

(١) صالح بن عبدالله بن حميد، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (مرجع سابق) ج٤ ص١٣٠٤.

(٢) الدمشقي، علي بن علي بن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، الطبعة الأولى، نشر مكتبة دار البيان: دمشق، توزيع مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤٠٥هـ، تحقيق بشير محمد عيون. ص١٠٩-١١١.

(٣) الدمشقي، علي بن علي بن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، (مرجع سابق) ص٧٧-٧٨.

والمرتبة التي يرومها فكان الواجب على العبد المسلم تحقيق التوحيد قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٠٠].

وهكذا يزين الشيطان الشرك للناس الذي هو ضد التوحيد ويدعوهم له قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النمل، آية: ٢٤].

ومن حقق التوحيد فمصيره ومآله إلى جنة الخلد برحمة الله وفضله ومنته عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما، ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة، قال: فترش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة"(١).

ولذا كان أعظم ما يحترز به من الشيطان قراءة سورة الإخلاص قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص، آية: ١]: "يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على احد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله"(٢).

فاحرص أخي المسلم على تحقيق التوحيد لتنال رحمة الله وتحترز به من

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) حديث رقم ٢٥٩٧ ج ٤ ص٧١٣.

(٢) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج٤ ص٦٠٩.

الشيطان الرجيم.

تاسعا: اليقين:

سبق معنا أن إعمال العقل وتقديم الرأي على الأمر والنهي سبب في هلاك الشيطان وتقرر معنا أيضاً أن إعمال الرأي وتقديمه على النصوص الشرعية من آثار الشيطان على العباد والذين وقعوا في فتنة الشبهات وتلاعبت بهم الشياطين في ميادين البدع والخرافات أوتوا من ضعف يقينهم فلا تدفع الشبهات إلا باليقين.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: "وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل.

فالأول: أصل فتنة الشبهة. والثاني: أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات تدفع باليقين وفتنة الشهوات تدفع بالصبر ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة، آية: ٢٤].

فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين وجمع بينهما أيضاً في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر، آية: ٣].

فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات وبالصبر الذي يكف عن الشهوات وجمع بينهما في قوله: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [سورة ص، آية: ٤٥].

فالأيدي: القوى والعزائم في ذات الله والأبصار البصائر في أمر الله وعبارات السلف تدور على ذلك.

قال ابن عباس: "أولي القوه في طاعة الله والمعرفة بالله" وقال الكلبي: "أولي القوة في العبادة والبصر فيها" وقال مجاهد "الأيدي القوة في طاعة الله والأبصار

البصر في الحق وقال سعيد بن جبير:" الأيدي القوة في العمل والأبصار بصرهم بما هم فيه من دينهم " وقد جاء في حديث مرسل: " إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات "[1] فبكمال العقل والصبر تدفع فتنه الشهوة وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة والله المستعان ".

عاشرا: الصبر :

الشيطان يسعى لإغواء الإنسان من خلال إيقاعه في الشهوات فيحتاج الإنسان لصفة الصبر كما أن الشيطان يثير انفعالات الإنسان فيدفعه للغضب فهو محتاج للصبر والشيطان يسعى لتثبيط الإنسان عن طاعة الله تعالى ولكي يؤدي الإنسان ما أمر به من عبادات فهو محتاج للصبر وعند حلول المصائب وجريان أقدار الله تعالى على العباد يأمر الشيطان بشق الثياب ولطم الخدود فيحتاج الإنسان للصبر وعند حلول الأمراض والمصائب في الأبدان والأموال وغير ها يأمر الشيطان الإنسان بالذهاب للسحرة والكهان بحثا عن تفريج الكربات وتخفيف المصائب والملمات وهنا يحتاج الإنسان إلى الصبر.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: " واصل كل فتنه إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل.

فالأول: أصل فتنة الشبهة. والثاني: أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات تدفع باليقين وفتنة الشهوات تدفع بالصبر ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة، آية: ٢٤].

فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين وجمع بينهما أيضاً في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر، آية: ٣].

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج٢ ص١٣٣.

فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات وبالصبر الذي يكف عن الشهوات وجمع بينهما في قوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [سورة ص، آية: ٤٥]. فالأيدي: القوى والعزائم في ذات الله والأبصار البصائر في أمر الله وعبارات السلف تدور على ذلك.

قال ابن عباس: "أولي القوه في طاعة الله والمعرفة بالله" وقال الكلبي: "أولي القوة في العبادة والبصر فيها" وقال مجاهد "الأيدي القوة في طاعة الله والأبصار البصر في الحق وقال سعيد بن جبير:" الأيدي القوه في العمل والأبصار بصرهم بما هم فيه من دينهم" وقد جاء في حديث مرسل: "إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات" فبكمال العقل والصبر تدفع فتنه الشهوة وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة والله المستعان"[1].

أحد عشر: التربية على الاكتساء والاحتشام وستر العورات:

بدأ إبليس بتعرية أدم وحواء وانتزع لباسهما بدعوتهما للأكل من الشجرة.

قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ [سورة طه، آية:١٢١-١٢٢].

وقال تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[سورة الأعراف، آية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج٢ ص١٣٣.

﴿أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٧].

يقول سيد - رحمه الله - عند قوله تعالى: "﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٣١]. وفي مواجهة مشهد العري الذي أعقب الخطيئة ومواجهة العري الذي كان يزاوله المشركون في الجاهلية يذكر السياق في هذا النداء نعمة الله على البشر وقد علمهم ويسر لهم، وشرع لهم كذلك، اللباس الذي يستر العورات المكشوفة، ثم يكون زينة - بهذا الستر - وجمالاً، بدل قبح العري وشناعته - ولذلك يقول: (أَنزَلۡنَا) أي: شرعنا لكم في التنزيل. واللباس قد يطلق على ما يواري السوأة وهو اللباس الداخلي. والرياش قد يطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به، وهو ظاهر الثياب. كما قد يطلق الرياش على العيش الرغيد والنعمة والمال.. وهي كلها معان متداخلة ومتلازمة:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٦].

كذلك يذكر هنا (وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ) ويصفه بأنه (خَيۡرٞۚ):

(وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)..

قال عبد الرحمن بن أسلم: (يتقي الله فيواري عورته، فذاك لباس التقوى)..

فهناك تلازم بين شرع الله واللباس لستر العورات والزينة، وبين التقوى.. كلأهما لباس. هذا يستر عورات القلب ويزينه. وذاك يستر عورات الجسم ويزينه. وهما متلازمان. فعن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه. ومن لا يستحي من الله ولا يتقيه لا يهمه أن يتعرى وأن يدعو إلى العري.. العري من الحياء والتقوى، والعري من اللباس وكشف السوأة!

إن ستر الجسد حياء ليس مجرد اصطلاح وعرف بيئي - كما تزعم الأبواق

المسلطة على حياء الناس وعفتهم لتدمير إنسانيتهم، وفق الخطة اليهودية البشعة التي تتضمنها مقررات حكماء صهيون - إنما هي فطرة خلقها الله في الإنسان؛ ثم هي شريعة أنزلها الله للبشر؛ وأقدرهم على تنفيذها بما سخر لهم في الأرض من مقدرات وأرزاق.

والله يذكر بني آدم بنعمته عليهم في تشريع اللباس والستر، صيانة لإنسانيتهم من أن تتدهور إلى عرف البهائم! وفي تمكينهم منه بما يسر لهم من الوسائل: (**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**)..

ومن هنا يستطيع المسلم أن يربط بين الحملة الضخمة الموجهة إلى حياء الناس وأخلاقهم؛ والدعوة السافرة لهم إلى العري الجسدي - باسم الزينة والحضارة والمودة! - وبين الخطة الصهيونية لتدمير إنسانيتهم، والتعجيل بانحلالهم، ليسهل تعبيدهم لملك صهيون! ثم يربط بين هذا كله والخطة الموجهة للإجهاز على الجذور الباقية لهذا الدين في صورة عواطف غامضة في أعماق النفوس! فحتى هذه توجه لها معاول السحق، بتلك الحملة الفاجرة الداعرة إلى العري النفسي والبدني الذي تدعو إليه أقلام وأجهزة تعمل لشياطين اليهود في كل مكان! والزينة (الإنسانية) هي زينة الستر، بينما الزينة (الحيوانية) هي زينة العري.. ولكن (الآدميين) في هذا الزمان يرتدون إلى رجعية جاهلية تردهم إلى عالم البهيمة.

فلا يتذكرون نعمة الله بحفظ إنسانيته وصيانتها!!!

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ

ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٧-٣٠].

إنه النداء الثاني لبني آدم، في وقفة التعقيب على قصة أبويهم، وما جرى لهما مع الشيطان؛ وعلى مشهد العري الذي أوقفهما فيه عدوهما، بسبب نسيانهما أمر ربهما والاستماع إلى وسوسة عدوهما.

وهذا النداء يصبح مفهوماً بما قدمناه من الحديث عن تقاليد الجاهلية العربية في حكاية العري عند الطواف بالبيت؛ وزعمهم أن ما وجدوا عليه آباءهم هو من أمر الله وشرعه! "[1].

يقول السعدي - رحمه الله -: "يقول تعالى، محذرا لبني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ) بأن يزين لكم العصيان، ويدعوكم إليه، ويرغبكم فيه، فتنقادون له (كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ) وأنزلهما من المحل العالي إلى أنزل منه، فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك، ولا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم، إن استطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن تلبسوا لأمَةَ الحرب بينكم وبيْنه، وأن لا تغفُلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم.

فـ (إِنَّهُۥ) يراقبكم على الدوام، و(يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ) من شياطين الجن(مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ) فعدم الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان"[2].

كما يقول الخازن في تفسيره: "قوله تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٢١١.
(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٦.

أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ) قيل: هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى: لا يخدعنكم بغروره ولايضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وإنما ذكر قصة آدم هنا وشدة عداوة إبليس له ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ) يعني آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى أن من قدر على إخراج أبويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبأن يقدر على فتنتكم بطريق الأولى فحذر الله عز وجل بني آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الأفعال الرديئة في قلوب بني آدم فهذه فتنته التي نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها.

قوله تعالى: (يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) إنما أضاف نزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يباشر ذلك لأن نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فأسند إليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الأظفار تذكرة وزينة ومنافع، وقال وهب بن منبه – رحمه الله تعالى –: كان لباس آدم وحواء نوراً، وقال مجاهد: كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل إن لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول أقرب لأن إطلاق اللباس ينصرف إليه ولأن النزع لا يكون إلا بعد اللبس (لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ) يعني: ليرى آدم عورة حواء وترى عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوأة بعض[1].

وهنا وقفه لتأمل التعبير القرآني في قوله تعالى: (يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا).

انظر كيف يعبر القرآن، عن الكيفية التي تسقط بهما ملابس آدم وحواء إنها تخلع خلعا وتنزع نزعا والله تعالى نسب نزع الملابس للشيطان وكأنه يقوم بهذا الفعل

---

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٣ ص١١.

على الحقيقة فهو يتولى نزع الثياب بيديه لتنكشف عوراتهما إنه تعبير فيه من الفظاعة ما يدعو الإنسان لليقظة وعدم الاسترسال مع الشيطان والاستجابة له بتغيير الملابس الساترة بالملابس العارية على الحقيقة فكم نزع من الملابس عن النساء والرجال فتنظر إلى المرأة أو الرجل وقد لبس أو لبست ما يخجل من لبسه منفردا أو مع زوجه فكيف به أمام الناس: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الله المستعان.

(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) يعني أن إبليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله إنما أعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضاً، وقال الليث: كل جيل من جن أو إنس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله أي من هو من نسله، وحكى أبو عبيدة عن أبي يزيد القبيل: ثلاثة فصاعداً من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو أب واحد. وقال الطبري: قبيله يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن. وقال مجاهد: الجن والشياطين وقال ابن يزيد: قبيله نسله. وقال ابن عباس رضي عنهما: هو ولده وقوله (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) يعني أنتم يا بني آدم، قال العلماء رحمهم الله: إن الله تعالى خلق في عيون الجن إدراكاً يرون بذلك الإدراك الإنس ولم يخلق في عيون الإنس هذا الإدراك فلم يروا الجن. وقالت المعتزلة الوجه في أن الإنس لا يرون الجن ورقة أجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن للإنس كثافة أجسام الإنس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضاً أن الله تعالى قوى شعاع أبصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضاً ولو جعل في أبصارنا هذه القوة لرأيناهم "[1].

يقول سيد - رحمه الله - مبينا أن كشف العورات وعدم التستر وراءه

(١) الشيحي، علي بن محمد: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٣ ص١١.

الشيطان وحزبه: " والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوأتها الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها ومواراتها.. والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى، ومن الحياء من الله ومن الناس، والذين يطلقون ألسنتهم وأقلامهم وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذه المحاولة - في شتى الصور والأساليب الشيطانية الخبيثة - هم الذين يريدون سلب (الإنسان) خصائص فطرته، وخصائص (إنسانيته) التي بها صار إنساناً. وهم الذين يريدون إسلام الإنسان لعدوه الشيطان وما يريده به من نزع لباسه وكشف سوأته! وهم الذين ينفذون المخططات الصهيونية الرهيبة لتدمير الإنسانية وإشاعة الانحلال فيها لتخضع لملك صهيون بلا مقاومة. وقد فقدت مقوماتها الإنسانية!

إن العري فطرة حيوانية. ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان. وإن رؤية العري جمالاً هو انتكاس في الذوق البشري قطعاً. والمتخلفون في أواسط إفريقية عراة. والإسلام حين يدخل بحضارته إلى هذه المناطق يكون أول مظاهر الحاضرة اكتساء العراة! فأما في الجاهلية الحديثة (التقدمية) فهم يرتكسون إلى الوهدة التي ينتشل الإسلام المتخلفين منها، وينقلهم إلى مستوى (الحضارة) بمفهومها الإسلامي الذي يستهدف استنقاذ خصائص الإنسان وإبرازها وتقويتها.

والعري النفسي من الحياء والتقوى – وهو ما تجتهد فيه الأصوات والأقلام وجميع أجهزة التوجيه والإعلام – هو النكسة والردة إلى الجاهلية. وليس هو التقدم والتحضر كما تريد هذه الأجهزة الشيطانية المدربة الموجهة أن توسوس!

وقصة النشأة الإنسانية في القرآن توحي بهذه القيم والموازين الأصيلة وتبينها خير بيان والحمد لله الذي هدانا إليه وأنقذنا من وسوسة الشيطان ووحل الجاهلية!!!" [١].

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص١٢٧٥.

كما يقول أيضاً رحمه الله: "لقد كان النداء الأول تذكيراً لبني آدم بذلك المشهد الذي عاناه أبواهم؛ وبنعمة الله في إنزال اللباس الذي يستر العورة والرياش الذي يتجمل به.. أما هذا النداء الثاني فهو التحذير لبني آدم عامة وللمشركين الذين يواجههم الإسلام في الطليعة. أن يستسلموا للشيطان، فيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد؛ فيسلمهم إلى الفتنة - كما فعل مع أبويهم من قبل إذ أخرجهما من الجنة ونزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما - فالعري والتكشف الذي يزاولونه - والذي هو طابع كل جاهلية قديماً وحديثاً – هو عمل من أعمال الفتنة الشيطانية، وتنفيذ لخطة عدوهم العنيدة في إغواء آدم وبنيه؛ وهو طرف من المعركة التي لا تهدأ بين الإنسان وعدوه. فلا يدع بنو آدم لعدوهم أن يفتنهم؛ وأن ينتصر في هذه المعركة، وأن يملأ منهم جهنم في نهاية المطاف!"[(1)].

ومن عجيب الجاهلية أنها تعير بالاكتساء وتتعبد بالعري يقول سيد رحمه الله: "ومن عجيب ما روي من حال المشركين الذين خوطبوا بهذه الآيات أول مرة؛ ووجه إليهم هذا الاستنكار الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٣٢]. ما رواه الكلبي قال: "لما لبس المسلمون الثياب، وطافوا بالبيت عيرهم المشركون بها.. فنزلت الآية.."

فانظر كيف تصنع الجاهلية بأهلها! ناس يطوفون ببيت الله عرايا؛ فسدت فطرتهم وانحرفت عن الفطرة السليمة التي يحكيها القرآن الكريم عن آدم وحواء في الجنة: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٢]. فإذا رأوا المسلمين يطوفون بالبيت مكسوين، في زينة الله التي أنعم بها على البشر؛ لأرادته بهم الكرامة والستر؛ ولتنمو فيهم خصائص فطرتهم الإنسانية في سلامتها وجمالها الفطري، وليتميزوا عن العري الحيواني.. الجسمي

---

(١) المرجع السابق ج٣ ص٢١٢.

والنفسي.. إذا رأوا المسلمين يطوفون ببيت الله في زينة الله وفق فطرة الله "عيروهم" !إنه هكذا تصنع الجاهلية بالناس"[1].

ويقول أيضاً في نفس السياق - رحمه الله -: "هكذا تمسخ فطرهم وأذواقهم وتصوراتهم وقيمهم وموازينهم! وماذا تصنع الجاهلية الحاضرة بالناس في هذا الأمر غير الذي فعلته بالناس في جاهلية المشركين العرب؟ وجاهلية المشركين الإغريق؟ وجاهلية المشركين الرومان؟ وجاهلية المشركين الفرس؟ وجاهلية المشركين في كل زمان وكل مكان؟!

ماذا تصنع الجاهلية الحاضرة بالناس إلا أن تعريهم من اللباس، وتعريهم من التقوى والحياء؟ ثم تدعو هذا رقياً وحضارة وتجديداً؛ ثم تعير الكاسيات من الحرائر العفيفات المسلمات، بأنهن (رجعيات)، (تقليديات)، (ريفيات) !

المسخ هو المسخ. والانتكاس عن الفطرة هو الانتكاس. وانقلاب الموازين هو انقلاب الموازين. والتبجح بعد ذلك هو التبجح.. ﴿أَتَوَاصَوْاْبِهِۦ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾.

وما الفرق كذلك في علاقة هذا العري، وهذا الانتكاس، وهذه البهيمية، وهذا التبجح، بالشرك، وبالأرباب التي تشرع للناس من دون الله؟

لئن كان مشركوا العرب قد تلقوا في شأن ذلك التعري من الأرباب الأرضية التي كانت تستغل جهالتهم وتستخف بعقولهم، لضمان السيادة لها في الجزيرة.. ومثلهم بقية الجاهليات القديمة التي تلقت من الكهنة والسدنة والرؤساء.. فإن مشركي اليوم ومشركاته يتلقون في هذا عن الأرباب الأرضية كذلك.. ولا يملكون لأمرهم رداً..

إن بيوت الأزياء ومصمميها، وأساتذة التجميل ودكاكينها، لهي الأرباب التي تكمن وراء هذا الخبل الذي لا تفيق منه نساء الجاهلية الحاضرة ولا رجالها كذلك!

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٢١٦.

إن هذه الأرباب تصدر أوامرها، فتطيعها القطعان والبهائم العارية في أرجاء الأرض طاعة مزرية! وسواء كان الزي الجديد لهذا العام يناسب قوام أية امرأة أولا يناسبه، وسواء كانت مراسم التجميل تصلح لها أولا تصلح، فهي تطيع صاغرة.. تطيع تلك الأرباب. وإلا "عيرت" من بقية البهائم المغلوبة على أمرها!

ومن ذا الذي يقبع وراء بيوت الأزياء؟ ووراء دكاكين التجميل؟ و وراء سعار العري والتكشف؟ ووراء الأفلام والصور والروايات والقصص، والمجلات والصحف، التي تقود هذه الحملة المسعورة.. وبعضها يبلغ في هذا إلى حد أن تصبح المجلة أو القصة ماخوراً متنقلاً للدعارة؟!

من الذي يقبع وراء هذا كله؟

الذي يقبع وراء هذه الأجهزة كلها، في العالم كله.. يهود..

يهود يقومون بخصائص الربوبية على البهائم المغلوبة على أمرها! ويبلغون أهدافهم كلها من إطلاق هذه الموجات المسعورة في كل مكان.. أهدافهم من تلهية العالم كله بهذا السعار؛ وإشاعة الانحلال النفسي والخلقي من ورائه، وإفساد الفطرة البشرية، وجعلها ألعوبة في أيدي مصممي الأزياء والتجميل! ثم تحقيق الأهداف الاقتصادية من وراء الإسراف في استهلاك الأقمشة وأدوات الزينة والتجميل وسائر الصناعات الكثيرة التي تقوم على هذا السعار وتغذيه!

إن قضية اللباس والأزياء ليست منفصلة عن شرع الله ومنهجه للحياة.. ومن ثم ذلك الربط بينها وبين قضية الإيمان والشرك

إنها ترتبط بالعقيدة والشريعة بأسباب شتى:

إنها تتعلق قبل كل شيء بالربوبية، وتحديد الجهة التي تشرع للناس في هذه الأمور، ذات التأثير العميق في الأخلاق والاقتصاد وشتى جوانب الحياة.

كذلك تتعلق بإبراز خصائص (الإنسان) في الجنس البشري، وتغليب الطابع (الإنساني) في هذا الجنس على الطابع الحيواني.

والجاهلية تمسخ التصورات والأذواق والقيم والأخلاق. وتجعل العري – الحيواني – تقدماً ورقياً. والستر – الإنساني – تأخراً ورجعية! وليس بعد ذلك مسخ لفطرة الإنسان وخصائص الإنسان.

وبعد ذلك عندنا جاهليون يقولون: ما للدين والزي؟ ما للدين وملابس النساء. ؟ ما للدين والتجميل؟.. إنه المسخ الذي يصيب الناس في الجاهلية في كل زمان وفي كل مكان!!!

ولأن هذه القضية التي تبدو فرعية، لها كل هذه الأهمية في ميزان الله وفي حساب الإسلام، لارتباطها أولاً بقضية التوحيد والشرك؛ ولارتباطها ثانياً بصلاح فطرة الإنسان وخلقه ومجتمعه وحياته، أو بفساد هذا كله.. فإن السياق يعقب عليها بإيقاع قوي مؤثر؛ يوقع به عادة في مواقف العقيدة الكبيرة.. إنه يعقب بتنبيه بني آدم، إلى أن بقاءهم في هذه الأرض محدود مرسوم؛ وأنه إذا جاء الأجل فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون "[(١)].

هذا نداء من الله تعالى لعباده يدعوهم فيه للاكتساء والاحتشام أما دعوة الشيطان فبدأت بهتك الأستار والتعري ونزع الثياب وإنك لتنظر اليوم في أحوال الناس فتجد فعل الشيطان وأثره ظاهراً جلياً في لباسهم كباراً وصغاراً ذكوراً وإناثاً.

وقد تربى المرأة ابنتها على لبس الملابس الفاضحة على مرأى ومسمع من أبيها فلا تشعر بالإثم والمعصية وأبوها لا يحرك ساكنا فتنشأ الأجيال وقد الفت العري فتكون فريسة سهله للشيطان وحزبه.

فمن أراد السلامة من أساليب الشيطان في الإضلال والسلامة من آثاره في الغواية فعليه بالاحتشام في اللباس وستر العورات وعلى الآباء والأمهات تقع المسؤولية أولا في تربية أبنائهم وتعويدهم على الستر والحياء والاحتشام وتعليمهم أن هذا فضيلة وتقدم ورقي وأن التأخر والتخلف يكون في التعري كما أن على

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٢١٧.

التجار مسئولية في اختيار الملبوسات التي تتوافق مع ما شرع الله كما أن على المؤسسات الإعلامية مسؤولية كبيرة في ذلك فواجبها إبراز التستر على أنه فضيلة والتعري على أنه رذيلة لا العكس الذي هو واقع أغلب مؤسسات الإعلام وعلى ولاة الأمر مسئولية الرقابة والاختيار والإذن بما أذن الله به ومنع ما منع الله من ملبوسات لا يقرها شرع ولا تقبلها فطره سليمة فعلاقة اللباس علاقة وطيدة بالعقيدة من جهة الربوبية من حيث أحقية الإذن والمنع وبالشريعة من جهة التطبيق ولها علاقة كبيرة بصلاح الفطرة وفسادها فبالتستر والاحتشام تزكو المجتمعات وترتقي وهذا ما دعا الله إليه ورغب فيه وأذن به.

اثنى عشر: التوبة والاستغفار:

بعد أن خالف أدم عليه السلام أمر الله ووقع في الخطأ سارع بالتوبة والاستغفار فأصبحت التوبة والاستغفار من أعظم الأساليب التي يواجه بها الشيطان ويدافع بها كيده ومكره فالإنسان خلق خطاء والتوبة والاستغفار تزيل أثر المعاصي مهما عظمت.

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٦-٣٧].

يقول السعدي رحمه الله: " فلم يزل عدوهما يوسوس لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه؛ حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه، (وَقَاسَمَهُمَآ) بالله (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ) فاغترا به وأطاعاه؛ فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد؛ واهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة.

(بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ) أي: آدم وذريته؛ أعداء لإبليس وذريته، ومن المعلوم أن العدو يجدُّ ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشر إليه بكل طريق؛ وحرمانه الخير بكل

طريق، ففي ضمن هذا تحذير بني آدم من الشيطان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة فاطر، آية: ٦]. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[سورة الكهف، آية: ٥٠].

ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض، فقال: (وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) أي: مسكن وقرار، (وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ) انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة مؤقتة عارضة، ليست مسكنا حقيقيا، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار "[1].

كما يقول – رحمه الله تعالى –: " (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ) أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله، (مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ) وهي قوله: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا) الآية، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته، (فَتَابَ) الله (عَلَيْهِ ۚ) ورحمه، (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ) لمن تاب إليه وأناب.

وتوبته نوعان: توفيقه أولاً، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانيا.

(ٱلرَّحِيمُ) بعباده، ومن رحمته بهم أن وفقهم للتوبة، وعفا عنهم وصفح "[2].

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [سورة طه، آية: ١٢١-١٢٢].

ويقول السعدي – رحمه الله – مبيناً توبة آدم واستغفاره بعد الوقوع في الذنب: " وأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٤٩-٥٠.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٥٠.

على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم.

(وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ) فبادرا إلى التوبة والإنابة، وقالا: (رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) فاجتباه ربه، واختاره، ويسر له التوبة، (فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ)، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم، ليلاً ونهاراً، (يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)" [1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠١].

وأيضاً يقول السعدي – رحمه الله – مؤكدا أن المؤمن إذا أوقعه الشيطان في الخطيئة يسارع بالتوبة والاستغفار: " ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب ومسه طائف من الشيطان فأذنب بفعل محرم أوترك واجب تذكر من أي باب أُتِيَ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب اللّه عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر اللّه تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه " [2].

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٥١٤

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٣١٢.

يقرر سيد – رحمه الله – أن الشيطان يستغل ضعف الإنسان، فيوقعه في الخطيئة، إلا أن المؤمن سرعان ما يؤوب ويعود إلى ربه تائبا مستغفرا: "وأمام النداء العلوي يتكشف الجانب الآخر في طبيعة هذا الكائن المتفرد.. إنه ينسى ويخطئ. إن فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان، إنه لا يلتزم دائماً ولا يستقيم دائماً.. ولكنه يدرك خطأه؛ ويعرف زلته؛ ويندم ويطلب العون من ربه والمغفرة.. إنه يثوب ويتوب؛ ولا يلح كالشيطان في المعصية، ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية!

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾..

إنها خصيصة (الإنسان) التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه.. الاعتراف، والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة به، وطلب رحمته. مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته.. وإلا كان من الخاسرين..

وهنا تكون التجربة الأولى قد تمت. وتكشفت خصائص الإنسان الكبرى. وعرفها هو وذاقها. واستعد – بهذا التنبيه لخصائصه الكامنة – لمزاولة اختصاصه في الخلافة؛ وللدخول في المعركة التي لا تهدأ أبداً مع عدوه "[1].

وكذلك التحصن من الشيطان ومحاربته تكون بالاستغفار، قال ابن تيمية – رحمه الله –: "يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بـ(لا إله إلا الله) والاستغفار".

كما قال رسول الله ﷺ : "إن الشيطان قال لرب العزة: وعزتك يا رب، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني "[2].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "خياركم كل مفتَّن تواب، قيل:

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٢٠١.
(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) حديث ١١٢٥٥ ج٣ ص٢٩.

فإن عاد ؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: فإن عاد ؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: فإن عاد ؟ قال: يستغفر الله ويتوب: قيل إلى متى ؟ قال: حتى يكـون الشـيطان هـو المحسور[1].

وقيل للحسن – رحمه الله – : ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود؟ ثم يستغفر ثم يعود ؟ فقال: " ود الشيطان لو ظفر منكم بهـذه فـلا تملـوا مـن الاستغفار "[2].

لقد أبى إبليس واستكبر وناقش وحاور وطلب الإنظار أما آدم عليـه السـلام فبعد الخطيئة تاب وأناب ورجع واستغفر وعندها فـاز آدم وانتصـر وخـاب إبلـيس وخسر.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٦].

ولذا على المربين والمتربين بل على كل فرد مسلم أن يديم التوبة والاسـتغفار فهي ديدن خير البشرية وأفضل الإنسانية رسول الله ﷺ حيث أنـه كـان يسـتغفر الله ويتوب إليه في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة، بل مئة مرة، والنصوص الداعيـة إلى التوبة والاستغفار ظاهرة بينة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والتوبة كما يقول الجرجاني: " هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب. وقيل: التوبة الاعتراف والندم والإقلاع "[3].

كما أن مـن أسمـاء الله العظيمـة التـواب، قـال تعـالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [سورةالنور، آية: ١٠].

---

(١) الحـواس، عبـدالمنعم بـن حـواس: عـداوة الشـيطان للإنسـان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم، (مرجع سابق) ص٥٧٥.
(٢) جامع العلوم والحكم (مرجع سابق) (٤١٥/١).
(٣) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، (مرجع سابق) ص٧٤.

والله دعا عباده للتوبة ورغبهم فيها، قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة، آية: ١٠٤].

والتوبة من صفات الأنبياء كما ورد ذلك في كتاب الله تعالى.

وقد حث رسول الله ﷺ على التوبة، وأنها تصقل القلب بعد الذنب، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا أخطأ نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيه؛ حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين، آية: ١٤]"[1].

والله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"[2].

ولا تخفى قصة قاتل المئة نفس، والذي بلغ مبلغا عظيما من الإجرام، وقد تاب الله عليه، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : "كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أهل الأرض، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أهل الأرض، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلى أَرْضِكَ، فإنها أَرْضُ سَوْءٍ،

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) حديث ٣٣٣٤ ج٥ ص٤٣٤.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) حديث ٢٧٥٩ ج٤ ص٢١١٣.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إلى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهم مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأرضَيْنِ فَإِلى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُولَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إلى الأرض الَّتِي أراد، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ "[1].

وإذا تقرّر أن الإنسان من طبعه الخطأ فالله يقبل التوبة منه، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"[2].

ومهما بلغت ذنوب الإنسان إذا صدق في توبته فالله يقبل تلك التوبة فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم"[3].

وكان ﷺ إمام التائبين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه! فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي، فإذا رَأَيْتُهَا أكثرتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [سورة النصر، آية: ١-٣]"[4].

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث ٢٨٦٦، ج٤ ص٢١١٨.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) حديث٢٤٩٩ ج٤ ص٦٥٩.

(٣) القزويني، عبدالله بن محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه (مرجع سابق) باب ذكر التوبة، حديث ٤٢٤٨ ج٢ ص١٤١٩.

(٤) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) باب ما يقال في الركوع والسجود حديث ٢٨٦٦ ج٤ ص٢١١٨.

وقال ابن القيم – رحمه الله –: "التوبة من أفضل مقامات السالكين، لأنها أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقها العبد أبداً، ولا يزال فيها إلى الممات، وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل بها ونزل بها فهي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما حاجته إليها في البداية كذلك "[(١)].

لذا أخي المربي والمتربي، عليك بلزوم التوبة، فهي مبدأ أبيك آدم ومنتهى كل عارف، والله الموفق.

الثالث عشر: العدل.

بعد أن ذكر الله تعالى قصة آدم مع إبليس في سورة الأعراف، وأطال الحديث بصوره مفصله وواضحة لا مثيل لها في القرآن، حذر بني آدم من الافتتان بالشيطان والانخراط في طريقه وإتباع خطواته، وأوضح قدرته على الرصد لبني آدم ورؤيتهم من حيث لا يرونه، ثم بين أن الشيطان له إتباع وأولياء يستجيبون لضلالاته ويحتجون بفعل الآباء ويتقولون على الله بغير علم بعد هذا كله أمر الله تعالى بالعدل، ثم ختم الله تعالى ببيان حال الناس، وأنهم فريقان لا ثالث لهما: فريقاً هدى، وهم أتباع منهجه، وفريقاً حق عليهم الضلالة، وهم أتباع الشيطان وأولياؤه، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٩-٣٠].

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: "فأصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر: هو الجهل والظلم.

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الطبعة الثانية، طبعة دار الكتاب العربي: بيروت، ١٣٩٣هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي. ج١ ص١٩٨.

وقد جعل الله سبحانه للعدل المأمور به حداً، فمن تجاوزه كان ظالماً معتدياً، وله من الذم والعقوبة بحسب ظلمه وعدوانه الذي خرج به عن العدل، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٣١]. وقال فيمن ابتغى سوى زوجته أو ملك يمينه: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [سورة المؤمنون، آية: ٧] وقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٩٠]"(١).

يقول سيد – رحمه الله تعالى –: "لقد أمر الله بالعدل والاعتدال في الأمور كلها، لا بالفحش والتجاوز، وأمر بالاستقامة على منهج الله في العبادة والشعائر، والاستمداد مما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ولم يجعل المسألة فوضى، يقول فيها كل إنسان بهواه، ثم يزعم أنه من الله. وأمر بأن تكون الدينونة خالصة له، والعبودية كاملة؛ فلا يدين أحد لأحد لذاته، ولا يخضع أحد لأمر أحد لذاته: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٩].

هذا ما أمر الله به، وهو يضاد ما هم عليه.. يضاد إتباعهم لآبائهم وللشرائع التي وضعها لهم عباد مثلهم، مع دعواهم أن الله أمرهم بها.. ويضاد العري والتكشف، وقد امتن الله على بني آدم بأنه أنزل عليهم لباساً يواري سوأتهم وريشاً يتجملون به كذلك.. ويضاد هذا الشرك الذي يزاولونه، بازدواج مصادر التشريع لحياتهم ولعبادتهم"(٢).

فعلاقة آخر الآية بأولها ظاهرة جلية حيث أن من اتخذ الشيطان ولياً من دون الله تعالى واتبعه واستنصر به كان أبعد عن العدل والقسط الذي أمر الله تعالى به. بل

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج٢ ص١١١.
(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٢١٤.

ما قامت السماوات والأرض إلا بالعدل.

الرابع عشر: الذكر :

إن الذكر هو الحصن الحصين للإنسان من الشيطان الرجيم، وهو من أعظم الأساليب للوقاية من عداوة الشيطان وشره، واجتناب آثاره المدمرة على الإنسان في الدنيا والآخرة.

يقول ابن تيمية مبينا أن ترك الذكر مبدأ الاعتقادات والإرادات الفاسدة: "... بل الشيطان يلتقم قلبه (أي: ابن آدم) فإذا ذكر الله ؛ خنس، وإذا غفل قلبه عن ذكره؛ وسوس، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغي، فيزينها له، [والشيطان وسواس خناس، إذا ذكر الله خنس، فإذا غفل عن ذكره وسوس، فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة، ومن ذكر الله تعالى: تلاوة كتابه، وفهمه، ومذاكرة العلم، كما قال معاذ بن جبل: "ومذاكرته التسبيح"[1]][2].

ويقول ابن تيميه – رحمه الله – مبينا أن الذكر يمنع الشيطان من دخول القلب وعند خلو القلب من الذكر تعشعش الشياطين:

[إن الذي قد علم بالسمع والعقل أنه "أي الآدمي" إذا فرغ قلبه من كل شيء حلت فيه الشياطين، ثم تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تتنزل على الكهان، فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

---

(١) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت. رقم٢٦٩ ج١ ص٢٤٠، الأصفهاني، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج١ ص٢٣٩.

(٢) ما بين المعقوفتين من مجموع الفتاوى (٣٤/٤).

[سورة الزخرف، آية: ٣٦-٣٧]] "[١] .

قال مجاهد: " الشيطان يكون على قلب الإنسان فإذا ذكر الله خنس "[٢].

ويقول قتادة: " الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا ذكر العبد ربه خنس "[٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠١]. وبغض النظر عن الكيفية إلا أن أثر الشيطان واقع على قلب الإنسان، والذكر يطرده ويبعده.

فذكر الله تعالى من أعظم ما ينجي العبد من الشيطان، وفي الحديث المعروف عن النبي ﷺ في الكلمات الخمس التي قام بها يحيى بن زكريا في بني إسرائيل قال: " أوصيكم بذكر الله، فان مثل ذلك مثل رجل طلبه العدو، فدخل حصن فامتنع به من العدو، فكذلك ذكر الله هو حصن ابن آدم من الشيطان "[٤].

يقول ابن القيم بعد أن ذكر هذا الحديث: " فقد اخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الناس، آية: ١].

---

(١) الأحمدي، عبدالإله: جمع وتحقيق ودراسة للمسائل والرسائل المروية عن أحمد بن حنبل =

= في العقيدة، الطبعة الأولى، دار طيبة، ١٤١٢هـ. ج٢ ص٢٥٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٣٠ ص٣٥٥.

(٣) الصنعاني، عبدالرزاق بن همام الحميري: تفسير القرآن (مرجع سابق) ج٢ ص٤١٠، البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل) (مرجع سابق) ج٨ ص٥٩٩.

(٤) ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، (مرجع سابق) رقم ١٥٥٠، النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم: المستدرك على الصحيحين (مرجع سابق) ج١ ص٤٢١.

فانه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس، والخناس الذي إذا ذكر العبد الله انخنس وتجمع وانقبض، وإذا غفل عن ذكر الله ألتقم القلب وألقى إليه الوساوس التي هي مبادئ الشر كله، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل "[1].

كما يقول ابن القيم: " فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع (طائر اصغر من العصفور) وكالذباب، ولهذا سمي (الوسواس الخناس)، أي: يوسوس في الصدور فإذا ذكر الله خنس أي كف وانقبض "[2].

وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس.

كما يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -: " الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل "[3].

يقول ابن الجوزي: " لا يزال الإنسان صريعا تحت الشيطان حتى يذكر الله ويتلو القرآن فحينئذ يستوي الإنسان قائماً ويخر الشيطان صريعاً، فمن شاء أن يكون

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: بدائع الفوائد (مرجع سابق) ج٢ ص٢٧٠.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: الوابل الصيب (مرجع سابق) ، ص٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٤.

العدو عن لحاقه بطيئاً، فليكن إلى ذكر الله والتلاوة سريعاً "[١].

وجاء في مدارج السالكين "قال بعض السلف: "إذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا ؟ فيقال: قد مسه الإنسي "[٢].

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [سورة الزخرف، آية: ٣٦].

يقول ابن جُزي: "ومعنى الآية: أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان "[٣].

وقال المراغي: "أي ومن يتعام عن ذكر الله وينهمك في لذات الدنيا وشهواتها تسلط عليه شياطين الإنس والجن، يزينون له أن يرتع في الشهوات، ويلغ في اللذات، فلا يألو جهدا في ارتكاب الآثام والمحرمات على ما جرت به سنتنا الكونيه "[٤].

يقول ابن الجوزي: "العذاب مصبوب على أهل سخط الله، والسخط حال على أهل معصية الله لازمه لمن الشيطان له ملازم، وإنما يلازم الشيطان من غشي عن ذكر الله، فاحذر الغفلة عن ذكر الله، فإنها أصل كل بلية، وجالبة كل رزية "[٥].

---

(١) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد: التذكرة في الوعظ، الطبعة الأولى، طبعة دار المعرفة: بيروت، ١٤٠٦هـ، تحقيق: أحمد عبدالوهاب فتيح. ص١٥٢.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (مرجع سابق) ج٢ ص٤٢٤.

(٣) المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، الطبعة الثالثة، طبعة دار الفكر: بيروت، ١٣٩٤هـ. ج٢٥ ص٨٩.

(٤) المرجع السابق ج٢٥ ص٨٩.

(٥) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد: التذكرة في الوعظ (مرجع سابق)، ص٦٦.

كما يقول ابن القيم: "الذاكر في حصن الذكر، فمتى غفل فتح باب الحصن، فولجه العدو، فيعسر عليه أو يصعب إخراجه"[1].

قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: "قل اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه"[2].

وهنا يقرر سيد – رحمه الله – أن الإنسان عندما يثور غضبه تحت تأثير الشيطان ونزغه فعلاج ذلك هو ذكر الله تعالى: "وقد يثور غضبه على جهالة الجهال وسفاهة السفهاء وحمق الحمقى، وإذا قدر عليها رسول الله ﷺ فقد يعجز عنها من وراءه من أصحاب الدعوة.. وعند الغضب ينزغ الشيطان في النفس، وهي ثائرة هائجة مفقودة الزمام!.. لذا يأمره ربه أن يستعيذ بالله؛ لينفثىء غضبه، ويأخذ على الشيطان طريقه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة فصلت، آية: ٣٦].

وهذا التعقيب: (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ).. يقرر أن الله سبحانه سميع لجهل الجاهلين وسفاهتهم؛ عليم بما تحمله نفسك من آذاهم.. وفي هذا ترضية وتسلية للنفس.. فحسبها أن الجليل العظيم يسمع ويعلم! وماذا تبتغي نفس بعدما يسمع الله ويعلم ما تلقى من السفاهة والجهل وهي تدعو إليه الجاهلين؟!

ثم يتخذ السياق القرآني طريقاً آخر للإيحاء إلى نفس صاحب الدعوة بالرضا

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: الفوائد، الطبعة الخامسة، تخريج وحواشي، أحمد راتب عرموش، طبعة دار النفائس، بيروت، ١٤٠٤هـ. ص٢٤٦.

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبو داود (مرجع سابق) ج٤ ص٣١٧، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي (مرجع سابق) ج٥ ص١٣٥.

والقبول، وذكر الله عند الغضب لأخذ الطريق على الشيطان ونزغه اللئيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[سورة الأعراف، آية: ٢٠١] وتكشف هذه الآية القصيرة عن إيحاءات عجيبة، وحقائق عميقة، يتضمنها التعبير القرآني المعجز الجميل.. إن اختتام الآية بقوله: (فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ) ليضيف معاني كثيرة إلى صدر الآية. ليس لها ألفاظ تقابلها هناك.. إنه يفيد أن مس الشيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة. ولكن تقوى الله ومراقبته وخشية غضبه وعقابه.. تلك الوشيجة التي تصل القلوب بالله وتوقظها من الغفلة عن هداه.. تذكر المتقين. فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم؛ وتكشفت الغشاوة عن عيونهم: (فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ).. إن مس الشيطان عمى، وإن تذكر الله إبصار.. إن مس الشيطان ظلمة، وإن الاتجاه إلى الله نور.. إن مس الشيطان تجلوه التقوى، فما للشيطان على المتقين من سلطان "[(١)].

كما يقرر – رحمه الله – أن إغواء الشيطان يمكن اتقاؤه بالذكر والإيمان: "ووسوسة الشيطان لا ندري نحن كيف تتم؛ لأننا لا ندري كنه الشيطان حتى ندرك كيفيات أفعاله، وكذا اتصاله بالإنسان وكيفية إغوائه. ولكننا نعلم – بالخبر الصادق وهو وحده المصدر المعتمد عندنا عن هذا الغيب – أنه إغواء على الشر يقع في صورة من الصور؛ وإيحاء بارتكاب المحظور يتم في هيئة من الهيئات. وأن هذا الإيحاء وذلك الإغواء يعتمدان على نقط الضعف الفطرية في الإنسان. وأن هذا الضعف يمكن اتقاؤه بالإيمان والذكر؛ حتى ما يكون للشيطان سلطان على المؤمن الذاكر؛ وما يكون لكيده الضعيف حينئذ من تأثير "[(٢)].

أيها المربي والمتربي أغرس في نفسك ومن حولك حب ذكر الله وليكن واقعا

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٣٤٦.
(٢) المرجع السابق ج٣ ص٢٠٠.

تعيشه في حياتك اليومية في جميع شؤونك فإذا لهج لسانك بذكر الله واطمئن قلبك لذكر الله فأنت في حفظ الله وكلائته وصونه ورعايته من الشيطان وحزبه.

الخامس عشر: الاعتراف بالذنب والإقرار به وهضم النفس ووصفها بالظلم والتضرع إلى الله:

لقد تأملت قصة آدم عليه السلام مع المعصية طويلا وقرأت كلام المفسرين حول هذه الآيات، فرأيت فيها ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٣]. رأيت فيها الاعتراف بالذنب من آدم عليه السلام والإقرار به وعدم تبرير المعصية، وقد أعفى المعتذرين عنه من عناء الاعتذار: (ربنا ظلمنا أنفسنا) يكفي هذا، ثم اظهر عليه السلام شدة حاجته لمغفرة ربه ورحمته: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور، آية: ٢١]. فقال ادم: (وان لم تغفر لي وترحمني) يا رب نحن بحاجه لمغفرتك ورحمتك (أنا وحواء) وستنزل بنا الخسارة، ويحل بنا البوار إن لم ترحمنا وتغفر لنا يا رب. فأورث هذا الاعتراف بالذنب والإقرار بظلم النفس وطلب المغفرة والرحمة: (فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه) لقد تاب الله على آدم، فيا الله لا تسأل بعدها عن حال آدم بعد هذه الآيات بل وأكثر من هذا: (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) الله اكبر بعد هذا الإقرار وهذا الانكسار يصطفي الله آدم ويختاره ويتوب عليه ويهديه، إنه الفوز والفلاح والنجاح بحق، فمن أراد السلامة من الشيطان وأساليبه فعليه بالاعتراف بالذنب والإقرار به، وهضم النفس ووصفها بالظلم كحال آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن

وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٠-٢٣].

يقول السعدي - رحمه الله - في قوله تعالى: "قَالَا (رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وأضررنا أنفسنا باقتراف الذنب، وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافاة من أمثال هذه الخطايا"[1].

كما يقول الخازن في تفسيره: "قوله عز وجل: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام، واعترافهما على أنفسهما بالذنب، والندم على ذلك، والمعنى: قالا يا ربنا، إنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها، (وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا) يعني وأنت يا ربنا إن لم تستر علينا ذنبنا، (وَتَرْحَمْنَا) يعني: وتتفضل علينا برحمتك، (لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) يعني من الهالكين.

قال قتادة: قال آدم: يا رب، أرأيت إن تبت إليك واستغفرتك، قال: إذا أدخلك الجنة.

وأما إبليس فلم يسأله التوبة، وسأله أن ينظره، فأعطى كل واحد منهما ما سأل، وقال الضحاك في قوله (رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا) قال: هي الكلمات التي تلقّاها آدم

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص٢٨٥.

عليه الصلاة والسلام، من ربه عز وجل "[1].

كما يخبر تعالى عمن انهزم يوم أحد عن النبي ﷺ وما حصل لهم من استزلال الشيطان، إلا أن الله عفا عنهم بعد ذلك، بسبب اعترافهم بذنوبهم واستغفارهم وتوبتهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٥٥].

قال الخازن في تفسيره: "قوله عز وجل: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ) أي انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين، فهو خطاب لمن كان مع النبي ﷺ من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلاً، وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الأنصار سبعة، فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ (إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ) أي طلب زلتهم كما يقال استعجله، أي، طلب عجلته، وقيل: حملهم على الزلة وهي الخطيئة، وذلك بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، لا أنه أمرهم بها (بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ) يعني: بمعصيتهم النبي ﷺ وتركهم المركز. وقيل: استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم، فكرهوا أن يقتلوا قبل إخلاص التوبة منها، وهذا اختيار الزجاج لأنه قال: لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا، وإنما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حالة يرضاها (وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ) يعني: ولقد تجاوز الله عن الذين تولّوا يوم التقى الجمعان، فلم يعاقبهم بذلك، وغفر لهم، وقيل: إن عثمان عوتب في هزيمة يوم أحد، فقال: إن ذلك وإن كان خطأ لكن الله قد عفا عنه، وقرأ

---

(١) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٣ ص٨.

هذه الآية(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) يعني لمن تاب وأناب، (حَلِيمٌ) لا يعجل العقوبة، ولا يستأصلهم بالقتل "[1].

وهذا وأشباهه فيه الاعتراف والإقرار بالذنب والخطأ، ولكن الاعتراف به والإقبال على الله والتوبة مذهبه لأثره.

كما يقول السعدي - رحمه الله تعالى -: "يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم (أحد) وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبة ومدخلة، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [سورة الحجر، آية: ٤٢]. ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة، وإلا فلو أخذهم لاستأصلهم.

(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) للمذنبين الخاطئين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصائب المكفرة، (حَلِيمٌ)لا يعاجل من عصاه، بل يستأن به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه.

ثم إن تاب وأناب قبل منه، وصيره كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه عيب، فلله الحمد على إحسانه "[2].

وإن التضرع إلى الله والانطراح بين يديه في السراء والضراء هو سبيل المؤمنين الصادقين، أما الذين قست قلوبهم وتحجرت أفئدتهم فهم من زين لهم الشيطان

---

(١) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج١ ص٤٨١.

(٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق) ج١ ص١٥٣.

طريق الغواية والضلال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ٤٢-٤٣].

يقول السعدي عن هذه الآية: "يقول تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ) من الأمم السالفين، والقرون المتقدمين، فكذبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا. (فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ) أي: بالفقر والمرض والآفات، والمصائب، رحمة منا بهم. (لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ) إلينا، ويلجئون عند الشدة إلينا.

(فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ) أي: استحجرت فلا تلين للحق. (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان"[(1)].

"قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ) في الآية محذوف، والتقدير ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلاً، فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوماً عند السامع، (فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ) يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس، وهو الشدة والمكروه، وقيل: البأساء، شدة الجوع، (وَٱلضَّرَّآءِ) يعني: الأمراض والأوجاع والزمانة، (لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ) يعني يخضعون ويتوبون، والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد، وأصله من الضراعة، وهي الذلة. ومقصود الآية، أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنه قد أرسل من قبله رسلاً إلى أقوام بلغوا في القسوة إلى أن أخذوا بالبأساء والضراء، وهي الشدة في النفس والمال، فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، ففيه تسلية للنبي ﷺ، (فَلَوۡلَآ) يعني: فهلا (إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ) معناه: نفي

---

(١) المرجع السابق ج١ ص١٥٦.

التضرع، فلم يتضرعوا، ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: ولكن غلظت قلوبهم، فلم تضرع ولم تخشع، بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني: من الكفر والتكذيب، وتزيين الشيطان إغواؤه بما في المعصية من اللذة. قال ابن عباس: يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها، فأصروا على معاصي الله عز وجل"[1].

إن مجرد الاعتراف بالذنب والإقرار به بمثابة رفع الراية البيضاء والاستسلام لله تعالى، وهذا ما حصل لآدم عليه السلام بعد الوقوع في الذنب. وهضم النفس ووصفها بالظلم هو الإقرار بطبيعة النفس البشرية دون استعلاء أو استكبار والتضرع إلى الله تعالى والتخشع والتذلل يمثل الانقياد والاستجابة للعلي القدير، وهذا أيضاً من الأساليب التربوية المهمة التي يمارسها المربي والمتربي في طريقه إلى الله تعالى.

السادس عشر: الإرادة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فالذي لا يملك إرادة لا يمكن أن ينتصر على عدوه، ولا يحقق مأموله فالحرب الشرسة لا يتحقق فيها الانتصار، إلا في ظل إرادة صادقة، وعزيمة جازمة، والإنسان في معركته الأبدية مع أعتى أعدائه الشيطان، يحتاج لأن يتسلح بهذه الإرادة في طريق عدائه الطويل، يقول سيد قطب - رحمه الله تعالى - : "المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته. ويبعد عن ربه"[2].

---

(١) الشيحي، علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن (مرجع سابق) ج٢ ص٣٨٨.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص٣٠.

ويقول رحمه الله تعالى: " وعرف الإنسان في فجر البشرية كيف ينتصر إذا شاء الانتصار، وكيف ينكسر إذا اختار لنفسه الخسارة، وبعد فلا بد من عودة إلى مطالع القصة. قصة البشرية الأولى.

لقد قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .. وإذن فآدم مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى، ففيم إذن كانت تلك الشجرة المحرمة؟ وفيم إذن كان بلاء آدم؟ وفيم إذن كان الهبوط إلى الأرض، وهو مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى؟

لعلني ألمح أن هذه التجربة كانت تربية لهذا الخليفة وإعداداً. كانت إيقاظا للقوى المذخورة في كيانه. كانت تدريباً له على تلقي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين "[1].

ويقول أيضاً: " وفي التصور الإسلامي إعلاء من شأن الإرادة في الإنسان، فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف والجزاء.. إنه يملك الارتفاع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه عن طريق تحكيم أرادته، وعدم الخضوع لشهواته، والاستعلاء على الغواية التي توجه إليه، بينما يملك أن يشقي نفسه ويهبط من عليائه، بتغليب الشهوة على الإرادة، والغواية على الهداية، ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه، وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم لا شك فيه، يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى. كما أن فيه تذكيراً دائماً بمفرق الطريق بين السعادة والشقاوة، والرفعة والهبوط، ومقام الإنسان المريد ودرك الحيوان المسوق "[2].

هكذا يتضح أن للإنسان إرادة يعتصم بها بعد الله تعالى في مواجهة عدوه دون ارتخاء واستسلام وكسل وتوان.

فأصحاب الإرادات القوية وأصحاب الهمم العالية يستعلون على شهوات

---

(١) المرجع السابق ج١ ص٣٠.
(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص٣٣.

فانية وأساليب شيطانية هزيلة، أمام هؤلاء يكون كيد الشيطان ضعيفاً، لان أرادتهم بعد توفيق الله تعالى لهم أقوى.

السابع عشر: التمتع بطيبات الحياة:

لقد خلق الله الإنسان، وأبان له طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وأحل له وأباح الطيبات من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، ومن كافة الأموال والنساء، بل حتى اللهو المباح، لتتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولكن الشيطان حرص على أن يحرم الإنسان ويترك طيبات أحلت له، وحرص الشيطان على أن يأكل ويشرب الإنسان خبائث حرمت عليه.

فمن استجاب لنداء الله تعالى واستمتع بالطيبات باعتدال ووسطيه كما شرع الله ابتعد عن طريق الشيطان وغوايته، ومن ترك التمتع بهذه الطيبات فقد وقع في طريق الشيطان، قال تعالى: " (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين. قل: من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ".

يقول سيد – رحمه الله –: " (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين. قل: من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون. قل: إنما حرم ربي الفواحش، ما ظهر منها وما بطن؛ والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون).

إنه التوكيد بعد التوكيد على الحقائق الأساسية للعقيدة، في مواجهة ما عليه المشركون العرب في الجاهلية؛ وذلك في سياق النداء إلى بني آدم كافة، وفي مواجهة قصة البشرية الكبرى.

وأظهر هذه الحقائق هو الربط بين ما يحرمونه من الطيبات التي أخرجها الله لعباده دون إذن منه ولا شرع؛ وبين الشرك الذي هو الوصف المباشر لمن يزاول هذا التحريم، ويقول على الله ما لا يعلم، ويزعم من ذلك ما يزعم.

إنه يناديهم أن يأخذوا زينتهم من اللباس الذي أنزله الله عليهم. وهو الرياش. عند كل عبادة؛ ومنها الطواف الذي يزاولونه عرايا، ويحرمون اللباس الذي لم يحرمه الله، بل أنعم به على العباد. فأولى أن يعبدوه بطاعته فيما أنزل لهم، لا بخلعه ولا بالفحش الذي يزاولونه: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾.

ويناديهم كذلك ليتمتعوا بالطيبات من الطعام والشراب دون إسراف: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ .

وقد ورد أنه كان هناك تحريم في الطعام كالتحريم في الثياب، وكان هذا من مبتدعات قريش كذلك!

وفي صحيح مسلم عن هشام عن عروة عن أبيه قال: "كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس، والحمس قريش وما ولدت، كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً، فيعطي الرجال الرجال، والنساء النساء. وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة؛ وكان الناس يبلغون عرفات. ويقولون: نحن أهل الحرم، فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا، فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوباً، ولا يسارٌ يستأجره به كان بين أحد أمرين: إما أن يطوف بالبيت عرياناً وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه فلم يمسه أحد. وكان ذلك الثوب يسمى اللقى"[1].

وجاء في تفسير القرطبي المسمى "أحكام القرآن": "وقيل إن العرب في الجاهلية كانوا لا يأكلون دسماً في أيام حجهم، ويكتفون باليسير من الطعام، ويطوفون عراة.

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج٣ ص٢١٤.

فقيل لهم: (خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا، ولا تسرفوا) أي لا تسرفوا في تحريم ما لم يحرم عليكم".. والإسراف يكون بتجاوز الحد، كما قد يكون بتحريم الحلال. كلاهما تجاوز للحد. هذا باعتبار، وذاك باعتبار.

ولا يكتفي السياق بالدعوة إلى اتخاذ الزينة عند كل مسجد، وإلى الاستمتاع بالطيب من الطعام والشراب. بل يستنكر تحريم هذه الزينة التي أخرجها الله لعباده، وتحريم الطيبات من الرزق. فمن المستنكر أن يحرم أحد - برأيه - ما أخرجه الله للناس من الزينة أومن الطيبات.

فتحريم شيء أو تحليله لا يكون إلا بشرع من الله:

(قل: من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ؟

ويتبع الاستنكار بتقرير أن هذه الزينة من اللباس، وهذه الطيبات من الرزق، هي حق للذين آمنوا - بحكم إيمانهم بربهم الذي أخرجها لهم - ولئن كان سواهم يشاركهم فيها في هذه الدنيا، فهي خالصة لهم يوم القيامة لا يشاركهم فيها الذين كفروا: (قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة) ..

ولن يكون الشأن كذلك، ثم تكون محرمة عليهم؛ فما يخصهم الله في الآخرة بشيء هو حرام!

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾

والذين (يعلمون) حقيقة هذا الدين هم الذين ينتفعون بهذا البيان.

فأما الذي حرمه الله حقاً، فليس هو الزينة المعتدلة من اللباس، وليس هو الطيب من الطعام والشراب - في غير سرف ولا مخيلة - إنما الذي حرمه الله حقاً هو الذي يزاولونه فعلاً!

(قل: إنما حرم ربي الفواحش - ما ظهر منها وما بطن - والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ..

هذا هو الذي حرمه الله. الفواحش من الأعمال المتجاوزة لحدود الله. ظاهرة للناس أو خافية. والإثم. وهو كل معصية لله على وجه الإجمال. والبغي بغير الحق. وهو الظلم الذي يخالف الحق والعدل - كما بينهما الله أيضاً - وإشراك ما لم يجعل الله به قوة ولا سلطاناً مع الله - سبحانه - في خصائصه. ومنه هذا الذي كان واقعاً في الجاهلية، وهو الواقع في كل جاهلية. من إشراك غير الله ليشرع للناس؛ ويزاول خصائص الألوهية. وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون. كالذي كانوا يقولونه من التحليل والتحريم. ومن نسبتهم هذا إلى أمر الله بغير علم ولا يقين "[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦٨].

يقول - رحمه الله -: " وهذا الأمر بالإباحة والحل لما في الأرض - إلا المحظور القليل الذي ينص عليه القرآن نصاً - يمثل طلاقة هذه العقيدة، وتجاوبها مع فطرة الكون وفطرة الناس. فالله خلق ما في الأرض للإنسان، ومن ثم جعله له حلالاً، لا يقيده إلا أمر خاص بالحظر، وإلا تجاوز دائرة الاعتدال والقصد. ولكن الأمر في عمومه أمر طلاقة واستمتاع بطيبات الحياة، واستجابة للفطرة بلا كزازة ولا حرج ولا تضييق.. كل أولئك بشرط واحد، هو أن يتلقى الناس ما يحل لهم وما يحرم عليهم من الجهة التي ترزقهم هذا الرزق. لا من إيحاء الشيطان الذي لا يوحي بخير لأنه عدو للناس بين العداوة. لا يأمرهم إلا بالسوء وبالفحشاء، وإلا بالتجديف على الله، والافتراء عليه، دون تثبت ولا يقين "[2].

إذا الاستمتاع بالطيبات يقطع الطريق على الشيطان وترك الطيبات إتباع لخطوات الشيطان.

---

(١) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج٧ ص٢٠٠.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص١٢٦.

الثامن عشر: التواضع:

مر معنا أن الكبر كان سببا في طرد إبليس من رحمة الله تعالى؛ وهو من صفات إبليس بنص القران: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٣٤].

ومن رام السلامة والسعادة فعليه بضد الكبر، فليلزمه، ألا هو التواضع والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم "(١).

وهو مراتب ودرجات، وقد دعا الإسلام إلى التواضع، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المائدة، آية: ٥٤].

كما حثنا رسول الله ﷺ على التواضع بل أوحى الله تعالى لنبيه أن تواضعوا، فعن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ذات يوم في خطبته: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا"... الحديث وفيه: "وأن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"(٢).

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (مرجع سابق) ج٦ ص١٣٤.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) حديث ٢٨٦٥ ج٤ ص٢١٩٨.

وفي الغالب المتكبر يريد بكبره الرفعة، ويحصل له ضدها، كما يحصل للمتواضع الرفعة، وهي ضد ما يظنه الناس، فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " ما نقصت صدقه من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "(١).

هذا في الدنيا، وكما تحصل الرفعة للمتواضع في الدنيا تحصل له في الآخرة، فعن معاذ بن أنس الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها "(٢).

وقد كان رسول الله ﷺ إمام المتواضعين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: " آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد "(٣).

وكان من تواضعه ﷺ أنه يباشر أعماله العادية بنفسه، فقد كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويخدم أهله، عن عروه بن الزبير رضي الله عنهما قال: سأل رجل عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته "(٤).

وإذا تأملت أيها المربي والمتربي حال المتواضعين وجدتهم أسعد الناس، وأحبهم إلى الله وإلى عباد الله تعالى، وأبعد ما يكونون من الشيطان وأوليائه.

التاسع عشر: الحلم وكظم الغيظ.

---

(١) المرجع السابق، حديث ٢٥٨٨ ج٤ ص٢٠٠١.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٣ ص٤٣٩.

(٣) البغوي، حسين بن مسعود: شرح السنة، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، تحقيق: الشاويش والأرناؤوط. ج١٣ ص٢٤٨.

(٤) المرجع السابق ج١٣ ص٢٤٢.

مر معنا في أثر الشيطان على المجتمع ما يوقعه من النزغ بين الناس، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٥٣].

ومن آثاره التحريش والعداوة والبغضاء بين الناس، وكذلك إثارة الغضب، قال الفخر الرازي: " وقيل النزغ: الإزعاج وأكثر ما يكون عند الغضب، وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر "(١).

كما مر معنا حديث سليمان بن صرد ﷺ قال: " أستب رجلان قرب النبي ﷺ، فأشتد غضب أحدهما، فقال النبي ﷺ: " إني لأعلم كلمه لو قالها لذهب عنه الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال الرجل: أمجنون تراني؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[سورة فصلت، آية: ٣٦] "(٢).

ومن خلال الحديث الذي بين أيدينا بين لنا رسول الله ﷺ الموقف الشرعي عند الغضب، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن الإنسان عند الغضب ربما يتكلم بكلام لا يتبين ما فيه، فيرديه، فعن أبي هريرة ﷺ انه سمع رسول الله ﷺ يقول: " إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق "(٣).

وربما يتجاوز الأمر عند الغضب النطق باللسان إلى التعدي بالجوارح، يصل إلى رفع السلاح، وما ذلك إلا من نزغ الشيطان، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

---

(١) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر: التفسير الكبير (مرجع سابق) ج١٥ ص٩٧.

(٢) النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم: المستدرك على الصحيحين (مرجع سابق) ج٢ ص٦٤٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) باب البكاء من خشية الله، حديث ٦١١٢ ج٥ ص٢٣٧٧.

" لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يديه، فيقع في حفره من النار "[١].

وقد أمرنا الله تعالى بالتعوذ من همزات الشياطين، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [سورة المؤمنون، آية: ٩٧-٩٨].

قال ابن عطية: " وأمره بالتعوذ من الشيطان في همزاته وهي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه، وكأنها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المحادة "[٢].

يقول العطار: " وكثيرا ما يهب في نفسه سياط الغضب، فيتخبطه ويقوده ليقع في فخ طاعته، ويلحظ أن الذي يتسلط عليه الشيطان بنزغه وهمزه يميل إلى شده الغضب والانفعال والخطأ، ويلاحظ على وجهه الشحوبة والعبوس، وحده وشده في ألفاظه التي يطلقها، وتختلف نبرات صوته ولهجة حديثه، ويفقد الحلم والروية، وتهيج لديه محبه الانتقام والإعراض عن العفو والصفح، مع شعوره باختناق وضيق شديد في نفسه، وربما نفس عنه بالصراخ أو البكاء "[٣].

فكان الأسلوب المناسب عند الغضب ما أرشدنا الله إليه حيث قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة الأعراف،آية:٢٠٠].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) حديث ٦٦٦١ ج٦ ص٢٥٩٢.

(٢) أبو الأنصاري، والرحالي الفاروق، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المشهور بـ (ابن عطية) (مرجع سابق) ج١٠ ص٣٩٧.

(٣) العطار، عبدالخالق: وسائل إهلاك وإضلال الشيطان للإنسان، طبعة سيدكو، القاهرة، مصر. ص٨٣-٨٤.

ومن الأساليب التي يمارسها المسلم ليكظم غيظه الوضوء، ذلك أن جمرة الغضب تشتعل في القلب فكان إخماد ذلك اللهب بالماء؛ لأن مادة الغضب مستمده من مادة أصل الشيطان وهي النار ولا يطفئ النار إلا الماء، فعن عروة بن محمد السعدي قال: حدثني أبي عن جدي عطية قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"[1].

ومما يعين على كظم الغيظ ودفع الغضب الذي هو من الشيطان استحضار التوحيد وتحقيقه، قال الطوفي: "أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه؛ لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا، وهو خلاف العبودية"[2].

ويقول ابن حجر - رحمه الله -: "وبهذا يظهر السر في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيذ من الشيطان؛ لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر، وإذا استمر الشيطان متلبسا متمكنا من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك، والله أعلم"[3].

كما أثنى الله تعالى على الكاظمين الغيظ، ودعا عباده الصالحين لذلك حيث قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٣٣-١٣٤]. فظهر أن كظم

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٤ ص٢٢٦.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج١٠ ص٥٣٧.

(٣) المرجع السابق ج١٠ ص٥٣٧.

الغيظ يتمثل في ضبط النفس عند ثورة الغضب.

قال الفخر الرازي في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ قال: " الذين يكفون غيظهم عن الإمضاء، ويردون غيظهم في أجوافهم "[1].

ويقول الزمخشري أيضاً: " وكظم الغيظ أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر، و لا يظهر له أثرا "[2].

وقد بين النبي ﷺ أن القوي على وجه الحقيقة ليس ذلك الإنسان الذي يكثر صرع الناس وطرحهم، إنما هو الذي يمسك نفسه ويكظم غيظه، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[3].

يقول ابن منظور: " كظم الغيظ: تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه "[4].

وأختم الحديث ببشارة نبوية لمن تحكم في نفسه وضبط مشاعره، ولم ينفذ غضبه وكظم غيظه، بشارة تسعده في الدنيا والآخرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى الْمَسْجِدِ وَهُو يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَأومَأَ أَبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إلى الأرض: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثلاثًا، أَلا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتَنَ، وَمَا مِنْ جَرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ، مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلا مَلأَ اللَّهُ

---

(١) **الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الفخر: التفسير الكبير (مرجع سابق) (مرجع سابق) ج٩ ص٧.**

(٢) **الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر: الكشاف، (مرجع السابق) ج١ ص٤٦٤.**

(٣) **البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) باب الحياء، حديث ٥٧٦٣ ج٥ ص٢٢٩.**

(٤) **ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب (مرجع سابق)، مادة (كظم) ج١٢ ص٥٢٠.**

جَوْفَهُ إِيمَانًا "[1].

فهنيئا لمن منحه الله إيمانا يملأ به جوفه.

أما بشارته في الآخرة ففي اجتماع لا مثيل له في الدنيا، يجمع الله تعالى فيه الخلائق، فيدعوه ويخيره من الحور العين ما شاء، فعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُو قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ "[2].

ومن أعظم الوصايا النبوية الوصية بترك الغضب، فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أوصِنِي قَالَ: " لا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لا تَغْضَبْ "[3].

قال ابن حبان: " قوله ﷺ "لا تغضب " أراد به أن لا تعمل عملا بعد الغضب مما نهيتك عنه، لا أنه نهاه عن الغضب، إذ الغضب شيء جبلة في الإنسان، ومحال أن ينهى المرء عن جبلته التي خلق عليها، بل وقع النهي في هذا الخبر عما يتولد من الغضب مما ذكرناه "[4].

والمراد بترك الغضب ترك الغضب الذي هو من الشيطان، أما الغضب عند انتهاك حرمات الله تعالى والتفاعل معها بالموقف الشرعي الصحيح فهو محمود، وهو هدي النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: " مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أمرين إِلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٦ ص٣٩٢.
(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد (مرجع سابق) ج٣١ ص٢٣٦.
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١٩ ص٧٤.
(٤) ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (مرجع سابق) ج٢٣ ص٤٠٥.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا "[1].

فهذه دعوه لكظم الغيظ وأعظمه الحلم، وهو كما قال الراغب: " الحلم ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب "[2].

وقال الجاحظ: " الحلم ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك "[3].

وعرفه الجرجاني بقوله: " الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم (أي: مجازاته بظلمه) "[4].

وقد وصف الله بعض أنبيائه بصفة الحلم، منهم إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة، آية: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [سورة هود، آية: ٧٥].

وقد حث النبي ﷺ على التخلق بضبط النفس وكظم الغيظ والحلم على الخلق، وهي صفه اجتماعيه مهمة يحتاجها الإنسان في أي مجتمع يكون فيه، فالحياة لا تخلو من المكدرات وفي العلاقات الاجتماعية التي يحتاج الإنسان فيها للحلم في التعامل مع الأقارب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: " أَنَّ رَجُلا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إليهمْ وَيُسِيئُونَ، إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١١ ص٣٩٥.

(٢) الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص١٢٩.

(٣) ابن مسكويه، أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ. ص٢٣.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات (مرجع سابق) ص٩٢.

فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ "[1].

وإذا كانت العجلة من الشيطان فالتأني من الله، عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : " التأني من الله، والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحلم "[2].

وكان ﷺ مثالا يحتذي به في كظم الغيظ والحلم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: " إِنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أصحابهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً، ثُمَّ قَالَ: أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً "[3].

فانظر كيف تعامل النبي ﷺ مع إغلاظ هذا الرجل.

بل أعظم من ذلك قصة الأعرابي الذي تجاوز وتطاول في صوره صريحة نعدها اليوم من أظهر صور قلة الحياء، بل لا يقبلها أضعف الناس وأقلهم شأنا على نفسه، فإليك هذه القصة المدهشة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابي فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أثرتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إليه فَضَحِكَ ثُمَّ أمر لَهُ بِعَطَاءٍ "[4].

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١٢ ص٤١٢.
(٢) الهيثمي، الحافظ علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الطبعة الثانية، طبعة دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٢هـ. ج٨ ص١٩.
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٨ ص٩٥.
(٤) المرجع السابق ج١٠ ص٤٠٢.

وفي صوره أخرى يبلغ بالنبي ﷺ الأذى مبلغه، فيكون طريداً من مكة، طريداً من الطائف، يصيبه ما يصيبه من الغم والهم، وتأتي ساعة وتتهيّأ فرصة له بأن يقضي على القوم، إلا أنه يكون للنبي ﷺ موقف، وأنت تسمعه من الصديقة بنت الصديق، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: لِلنَّبِيِّ ﷺ : " هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلال، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأمره بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أصلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[1].

وهذا موقف آخر يستثير عائشة ضمن مواقف متعددة تمر على النبي ﷺ ويسجل هذا الموقف المطمئن الواثق الهادئ الطبع الرابط الجأش، عن عائشة رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: " دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ اليهودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَهْلا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأمر كُلِّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أولَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "[2].

وصدق الشاعر حيث قال[3]:

---

(١) المرجع السابق ج١١ ص٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١٨ ص٤٤٧.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري: أدب الدنيا والدين، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، تحقيق: مصطفى السقا. ص٣٠٢.

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وإن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلما وشر الناس من يهو ى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

وقال الشافعي- رحمه الله -:

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلما كعود زاده الإحراق طيبا

وقال أيضاً:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمدا يموت

فمن أراد السيادة والريادة والقيادة فعليه بالحلم.

قال علي بن أبي طالب ﷺ : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك؛ ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى "[1].

وقال ﷺ: " إن أول ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل "[2].

وقال عرابة: " عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والأفضال "[3].

وفي الختام وقد أطلت الكلام إني لأدعو إلى هذه الخلة العظيمة والصفة الكريمة، فهي أساس في المعاملة والمعاشرة للزوجة والأولاد والأقارب والجيران

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج٣ ص١٧٨.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج٣ ص١٧٨.

(٣) المرجع السابق ص١٨٤.

والزملاء في العمل والمراجعين في المكاتب وفي المسجد والشارع وفي السوق وعند الخلاف والاختلاف، وبها يتجاوز الإنسان خطوات الشيطان في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [سورة المائدة، آية: ٩١].

العشرين: معرفة أساليب الشيطان وطرقه:

لعل من نافلة القول أن أنبه إلى ضرورة معرفة أساليب الشيطان معرفة دقيقة كي لا يقع الإنسان في شراك الشيطان.

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

وهذا حذيفة ﷺ يسأل رسول الله ﷺ عن الشر خشية أن يقع فيه قال: "كان الناس يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أبواب جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إليها قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: فَمَا تَأمرنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ، قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَو أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"[1].

الحادي والعشرين: لزوم جماعة المسلمين:

استخدم الشيطان وسائل وأساليب مختلفة لبث الخلاف والفرقة في صفوف المسلمين على مستوى الأفراد والأسر والجماعات والقبائل والدول من خلال إثارة

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١١ ص٤٣٩.

الأحقاد والضغائن والإحن والحسد والبغضاء والكراهة وسوء الظن.

وعدم الاجتماع في أبسط صوره هو من الشيطان، ومن هذه الصور عندما يسافر الإنسان، إذا كان منفردا كان الشيطان معه، وإذا كان معه آخر كان الشيطان منه أبعد وكلما كثرت الجماعة على الحق والخير كان الشيطان منها أبعد قال ﷺ من حديث عمرو بن شعيب: "الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب "[1].

كما أن الإنسان يكون في البادية أوفي قرية متفرقة البيوت، ولا يجتمعون للصلاة، فان الشيطان يستحوذ عليهم، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من ثلاثة في قرية ولابد ولا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية "[2].

وكان الناس ينزلون المنزل مع رسول الله ﷺ يتفرقون في الشعاب، فيقول لهم رسول الله ﷺ إن هذا من الشيطان، فيأمرهم بالاجتماع والاقتراب، عن أبي الخشنيﷺ قَالَ: "كَانَ النَّاسُ إذا نَزَلُوا مَنْزِلا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأودِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأودِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلا إِلا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ: لَو بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لعمهم "[3].

إنها صوره واضحة وعمليه للاجتماع والتقارب والتآلف في الظاهر ولها مغزاها وأثرها على الباطن.

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٢ ص١٨٦.

(٢) النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم: المستدرك على الصحيحين (مرجع سابق) ج٢ ص٥٢٤.

(٣) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود (مرجع سابق) ج٧ ص٢١٤.

كما توافرت نصوص الكتاب والسنة التي أمرت بلزوم الجماعة كي لا يستحوذ الشيطان على المؤمنين.

منها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٥٣].

قال المراغي في تفسير هذه الآية: " ونهى عن التفرق في صراط الحق وسبيله، لأن التفرق في الدين الواحد وجعله مذاهب يتشيع لكل منها شيعة وحزب ينصرونه ويتعصبون له، ويخطّئون من خالفه، ويرمون أتباعه بالجهل والضلال، سبب لإضاعته، إذ كل شيعة تنظر فيما يؤيد مذهبها ويظهرها على مخالفيها، ولا يهمها إثبات الحق وفهم النصوص، والحق لا يكون وقفا على عالم معين، ولا على إتباعه، بل كل باحث يخطئ ويصيب، وذلك ما دل عليه العقل وأثبته الكتاب والسنة والإجماع، ولما كان إتباع الصراط المستقيم وعدم التفرق فيه يجمع الكلمة ويعز أهل الحق كان التفرق فيه سبب ضعف المتفرقين وذلهم وضياع حقهم "[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، آية ١٠٢-١٠٣].

وقد بين ابن مسعود ﷺ أن المراد بحبل الله الجماعة، كما هو عند ابن جرير الطبري: " أما"الحبل"، فإنه السبب الذي يوصَل به إلى البُغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان"حبلاً"، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزَع والذّعر، قال

---

(١) المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي (مرجع سابق) ج٨ ص٧٣-٧٤.

أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله.

عن الشعبي، عن عبد الله بن مسعود في قوله:"واعتصموا بحبل الله جميعًا"، قال: حبلُ الله، الجماعة "[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٠٥].

قال ابن جرير رحمه الله: "يقول جل ثناؤه: "فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء – يعني أهل الكتاب – في دينهم ولا تفعلوا وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم "[(٢)].

وقال جل وعلا: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [سورة الشورى، آية:١٣].

قال قتادة – رحمه الله –: "في قوله: (وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ) تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة "[(٣)].

فكم هم أولئك الذين استحوذ عليهم الشيطان، وانفرد بهم، وأقصاهم عن جماعة المسلمين، فضلوا وأضلوا.

وعن مُعَاوِيَةَ بْنِ أبي سُفْيَانَ ﷺ قال: "ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: "ألا

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٧ ص٧١.
(٢) المرجع السابق ج٤ ص٣٩.
(٣) المرجع السابق ج٢٥ ص١٥.

إِنَّ من قبلكم من أهل الْكِتَابَ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْملة سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة "[1].

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله –: " إن قوله عليه الصلاة والسلام: (إلا واحدة) قد دعا بنصه أن الحق واحد لا يختلف؛ إذ لو للحق فرق أيضاً لم يقل: (إلا واحدة)، ولأن الاختلاف منفين عن الشريعة بإطلاق؛ لأنها الحاكمة بين المختلفين؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٥٩]. إذ ردّ التنازع إلى الشريعة، فلو كانت الشريعة تقتضي الخلاف لم يكن في الرد إليها فائدة "[2].

وعَنِ الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أمر يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ يَأمر بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أمرتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ تَأمر بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أُبَلِّغُهُنَّ، فَقَالَ لَهُ يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أو يُخْسَفَ بِي، قَالَ فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، وَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أمرنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأمركُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أولهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٤ ص١٠٢.

(٢) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد: الاعتصام، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ. ص٤٤١.

خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أو ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟! وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأمركُمْ بِالصَّلاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فإذا صَلَّيْتُمْ فَلا تَلْتَفِتُوا، وَأمركُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأمركُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُو، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلى عُنُقِهِ، وَقَرَّبُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ، مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ، وَأمركُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُو سِرَاعًا فِي أثرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنْ الشَّيْطَانِ إذا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا أمركُمْ بِخَمْسٍ، اللَّهُ أمرنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَبِالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنُقِهِ إِلى أَنْ يَرْجِعَ... الحديث "[1].

قال الخطابي – رحمه الله –: " من خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم في الأمر المجمع عليه فقد ضل وهلك، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها، فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك والضياع "[2].

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار "[3].

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) حديث١٧٢٠٩ ج٤ ص١٣٠.

(٢) الخطابي: معالم السنن، حاشية أبي داود، إعداد عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ ج٥ ص١١٨.

(٣) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث٢١٦٧ ج٤ ص٤٦٦.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: " قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: إِنَّ اللَّـهَ يَرْضَـى لَكُـمْ ثَلاثًـا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْـلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ "[(١)].

قال النووي – رحمه الله – : " وأما قوله: (ولا تفرقوا) فهو أمر بلـزوم جماعـه المسلمين وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام "[(٢)].

وعن حذيفة ﷺ يقول: " كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّـةٍ وَشَـرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَـمْ، قُلْـتُ: وَهَـلْ بَعْـدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْـرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَـاةٌ إلى أبواب جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إليها قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِـفْهُمْ لَنَـا، فَقَـالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: فَمَا تَأمرنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَـالَ: تَلْـزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَـاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَو أَنْ تَعَضَّ بِأَصْـلِ شَـجَرَةٍ حَتَّـى يُـدْرِكَكَ الْمَـوْتُ وَأَنْـتَ عَلَـى ذَلِكَ "[(٣)].

قال النووي – رحمه الله –: " وفي حديث حذيفة هـذا لـزوم جماعـة المسـلمين وإمامهم، ووجوب طاعته، وان فسق وعمل المعاصي في أخذ الأمـوال وغـير ذلـك،

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سـابق) ج٩ ص١٠٩.

(٢) القشـيري، مسـلم بـن الحجـاج: صـحيح مسـلم بشـرح النـووي (مرجع سابق) ج١٢ ص١١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صـحيح البخـاري (مرجـع سـابق) ج١١ ص٤٣٩.

فيجب طاعته في غير معصية "[1].

كما قال ابن حجر – رحمه الله – في معنى قوله (وأنت على ذلك): " أي العض وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا " [2].

ومن مجموع هذه النصوص يظهر جليا أن لزوم الجماعة يقطع الطريق على الشيطان، وقبل أن نختم الحديث لابد أن أبين المراد بجماعة المسلمين، والذي يظهر أن المراد به التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان فيهم من أتى أمه علانية لكان من أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي" [3].

كما يقول ابن مسعود ﷺ: " من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم أختاره الله لصحبه نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم "[4].

يقول السفاريني – رحمه الله –: "ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب أن الصحابة

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم بشرح النووي (مرجع سابق) ج١٢ ص٢٣٧.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج١٣ ص٤٠.

(٣) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) حديث ٢٦٤١ ج٥ ص٢٦.

(٤) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله (مرجع سابق) ج٢ ص٩٧.

الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق، واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم، ولم يتحقق بتحقيقهم "[(١)].

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله –: " فلا إشكال أن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم، فمن شذ عنهم فمات فميتته جاهلية، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبع، لأنهم غير عارفين بالشريعة، فلابد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإنهم لو تمالؤوا على مخالفة العلماء فيما حدوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر لقلة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقول أحد: أن إتباع جماعة العوام هو المطلوب، وإن العلماء هم المفارقون للجماعة والمذمومون في الحديث، بل الأمر بالعكس، وإن العلماء هم السواد الأعظم وان قلوا، والعوام هم المفارقون للجماعة وإن خالفوا، فان وافقوا فهو الواجب عليهم "[(٢)].

ثم ذكر الأثر السابق عن إسحاق وعلق عليه بقوله: " فانظر في حكايته تتبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم، وهووهم العوام لا فهم العلماء، فليثبت الموفق في هذه المذلة؛ لئلا يضل عن سواء السبيل، ولا توفيق إلا بالله "[(٣)].

وبهذا يتضح لكل ذي لب وبصيرة أن لزوم الجماعة بهذا المفهوم نجاة من الشيطان ووقاية من أساليبه الماكرة، رزقنا الله معرفة الحق ولزومه والدعوة إليه والموت عليه.

---

(١) السفاريني، محمد الحنبلي: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، الطبعة الثالثة، طبعة المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤١١هـ ج٢ ص٣٧٩.

(٢) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد: الاعتصام، (مرجع سابق) ج٢ ص٤٥٢.

(٣) المرجع السابق ج٢ ص٤٥٣.

الثاني وعشرين: التحاكم إلى شرع الله وشرع رسول الله ﷺ والرضا به ظاهرا وباطنا وعدم التحاكم إلى الطاغوت:

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، آية: ٦٠].

جاء في بيان المراد بالطاغوت في هذه الآية أنه كعب بن الأشرف حيث روى ذلك ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك[(١)].

والرجوع إليه في الحكم رجوع إلى غير حكم الله وحكم رسول الله ﷺ وإتباع للشيطان وإمعان في الضلال.

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: " هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية، أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود، تخاصما فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل: في جماعة من المنافقين ممن أظهر الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل: غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سوأهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا "[(٢)].

وجاء في فتح المجيد: " والقوانين طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٥ ص١٥٣-١٥٥.

(٢) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مرجع سابق) ج١ ص٥٢٠.

الله ﷺ أما قصدا أو عن غير قصد من واضعه فهو طاغوت "[1].

وقد ورد لفظ الطاغوت في القرآن في ثمان مواضع، مجمل معانيها تدور حول الشيطان وحزبه وأوليائه، ذكر الموضع الأول آنفا في سورة النساء.

والثاني: في سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٥٦].

قال البغوي: " في معنى قوله: (فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ) يعني الشيطان "[2].

والثالث: في سورة البقرة أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٥٧].

يقول ابن الجوزي في زاد المسير قال ابن عباس وعكرمة: الطاغوت في الآية الشياطين[3].

والرابع: في سورة النساء، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء، آية: ٥١].

---

(١) آل الشيخ، عبدالرحمن بن حسن: التعليق على فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الطبعة الأولى، طبعة دار القلم: بيروت، ١٤٠٥هـ. ص٢٩٣.

(٢) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)(مرجع سابق) ج١ ص٣١٤.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير (مرجع سابق) ج١ ص٣٠٦.

قال ابن عباس وسعيد بن جبير: أنه الشيطان، وقال غيره غير ذلك[1].

والخامس: في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٧٦].

قال ابن جرير في معنى قوله تعالى: (يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ) "يعني في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله"[2].

الموضع السادس: الذي ذكر فيه الطاغوت في كتاب الله تعالى في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة، آية: ٦٠].

يقول البغوي: " أي أطاع الشيطان فيما سول له"[3].

والسابع: في سورة النحل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة النحل، آية: ٣٦].

جاء عند الطبري قوله: "يقول: وابعدوا عن الشيطان، واحذروا أن يغويكم

---

(١) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)(مرجع سابق) ج٢ ص٢٣٤.
(٢) الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري (مرجع سابق) ج٥ ص١٦٩.
(٣) البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)(مرجع سابق) ج٣ ص٧٥.

ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا "[1].

والثامن: في قوله تعالى في سورة الزمـر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [سورة الزمر، آية: ١٧].

قال ابن جرير عن مجاهد وابن سيرين والسدي: إن الطاغوت ها هنا في الآية: الشيطان[2].

ومن مجموع هذه الآيات حول بيان معنى الطـاغوت يخلـص الباحـث إلى أن الطاغوت معناه الشيطان وحزبه وأولياؤه وما تفرع عنـه، ومـن أعظـم هـذه المعـاني الحكم بغير ما انزل الله تعالى.

والحكم بغير ما أنزل الله تعالى هو: " سياسـة النـاس والقضـاء بيـنهم وتـدبير أمورهم على غير شريعة الله " .

والتحـاكم إلى شـرع الله وشـرع رسـول الله ﷺ يعـني الحكـم بمـا انـزل الله المتضمن: " إعمال شريعة الإسلام في كل ما يتعلق بأمور العباد والبلاد في المعـاملات والجنايـات والعلاقـات الدوليـة والتجاريـة ومـا أشـبه ذلـك ممـا يعـرف بـالقوانين الحاكمة "[3].

يقول الشافعي – رحمه الله – مبيناً إن الالتزام بسنة النبي ﷺ التزام بكتاب الله تعالى: " ما سنة رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص حكم إذ قد فرض الله في كتابـه طاعـة نبيه ﷺ والانتهاء إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فبفرض الله قبل "[4].

---

(١) **الطبري، محمد بن جريـر: تفسـير الطبـري (مرجـع سـابق) ج١٤ ص١٠٣.**
(٢) **المرجع السابق ج٢٣ ص٢٠٦.**
(٣) **الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة، طبعـة المكتبـة العلميـة: بيروت، لبنان، تحقيق: أحمد محمد شاكر. ص٢٢.**
(٤) **(المرجع السابق) ص٢٢.**

وما أجمعت عليه الأمة أو جاء الحكم بالقياس على ما في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ هو من الحكم بما أنزل الله، قال في المقاصد العامة للشريعة الإسلامية "عرف الأصوليون الحكم الشرعي بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع "[(١)].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: " إذا علم أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ينافي الإيمان بالله عز وجل، وهو كفر وظلم وفسق، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المائدة، آية: ٤٤]. ويقول: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة المائدة، آية: ٤٥]. ويقول: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة المائدة، آية: ٤٧].

وبين تعالى أن الحكم بغير ما انزل الله حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب في حلول عقابه وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين، يقول سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[سورة المائدة،

---

(١) العالم، يوسف حامد: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، الطبعة الخامسة، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٤هـ. ص٢٤.

آية: ٤٩-٥٠]" [1].

ويقول أيضاً: " وإذا كان من مقتضى رحمته وحكمته سبحانه وتعالى أن يكـون التحاكم بين العباد بشرعه ووحيه لأنه المنزه عما يصيب البشر من الضـعف والهـوى والعجز والجهل، فهو سبحانه الحكيم العليم اللطيف الخبير، يعلم أحوال عباده ومـا يصلحهم وما يصلح لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومن تمام رحمته أن تـولى الفصـل بينهم في المنازعات والخصومات وشئون الحياة؛ ليتحقق لهم العدل والخير والسعادة، بل الرضا والاطمئنان النفسي والراحة القلبيـة، ذلـك أن العبـد إذا علـم أن الحكـم الصادر في القضية التي يخاصم فيها هو حكم الله الخالق العليم الخـبير قبـل ورضـي وسلم، حتى ولو كان الحكم خلاف ما يهوى ويريد، بخلاف مـا إذا علـم أن الحكـم صادر من أناس بشر مثلـه، لهـم أهـواؤهم وشـهواتهم، فانـه لا يرضـى ويسـتمر في المطالبة والمخاصمة، ولذلك لا ينقطع النزاع ويدوم الخلاف " [2].

ولابد من الرضا بحكـم الله تعـالى وحكـم رسـول الله ﷺ؛ ليثبـت الإيمـان في قلوب المؤمنين، وقد نفاه الله عمن لم يرضى بحكم رسول الله ﷺ، قال تعـالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٦٥].

وهكذا يخلص الباحث إلى أن من الأساليب التي يندحر بها الشيطان وحزبـه التحاكم إلى شرع الله تعالى وشرع رسوله ﷺ والرضا به ظاهراً وباطنـاً، يتأكـد ذلـك على أفراد الأمة وجماعاتها، حكامها ومحكوميها وأخـص بالـذكر كـل مـن ولى أمـرا مـن أمـور المسـلمين كـبرت ولايتـه أو صـغرت والله الموفـق والمعـين وهـو ولـي الصالحين.

---

(١) صالح بن عبدالله بن حميـد، عبـدالرحمن بـن محمـد عبـدالرحمن بـن ملـوح: نضـرة النعـيم فـي مكـارم أخـلاق الرسـول الكـريم، (مرجع سابق) ج٥ ص١٧١١.

(٢) المرجع السابق ج٥ ص١٧١٢.

الثالث وعشرين: الصلاة:

من أعظم ما يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى الصلاة وهي صله بحق بين العبد وربه وهي نور وضياء للإنسان في الدنيا والآخرة ولا يحافظ عليها إلا من صدق إيمانه لذا كان للشيطان اجتهاد على الإنسان لإبعاده عن الصلاة وذلك من خلال أمره بالفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [سورة النور، آية: ٢١].

وقد وجهنا الله تعالى لما ينهانا عن الفحشاء والمنكر إلا وهي الصلاة قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٤٥].

وإقامة الصلاة لها معنى عظيم جدا في حياة المسلم فالقيام بشروط وأركان وواجبات وسنن الصلاة مطلوب ولابتعاد عن مبطلات الصلاة ومكروهاتها كذلك مطلوب إلا أن لب الصلاة يتمثل في الاطمئنان والخشوع عند أدائها مع تحقيق ما سبق كما يقيم الصلاة في جميع الأوقات وفي كل الأحوال وهذا حقيقة إقامة الصلاة التي تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر.

ويقول ابن عباس عن قوله تعالى: (ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا): " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا " .

والصلاة أعظم معين على عدو الله إبليس قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٤٥].

يقول ابن تيميه – رحمه الله – فقوله: " قَوْلُهُ: (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ

ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ) بَيَانٌ لِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ دَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَالْمَضَارِّ فَإِنَّ النَّفْسَ إذا قَامَ بِهَا ذِكْرُ اللَّهِ وَدُعَاؤُهُ - لاسِيَّمَا عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ - أَكْسَبَهَا ذَلِكَ صِبْغَةً صَالِحَةً تَنْهَاهَا عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ كَمَا يُحِسُّهُ الإنسان مِنْ نَفْسِهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تعالى: (وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ) فَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ مَا يُغْنِيهِ عَنْ اللَّذَّاتِ الْمَكْرُوهَةِ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْ الْخَشْيَةِ وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ وَالْمَهَابَةِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَجَائِهِ وَخَشْيَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ نَاهٍ يَنْهَاهُ "(١).

واختم بحديث عجيب يبين عظم أثر الصلاة على الشيطان فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إذا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ يَا وَيْلِي أمر ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأمرتُ بِالسُّجُودِ فَأَبيتُ فَلِي النَّارُ "(٢).

فعلى اللبيب المحافظة على الصلاة وإقامتها والتلذذ بها ففضائلها وفوائدها تعجز عن حصرها الأقلام لذا حرص الشيطان على تكسيل الإنسان وتثبيطه عنها وإشغاله بالوسوسة حال أدائها كما بين الباحث ذلك في مبحث أثره على الصلاة فليكن المسلم على حذر ويقظة وحرص على صلته بربه.

الرابع والعشرون: الرضا بالقضاء والقدر ومنه الإيمان بان الرزق بيد الله تعالى:

من أساليب الشيطان في الإضرار بالإنسان التخويف، والذي يتخذ صورا مختلفة، منها الخوف على الرزق، والخوف من الفقر، والخوف من أذية أولياء الشيطان أو الخوف من المرض أو الموت.

وجاء الإيمان بالقضاء والقدر ليكون قلب الإنسان قويا مطمئناً، وهو من

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى ابن تيمية (مرجع سابق) ج٤ ص٢٧٤.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) ج١ ص٢٢٧.

أقوى الأساليب وأنجحها للنجاة من الشيطان وأساليبه الماكرة.

يقول المحمود في بيان معنى القضاء: " هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة "[(١)].

ويقول أيضاً في بيان معنى القدر: "إنه يدل على مبلغ الشيء ونهايته، ويطلق على الحكم والقضاء، ويطلق على الطاقة، ويأتي القدر بمعنى التضييق، ويأتي بمعنى مقياسه" [(٢)].

ومعناه في الاصطلاح: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها[(٣)].

ولقد أخبرنا الله تعالى أنه قدر الأشياء سابقاً، وأنها ستقع على وفق ما قدرها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[سورة القمر، آية: ٤٩].

ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه "[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا

---

(١) المحمود، عبدالرحمن بن صالح: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، الطبعة الثانية، دار الوطن: الرياض، ١٤١٨هـ. ص٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: العقيدة الواسطية، الطبعة الخامسة، شرح الشيخ صالح الفوزان، ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٢١.

(٤) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق)، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، حديث ٢١٤٤ ج٤ ص٤٥١.

﴿ تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سورة الأنعام، آية: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يونس، آية: ٦١].

وعن جابر رضي الله عنهما قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم ﷺ قال: يا رسول الله ! بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل ؟ قال: " لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير " قال: ففيم العمل ؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: " اعملوا فكل ميسر "[1].

فإذا استوعب الإنسان هذه النصوص الشرعية، وفهمها فهماً سليماً، واطمأن قلبه بها، ورضي فؤاده بما كتب الله تعالى له جمع أطراف السعادة.

يقول الحمد: " فالمؤمن بالقدر قد تسمو به الحال فيصل إلى منزله الرضا فمن رضي عن الله رضي الله عنه، بل إن رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضا قبله أوجب له أن يرضى عنه، ورضا بعده هو ثمرة رضاه عنه " .

ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين وقرة عيون المشتاقين.

قال ابن القيم – رحمه الله –: " من ملأ قلبه من الرضا بالقدر ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته والإنابة إليه والتوكل عليه.

ومن فاته حظه من الرضا امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (مرجع سابق) حديث ٢٦٤٨ ج٤ ص٢٠٤٠.

وفلاحه "[1].

" وقيل ليحيى بن معاذ: متى يبلغ العبد مقام الرضا ؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وان تركتني عبدت، وان دعوتني أجبت "[2].

وقال بعضهم: " أرض عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفه عين، فتسقط من عينه "[3].

ومما ينبغي أن يعلم انه ليس من شرط الرضا ألا يحس العبد بالألم والمكاره، بل ألا يعترض على الحكم، ولا يتسخطه[4].

قال ابن ناصر الدين الدمشقي:

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا   عن الله قد فاز الرضي المراقب

فلا خوف من أولياء الشيطان، ولا خوف على الرزق، ولا خوف من المرض، ولا خوف من الموت، فكل مكتوب مقدر عند الله تعالى.

وهكذا يقطع المؤمن الطريق على الشيطان، ويفوز بسعادة الدنيا والآخرة، والله الموفق.

الخامس والعشرين: الجهاد في سبيل الله وقتال أولياء الشيطان:

يقول الله جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (مرجع سابق) ج٢ ص٢٠٢.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص١٧٢.

(٣) المرجع السابق ج٢ ص٢١٦.

(٤) المرجع السابق ج٢ ص١٦٩-٢٣٢.

كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٧٦].

جاء الحث والدعوة إلى مجاهدة أعداء الله تعالى في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ومما جاء في كتاب الله الأمر بأخذ الحذر والحيطة من أعداء الله الكفار، والاستنفار بحسب المصلحة، بعضنا أوكلنا وجاء التعريف بحال ضعاف الإيمان الذين يتكاسلون عن الجهاد، أو المنافقين الذين يزهدون فيه مع بيان حالهم عند النصر والهزيمة كل ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٧١-٧٣].

والذين يبيعون الدنيا رغبة في الآخرة هم الذين يجاهدون في سبيل الله، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٧٤].

ثم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٧٦].

ومن هذه الآية يتضح لنا جليا الأمر من الله بمقاتلة أولياء الشيطان ويقرر تعالى قاعدة جديدة لعباده المؤمنين المجاهدين ويطمئن قلوبهم: (إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا) فهم يقاتلون أولياء الشيطان ويجاهدون في سبيل الله ويسلمون بذلك من كيد الشيطان وإضلاله.

وفي المراد بالجهاد قال الراغب: " الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة

العدو"[1].

وقال الجرجاني: "هو الدعاء إلى الدين الحق"[2].

وقال ابن حجر: "الجهاد بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق والكفار"[3].

ومما جاء في الحث على الجهاد في سبيل الله أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة، آية: ١١١].

والتثاقل إلى الحياة الدنيا والركون لها من الشيطان، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٣٨-٣٩].

الجهاد من أفضل العمل وأحبه إلى الله تعالى؛ لذا فيه كيد للشيطان وأوليائه، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: "أَيُّ الْعَمَلِ أفضل؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذا قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ"[4].

---

(١) الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص١١٠.
(٢) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات (مرجع سابق) ص٨٤.
(٣) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج٦ ص٥.
(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج١ ص٤٤.

كما أن الجهاد يغيظ الشيطان لأنه ذروه سنام الإسلام، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأمر كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؛ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الأمر الإسلام، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ "[1].

وكيف لا يغيظ الجهاد الشيطان وهو العمل الذي لا يعدله شيء؟ عن أبي هريرة ﷺ قال: " جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ، قَالَ: لا أَجِدُهُ، قَالَ هَلْ تَسْتَطِيعُ إذا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلا تُفْطِرَ؟ قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟!

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ "[2].

كيف لا يكون الجهاد في سبيل الله من الأساليب الناجعة في صد كيد الشيطان والغدوة فيه خير من الدنيا وما فيها؟!

وكان ﷺ إمام المجاهدين، فعن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ أنه سئل عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ الْمَاءَ، وَبِمَا دُووِيَ، قَالَ: كَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلام بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُهُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لا يَزِيدُ الدَّمَ إِلا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَئِذٍ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ "[3].

إن الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فيه إرضاء لله وإذلال ودحر

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي (مرجع سابق) ج٩ ص٢٠٢.
(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري (مرجع سابق) ج٩ ص٣٤٧.
(٣) المرجع السابق ج١٢ ص٤٧٥.

للشيطان، قال ابن دقيق العيد: "الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً، لأنه وسيله إلى إعـلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك، والله أعلم"[1].

فإقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله لإعـلاء كلمـة الله ممـا يواجـه بـه الشـيطان وأولياؤه.

السادس والعشرين: استشعار الخسارة إذا لم يتدارك الإنسان مغفرة الله ورحمته، والنظر في عواقب الأمور:

لقد عصى آدم ربه فغوى، ولكنه استشعر ما يترتب علـى هـذه الغوايـة لقـد استجاب آدم لدعوة الشيطان، وعصى ربه فغوى، ولكنه استشعر ما يترتب على هذه الغواية، وشعر بحاجته إلى مغفرة ربه ورحمته، وأنه على خطر عظيم إن لم يحظى بهذه الرحمـة وتلـك المغفـرة فقـال: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٣]. فكان ذلك الاستشعار لتلك الخسارة وتلك الرغبة الصادقة في رحمة الله ومغفرته، سبباً للنجاة من الشيطان والانطراح بين يـدي الرحيم الرحمن.

كما أن النظر في عواقب الأمور ومآلاتها يجعـل الإنسـان يبتعـد عـن طريـق الشيطان.

وانظر إلى آدم وحواء بعد طاعتهما واستجابتهما للشيطان، كيـف اهـبط مـن الجنة وخرجا من النعيم الذي قال الله لهما في بيانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [سورة طه، آية: ١١٨-١١٩].

فبعد أن عصيا ربهما كـان الجـزاء العاجـل لتـوه: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢٤].

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مرجع سابق) ج٦ ص٨.

فكان الهبوط الذي بعده العناء والشقاء، فأصبح العيش كدًّاً وكدحاً.

والإنسان يتأمل في عواقب إتباع الشيطان، يقول سيد - رحمه الله -: " والله يدعو المؤمنين في الأولى إلى الدخول في السلم كافة؛ ويحذرهم في الثانية من إتباع خطوات الشيطان. ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم، ويستثير مخاوفهم بتذكيرهم بعداوة الشيطان لهم، تلك العداوة الواضحة البينة، التي لا ينساها إلا غافل. والغفلة لا تكون مع الإيمان.

ثم يخوفهم عاقبة الزلل بعد البيان:

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، آية: ٢٠٩] وتذكيرهم بأن الله (عَزِيزٌ) يحمل التلويح بالقوة والقدرة والغلبة، وأنهم يتعرضون لقوة الله حين يخالفون عن توجيهه.. وتذكيرهم بأنه (حَكِيمٌ) فيه إيحاء بأن ما أختاره لهم هو الخير، وما نهاهم عنه هو الشر، وأنهم يتعرضون للخسارة حين لا يتبعون أمره ولا ينتهون عما نهاهم عنه.. فالتعقيب بشطريه يحمل معنى التهديد والتحذير في هذا المقام..

بعد ذلك يتخذ السياق أسلوباً جديداً في التحذير من عاقبة الانحراف عن الدخول في السلم وإتباع خطوات الشيطان، فيتحدث بصيغة الغيبة بدلاً من صيغة الخطاب: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢١٠]. وهو سؤال استنكاري عن علة انتظار المترددين المتلكئين الذين لا يدخلون في السلم كافة، ما الذي يقعد بهم عن الاستجابة؟ ماذا ينتظرون؟ وماذا يرتقبون؟ تراهم سيظلون هكذا في موقفهم حتى يأتيهم الله - سبحانه - في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة؟ وبتعبير آخر: هل ينتظرون ويتلكأون حتى يأتيهم اليوم الرعيب الموعود، الذي قال الله سبحانه: إنه سيأتي فيه في ظلل من الغمام، ويأتي الملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن

وقال صواباً؟

وفجأة – وبينما نحن أمام السؤال الاستنكاري الذي يحمل طابع التهديد الرعيب – نجد أن اليوم قد جاء، وأن كل شيء قد انتهى، وأن القوم أمام المفاجأة التي كان يلوح لهم بها ويخوفهم إياها: (وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ) وطوي الزمان، وأفلتت الفرصة، وعزت النجاة، ووقفوا وجهاً لوجه أمام الله؛ الذي ترجع إليه وحده الأمور: (وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ)

إنها طريقة القرآن العجيبة، التي تفرده وتميزه من سائر القول. الطريقة التي تحيي المشهد وتستحضره في التو واللحظة، وتقف القلوب إزاءه وقفة من يرى ويسمع ويعاني ما فيه!

فإلى متى يتخلف المتخلفون عن الدخول في السلم؛ وهذا الفزع الأكبر ينتظرهم؟ بل هذا الفزع الأكبر يدهمهم! والسلم منهم قريب. السلم في الدنيا والسلم في الآخرة، يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً. يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً. يوم يقضي الأمر.. وقد قضي الأمر! (وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ) "[1].

وهنا عواقب وخيمة تنتظر أيضاً من استبدل نعمه الله وهي طريقه ودينه وشرعه بطريق الشيطان، عواقب يعيشها في الدنيا، وأخرى تنتظره في الآخرة، يقول سيد – رحمه الله تعالى –: "﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢١١]..

ونعمة الله المشار إليها هنا هي نعمة السلم، أو نعمة الإيمان، فهما مترادفان، والتحذير من تبديلها يجد مصداقه أولاً في حال بني إسرائيل، وحرمانهم من السلم والطمأنينة والاستقرار، منذ أن بدلوا نعمة الله، وأبوا الطاعة الراضية، والاستسلام

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص٢١١-٢١٢.

لتوجيه الله. وكانوا دائماً في موقف الشاك المتردد، الذي يظل يطلب الدليل من الخارقة في كل خطوة وكل حركة؛ ثم لا يؤمن بالمعجزة، ولا يطمئن لنور الله وهداه، والتهديد بشدة عقاب الله يجد مصداقه أولاً في حال بني إسرائيل، ويجد مصداقه أخيراً فيما ينتظر المبدلين للنعمة المتبطرين عليها في كل زمان.

وما بدلت البشرية هذه النعمة إلا أصابها العقاب الشديد في حياتها على الأرض قبل عقاب الآخرة. وها هي ذي البشرية المنكودة الطالع في أنحاء الأرض كلها تعاني العقاب الشديد؛ وتجد الشقوة النكدة؛ وتعاني القلق والحيرة؛ ويأكل بعضها بعضاً؛ ويأكل الفرد منها نفسه وأعصابه، ويطاردها وتطارده بالأشباح المطلقة، وبالخواء القاتل الذي يحاول المتحضرون أن يملأه تارة بالمسكرات والمخدرات، وتارة بالحركات الحائرة التي يخيل إليك معها أنهم هاربون تطاردهم الأشباح!

ونظرة إلى صورهم في الأوضاع العجيبة المتكلفة التي يظهرون بها: من مائلة برأسها، إلى كاشفة عن صدرها، إلى رافعة ذيلها، إلى مبتدعة قبعة غريبة على هيئة حيوان! إلى واضع رباط عنق رسم عليه تيتل أو فيل! إلى لابس قميص تربعت عليه صورة أسد أو دب!

ونظرة إلى رقصاتهم المجنونة، وأغانيهم المحمومة، وأوضاعهم المتكلفة، وأزيائهم الصارخة في بعض الحفلات والمناسبات؛ ومحاولة لفت النظر بالشذوذ الصارخ، أو ترضية المزاج بالتميز الفاضح..

ونظرة إلى التنقل السريع المحموم بين الأهواء والأزواج والصداقات والأزياء بين فصل وفصل، لا بل بين الصباح والمساء!

كل أولئك يكشف عن الحيرة القاتلة التي لا طمأنينة فيها ولا سلام، ويكشف عن حالة الملل الجاثم التي يفرون منها، وعن حالة "الهروب" من أنفسهم الخاوية وأرواحهم الموحشة، كالذي تطارده الجنة والأشباح، وإن هو إلا عقاب الله، لمن يحيد عن منهجه، ولا يستمع لدعوته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾

[سورة البقرة، آية: ٢٠٨]"[1].

ومن العواقب التي تنتظر من أعرض عن الله وشرعه وأتبع طريق الشيطان وشره مقارنة الشيطان له: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [سورة النساء، آية: ٣٨].

إن النظر في مثل هذه العقوبة، وهي مقارنة الشيطان للإنسان، ليدعو المؤمن لترك طريقه والإقبال على من يرحمه ويرفعه ويصلح له شأنه، فإذا كان قرينك عدوك فلا تسأل عن الشقاء والعنت الذي سيصيبك وينزل بك.

ومن أعظم العواقب التي تنتظر من لم يتبع أساليب التربية الإسلامية للوقاية من عداوة الشيطان دخول النار: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [سورة الإسراء، آية: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص، آية: ٨٥].

فعلى العاقل اللبيب النظر في عواقب الأمور، أسال الله أن يبصرنا بالصراط المستقيم، ويرزقنا إتباعه والموت عليه.

وأختم بلفت النظر إلى المشهد الأخير الذي تذوب له القلوب وتحار وتذهل فيه العقول وهو المشهد الأخير والختامي الذي يلتقي فيه الشيطان ومطيعوه.

أترك القرآن يصور لنا هذا المشهد ولعلنا نعيشه بأحاسيسنا ونشاهده بقلوبنا.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج١ ص٢١٣.

فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [سورة إبراهيم، آية: ٢٢].

يا الله اجتمع الشيطان بإتباعه وقد انتهت الحياة الدنيا وأفضى الناس إلى ما قدموا.

ذهبت الدنيا كل الدنيا فمنذ أن خلق الله البشر إلى قيام الساعة كأنها ساعة من النهار كأنها عشيه أوضحاها ذهبت بشهواتها وملذاتها بحلاوتها ومرارتها نعم انتهى الأمر.

يقول الشيطان: إن الله وعدكم وعد الحق وقد قال الله لنا في الدنيا إن وعده حق أما الشيطان فكان يكذب من أول الطريق فهو الذي حلف لآدم عليه السلام كذبا وزورا: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [سورة طه، آية: ١٢٠]، ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٢١]. وكذب على ذريته أما اليوم يقرر: (وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ).

تخيل أخي هذا المشهد يقول الشيطان قائما خطيبا بأعلى صوته أيها الناس إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم.

تسربت وعوده وذهبت أدراج الرياح، وبكل بساطه يقول القضية أنني دعوتكم فاستجبتم لي لا أملك عليكم سلطانا وليس لي عليكم حجه.

أيها الناس لا تلقوا باللائمة علي فأنتم الملومون.

هكذا وبكل بساطه ينتهي المشهد فتتوجه زمرا وأفواجا إلى جهنم ليستقر بهم الحال هناك ولا قرار لهم فتمتلئ جهنم من الشيطان وإتباعه.

فهل يتأمل الناس هذه العواقب فيكون ذلك دافعا لهم لإتباع أساليب الإسلام والسير على طريقه بدلا من اختيار طريق الشيطان.

السابع والعشرين: النظر في ثمرة إتباع الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من

عداوة الشيطان:

إن الإنسان إذا تأمل الفائدة والثمرة المرجوة من جراء إتباعه للأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان كان ذلك حافزاً له، ودافعا قويا للأخذ بهذه الأساليب والحرص على معرفتها وتطبيقها واقعاً في حياته، ومن هذه الثمار والفوائد حصول الأمن والطمأنينة وعدم الخوف بشتى صوره، ومنها عدم الخوف على المستقبل الحقيقي، وهو ما يستقبله من أمور الآخرة، وعدم الحزن والأسى على ما فاته من أمور الدنيا.

ومن ثمار ذلك عدم الضلال في الدنيا وعدم الشقاء في الآخرة، ومن ثمار ذلك أيضاً حصول الهدى والرحمة للإنسان.

الثامن والعشرين: العلم:

من أساليب الوقاية من عداوة الشيطان طلب العلم الذي يفقه الإنسان بدينه ويعرفه بالمسلك الحق فيما يأتي ويذر.

" ورد عن عباس انه قال: أن الشياطين قالوا لإبليس يا سيدنا إنا لنفرح بموت العالم ما لا نفرح بموت العابد والعالم لا نصيب منه قال انطلقوا فانطلقوا إلى عابد وأتوه في عبادته فقالوا نريد أن نسألك فقال سل فقال إبليس هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضه قال لا أدري قال أترونه كفر في سماعه ثم جاء إلى رجل عالم في حلقه يضاحك أصحابه فقالوا إنا نريد أن نسألك فقال سل فقال هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضه قال نعم قال كيف قال يقول كن فيكون قال أترون ذلك لا يعد ونفسه هذا يفسد علي عالما كثيرا "[1].

وعن ابن عباس ﷺ انه قال: " والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدا أحب إلى الشيطان هلاكا مني فقيل وكيف ؟ فقال: والله انه ليحدث البدعة في مشرق

---

(١) السلمان، عبدالعزيز بمحمد: سلاح اليقظان لطرد الشيطان، الطبعة الرابعة عشر، مطابع المدينة: الرياض، ١٤٢١هـ. ص٤٠.

أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها "[1]. وجاء في الأثر: " عالم اشد على الشيطان من سبعين عابد ".

وقد بانت واستبانت فضائل العلم كما جاء عن الله تعالى قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر، آية: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة، آية: ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر، آية: ٢٨].

وفي الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من يرد الله به خيرا يفقه في الدين "[2].

وغيرها من الآيات والأحاديث وكلام السلف الصالح التي تحث على طلب العلم وتدعو إليه وترغب فيه فالعلم نور يستضيء به المسلم فيعرف الخير والشر بل يعرف خير الخيرين فيسلكه وشر الشرين فيتركه فباب العلم واسع متى ما سلكه المسلم طالبا في سلوكه النجاة من الشيطان مبتغيا بذلك وجه الله فهو من الأساليب التي يتصدى بها الإنسان لكيد الشيطان ومكره أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

خاتمة:

---

(١) ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: تلبيس إبليس (مرجع سابق) ص١١.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ج٦ ص١٨٦.

تحدث الباحث في هذا الفصل عن الأساليب التربوية في الإسلام للوقاية من عداوة الشيطان حيث قام بتتبع الآيات والأحاديث ذات العلاقة بالموضوع وقسمها إلى أساليب عامة هي الدخول في الإسلام بكافة شرائعه وهو الصراط المستقيم المتمثل في متابعة النبي ﷺ من خلال التمسك بالكتاب والسنة النبوية فيثمر امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

وبذلك تتحقق العبودية لله تعالى حينها يصدق الإنسان في إيمانه ويحصل له الاهتداء أما الأساليب الخاصة فبعد تأمل القرآن والسنة وجد الباحث أن هناك أكثر من خمسة وعشرين أسلوباً نظرياً وعملياً منها ما يتعلق بالقلب ومنها ما يتعلق بالعقل ومنها ما يتعلق بالجوارح تم استعراضها خلال هذا الفصل.

أسال الله التوفيق للعمل بها والثبات عليها.

وبهذا يكون الباحث قد أتى على فصول الرسالة فما كان فيها من صواب فمن الله وبفضله ورحمته وما كان فيها من خطأ وتقصير فمني والشيطان والله المستعان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمـــة

وتشمل :

أولاً : أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

ثانياً : أهم التوصيات التي توصل إليها الباحث.

أولا : أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

١- أن الشيطان هو العدو رقم واحد للإنسان.

٢- أن الشيطان اخطر عدو يؤثر على استقرار الإنسان.

٣- أن الشيطان يؤثر على سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٤- أن الشيطان يؤثر على أمن الإنسان النفسي والجسدي الصحي والعقلي والاجتماعي.

٥- إغفال عداوة الشيطان للإنسان سببا رئيسا في الإخلال بالتربية.

٦- ضعف عناية وسائل الإعلام بعرض هذا الموضوع.

٧- أكثر بل كل الانحراف العقدي والعبادي والأخلاقي في حياة الإنسان مرجعه إلى عداوة الشيطان.

٨- ضعف عناية الأئمة والخطباء والدعاة والمصلحين والمربين بعرض هذا الموضوع.

٩- غزارة ما ورد حول هذا الموضوع وتنوع طرق عرضه في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ .

١٠- خطورة إهمال الحديث عن هذا الموضوع أكبر مما يتصور الكثيرون.

١١- عناية السلف بهذا الموضوع والتحذير من أساليب الشيطان في الإسلام.

١٢- سهولة ويسر الأساليب الوقائية في الإسلام للسلامة من أساليب الشيطان.

١٣- الشيطان يستخدم التدرج في الإضلال بطريقة فائقة.

١٤- الشيطان يجيد عمليات التخطيط باحتراف.

١٥- الشيطان يتعامل مع كل إنسان بحسب حاله كفره وإسلامه، استقامته وانحرافه.

١٦- الشيطان يراعي الفروق الفردية بين الناس.

١٧- أن الشيطان يدل على الخير للإيصال إلى الشر.

١٨- لا مانع عند الشيطان في الدلالة على الخير للسلامة من الإنسان.

١٩- الشيطان وراء كل عنت وبلاء وشقاء للإنسان.

٢٠- كون الشيطان وراء شقاء الإنسان لا يعفيه من التبعة والمسؤولية عن أعماله وأقواله واعتقاداته بطبيعة الحال.

٢١- الشيطان يؤثر على الإنسان من خلال أدواره في الحياة.

٢٢- الشيطان يؤثر على الإنسان من خلال مكونات الإنسان

٢٣- مجالات بناء الإنسان في التربية الإسلامية هي ذاتها مجالات هدم الإنسان عند الشيطان.

٢٤- أعظم وأقوى معركة يخوضها الإنسان هي المعركة مع الشيطان.

٢٥- المعركة مع الشيطان دائمة ومستمرة لا تتوقف إلا بوفاة الإنسان فهي أطول معركة في العالم.

ثانياً: أهم التوصيات التي توصل إليها الباحث:

١- أن يضمن هذا الموضوع المقررات الدراسية في التعليم العام والتعليم العالي.

٢- أن يعتني المربون بطرح هذا الموضوع بأساليب وطرق متنوعة.

٣- أن يقوم الخطباء والدعاة والمصلحون بعرض هذا الموضوع بدرجة كافية.

٤- أن يتولى الوالدان مهمة التبيين والإيضاح لهذه العداوة وآثارها المدمرة للفرد والأسرة والمجتمع.

٥- أن تقدم برامج عبر وسائل الإعلام المختلفة - مرئي ومسموع ومقروء- تبين حجم هذه العداوة وآثارها على الفرد والأسرة والمجتمع.

٦- أن يتنبه كل إنسان لهذه العداوة ويكون يقظا وعارفا ومستحضرا لأهداف عدوه وأساليبه في الإضلال وأساليب الوقاية منها.

٧- أن يتعرف الإنسان على آثار عداوة الشيطان على الفرد والأسرة والمجتمع.

٨- أن تفرد قصة الأبوين مع إبليس التي وردت في القرآن في تسع مواضع بمؤلف مستقل تعرض بأسلوب تربوي هادف.

٩- إقامة مؤتمرات محلية وعالمية تعرِّف بخطورة الشيطان وآثاره المدمرة على الفرد والأسرة والمجتمع.

١٠- الكتابة في هذا الموضوع من المختصين ضرورة ملحه.

١١- قناعة المربين أيا كانت مواقعهم بأهمية معرفة أساليب الشيطان في الإضلال.

١٢- أهمية فهم وإدراك المربي لحجم هذا الموضوع ومكانته وموقعه من التربية.

١٣- ربط المربين والمتربين بأصول التربية، وهي الكتاب والسنة، والتي تحدد حجم كل مسألة وقضيه من قضايا التربية.

١٤- على المربين تحديد الأولويات في موضوعات التربية النظرية والعملية، لعرضها على المربين وإعطاء هذا الموضوع موقعه المناسب في الأولوية.

١٥- على المربين التحذير الدائم والمستمر من هذه العداوة لاستمرارية المعركة وضراوتها.

١٦- على المربين ربط المتربين بالعقيدة الحقة، ومنها الإيمان بالغيب، وعالم الجن والشياطين من هذا العالم.

١٧- ضرورة معرفة المتربي وإدراكه للآثار المترتبة على إهمال هذا الموضوع.

١٨- ضرورة ممارسة المربي مع المتربي الأساليب التربوية في الإسلام لوقاية المتربي من عداوة الشيطان.

١٩- أهمية معرفة المربي والمتربي وترسيخ قاعدة أن هناك طريقين لا ثالث لهما طريق الرحمن وطريق الشيطان، وهما لا يلتقيان.

٢٠- على المتربين إيجاد المحاضن التربوية لحماية عقول وقلوب الناشئة من آثار وممارسات الشيطان وأوليائه.

٢١- على العلماء والمصلحين والمربين بيان القول الحق العدل في هذا الموضوع، خاصة في زمن غلب عليه الطرح التنويري المستغرب.

٢٢- أهمية معرفة الأسرة المسلمة ما للشيطان من آثار على البيت المسلم.

٢٣- ضرورة معرفة المربي أن الاستعانة والاستعاذة بالله تعالى الدائمة بصدق وإخلاص هي أقوى سلاح للانتصار في هذه المعركة.

٢٤- لابد من تعاون البيت والمدرسة في إعداد البرامج التي يكون لها دور كبير في تحصين الأبناء من عدوه الحقيقي.

٢٥- الاستفادة من أساليب العدو في حربه، فهو يمارس التخطيط في أجلى صوره في الإضلال، ونحن يجب أن نمارسها في الإصلاح.

٢٦- التدرج والخطوات المتأنية من أساليب الشيطان في الإضلال، ويجب على المربين استخدامها في الإصلاح.

٢٧- عمل دورات خاصة بالمعلمين لتعريفهم بأثر الشيطان على الإنسان وطرقه في الإضرار وأساليب الوقاية منه.

٢٨- قد لا توجد آثار مباشرة لبعض العداوات على أفراد المجتمعات.

٢٩- أثر عداوة الشيطان مباشر يلحق جميع البشرية وكافة الإنسانية بلا استثناء، وفي جميع المراحل العمرية وعلى سائر المستويات الاجتماعية، حكاما ومحكومين، علماء وجاهلين، فجار ومتقين مصرين ومستغفرين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله العربي، تخريج وتعليق محمد عبدالقادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣- أحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، طبعة عالم الكتب، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٤- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٥- أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، د. أحمد سليمان عوده. د. فتحي حسن ملكاوي، الأردن، مكتبة الكتاني، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٦- أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي، دار عالم الكتب، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٧- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.

٨- أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، دار القلم بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، طبعة عالم الكتب، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٠- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١١- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مراجعه: محمد الفاضلي، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

١٢- آفات على الطريق، السيد محمد نوح، دار اليقين، مصر الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣- أيسر التفاسير، أسعد حومد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

١٤- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، طبعة مكتبة ابن سيناء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر، لبنان، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٦- البحث العلمي، عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٧- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، أبو بكر محمد بن إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود حسن إسماعيل- أحمد فريد المزيدي.

١٨- البحر المحيط، محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٩- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٢٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢١- بناء المجتمع الإسلامي، عبدالرحمن الفرج، دار الفرقان، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

٢٢- بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

٢٣- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

٢٤- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، بدون طبعة.

٢٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

٢٦- التخويف من النار، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩هـ، الطبعة الأولى.

٢٧- التذكرة في الوعظ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٨- التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات)، محمد بن معجب الحامد. سعيد إسماعيل علي. عبد الراضي إبراهيم محمد، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٩- التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، مقداد ياجن، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٠- التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، عبد الرحمن نحلاوي، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٣١- التربية الإسلامية، أحمد الحمد، الرياض، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٢- التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، خليل بن عبدالله الحدري، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة، ١٤١٨هـ، بدون طبعة.

٣٣- التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، بيروت- دمشق، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد رضوان الداية.

٣٤- التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأنباري، بيروت، لبنان، دار الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٣٥- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أحمد العماري، مكتبة الدار، دار طيبه، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٦- تفسير القطان، يحيى بن سعيد القطان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٣٧- تفسير أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود، طبعة دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٣٨- تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٩- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ نشر.

٤٠- تفسير حقي، لإسماعيل حقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى.

٤١- تفسير الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٤٢- تفسير العز بن عبدالسلام، عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الوهبي.

٤٣- تفسير السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمود مطرجي، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٤٤- تفسير القرآن العظيم، الشهير بـ (تفسير ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

٤٥- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ

٤٦- التفسير القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، جمعه محمد أويس الندوي، وحققه محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٤٧- التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي، طبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ نشر.

٤٨- تفسير الماتريدي المسمى بـ (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عوضين، القاهرة،١٣٩١هـ، بدون طبعة.

٤٩- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٤هـ.

٥٠- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد فريد.

٥١- التفسير الميسر، عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٥٢- تفسير اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٥٣- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار المعارف، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٥٤- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ.

٥٥- تنزيه الشريعة، علي محمد بن علي بن عراق الكناني أبو الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف- عبدالله محمد الصديق الغماري، الطبعة الأولى.

٥٦- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ، الطبعة الأولى.

٥٧- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

٥٨- تهذيب الأخلاق، أحمد بن محمد بن مسكويه، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٩- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م.

٦٠- التوقيف على مهمات التعريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى.

٦١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ، الطبعة الثانية.

٦٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٦٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لمحمد بن جعفر الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية.

٦٤- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٦٥- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٦٦- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) للقرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، طبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى.

٦٨- الجواب الصحيح، أحمد عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، مطبعة المديني، مصر، تحقيق: علي سيد صبح المدني، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٦٩- حاشية السندي على سنن النسائي، نور الدين عبدالهادي أبو الحسن السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غده، ١٤٠٦هـ.

٧٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، القاهرة، دار الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ، وبيروت، دار الكتاب العربي.

٧١- الداء والدواء، صنفه ابن القيم الجوزيه، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٧هـ.

٧٢- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، طبعة دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٧٣- الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٧٤- دستور الأخلاق في القرآن، تأليف محمد عبد الله دراز، تعريف وتعليق وتحقيق: عبد الصابور شاهين، مراجعه السيد محمد بدوي، الطبعة الأولى، مؤسسه الرسالة، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٧٥- دلائل النبوة، للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد محمد الحداد.

٧٦- دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، القاهرة، دار الريان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، الطبعة الثانية.

٧٧- الديباج على صحيح مسلم، عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ، تحقيق: أبو إسحاق الجويني الأثري، الطبعة الأولى.

٧٨- رسالة المذاكرة مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين، لعبدالله بن علوى الحداد الشافعي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٢هـ، الطبعة الأولى.

٧٩- الرسالة، محمد إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة المكتبة العلمية بيروت لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٨٠- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، طبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٨١- الروض الأنف، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهلي، تحقيق: عمر بن عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، دمشق، الطبعة الأولى، بدون تاريخ نشر.

٨٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ، الطبعة الرابعة عشر.

٨٣- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٨٤- سلاح اليقظان لطرد الشيطان، عبد العزيز محمد السلمان، الطبعة الرابعة عشر، مطابع المدينة، الرياض، ١٤٢١هـ.

٨٥- سنن ابن ماجه، عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٨٦- سنن أبي داود، الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، طبعة دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٨٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٨٨- سنن الدارقطني، الحافظ علي الدارقطني، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

٨٩- سنن الدارمي، الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٩٠- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، طبعة دار المعرفة، بيروت، توزيع مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٩١- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٩٢- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وهو بشرح الإمام السيوطي، وحاشية السندي، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٩٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبه، الرياض، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٩٤- شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة العاشرة، ١٤٢٣هـ، بيروت، لبنان.

٩٥- شرح الزرقاني على الموطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٩٦- شرح ابن بطال على صحيح البخاري، ابن البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٩٧- شرح السنة، حسين بن مسعود البغوي، تحقيق: الشاويش والأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٩٨- شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ، الطبعة الثانية.

٩٩- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق بشير محمد عيون، نشر مكتبة دار البيان، دمشق، توزيع مكتبة المؤيد، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٠٠- شرح النووي على صحيح مسلم، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، ٦٧٦هـ، بدون تاريخ نشر.

١٠١- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٠٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتأويل، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٠٣- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٠٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٠٥- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٠٦- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠٧- صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٠٨- صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

١٠٩- صحيح مسلم بشرح النووي للإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، ٦٧٦هـ، بدون طبعة.

١١٠- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١١١- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله طبعة دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١١٢- عالم الجن والشياطين، عمر سليمان الأشقر، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٣٩٨هـ، بدون طبعة.

١١٣- عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني، محمد الميسر، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١١٤- عبدة الشيطان في العصر الحاضر وموقف الإسلام منهم، جهاد موسى علي الزهراني، (رسالة ماجستير) إشراف: أحمد عبداللطيف آل عبداللطيف، ١٤٢٨هـ.

١١٥- عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم، عبدالمنعم بن حواس بن محمد الحواس، الرياض، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١١٦- عقد المرجان في ما يتعلق بالجان، علي بن برهان الحلبي الشافعي، تحقيق مصطفى عاشور، طبعة مكتبة ابن سيناء، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١١٧-العقيدة الواسطية، شرح الشيخ صالح الفوزان، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١٨-العمدة في غريب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ

١١٩-عمل اليوم والليلة، أبو بكر أحمد بن محمد بن السني، خرج أحاديثه وعلق عليه سالم بن أحمد السلفي طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢٠-عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فاروق حماده، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٢١-عون المعبود شرح سنن أبي داوود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، الطبعة الثانية، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٢٢- الفتاوى العراقية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة عالم الكتب، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٢٣-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٢٤-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ، بدون طبعة.

١٢٥-فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبعة دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٢٦- فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيميه عن الجان، أبي عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، تصنيف: شرف الدين أبي العباس أحمد بن الحسن، المنامة، البحرين، مكتبة التوحيد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٢٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، تحقيق مصطفى بن العدوي طبعة دار ابن تيميه، القاهرة، بدون طبعة طبعة وتاريخ نشر.

١٢٨- الفكر التربوي عند ابن رجب الحنبلي، د. حسن علي حسن الحجاجي، جدة، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٢٩- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزيه، تخريج وحواشي، أحمد راتب عرموش، طبعة دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ.

١٣٠- في ظلال القرآن، سيد قطب، بيروت، دار الشروق، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٨هـ.

١٣١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

١٣٢- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٣٣- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، الرياض.

١٣٤- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالله القاضي.

١٣٥- الكشاف، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ.

١٣٦- الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٣٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ نشر.

١٣٨- لقط المرجان في أحكام الجان، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، علق عليه خالد عبد الفتاح شبل، طبعة مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٣٩- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد السفاريني الحنبلي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

١٤٠- مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

١٤١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٤٢- مجموعة الرسائل الكبرى، ابن تيمية، القاهرة، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٢٣هـ، بدون طبعة.

١٤٣- مجموع فتاوى ابن تيميه، أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، وابنه محمد، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٤٤- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

١٤٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المشهور بـ(ابن عطية)، أبو الأنصاري، والرحالي الفاروق، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد

الشافعي صادق العناني، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
١٤٦- مختصر صحيح مسلم، المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ، بدون طبعة.
١٤٧- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي، تحقيق وتعليق: قاسم الشماعي الرفاعي، بيروت، لبنان، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٤٨- مداخل الشيطان، إعداد: عبد الله عبد الكريم العزاز، راجعه: عجيل جاسم النشمي، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
١٤٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
١٥٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي، المكتبة الأموية، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.
١٥١- المرشد في كتابة البحوث التربوية، عبد الرحمن صالح عبد الله وحلمي محمد، مكة المكرمة، مكتبة المنار، ١٤٠٨هـ، بدون طبعة.
١٥٢- مرقاة المفاتيح، علي سلطان محمد القاري، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: جمال عيتاني، ١٤٢٢هـ.
١٥٣- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة عبد الإله الأحمدي، دار طيبه، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٥٤- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسأبوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

١٥٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٥٦- المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ٧٧٠هـ، بدون طبعة.

١٥٧- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

١٥٨- مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٥٩- معالم السنن، للخطابي، حاشية أبي داوود، إعداد عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ.

١٦٠- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦١- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٦٢- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

١٦٣-المعجم الوسيط، وضع مجمع اللغة العربية، طبعة دار عمران، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ نشر.

١٦٤- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، طبعة دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٦٥- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.

١٦٦- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف بن حامد العالم، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ.

١٦٧- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٦٨- مناهج البحث في التربية وعلم النفس، جابر وآخرون، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

١٦٩- المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد بن حميد، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٧٠- المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الأندلسي المالكي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ.

١٧١- موسوعة علم النفس، أسعد رزق، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧هـ.

١٧٢- الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي طبعة دار أحياء الكتب العربية، مصر، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٧٣- النبوات، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٧٤- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد: صالح بن عبدالله بن حميد، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، جدة، بدون طبعة.

١٧٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

١٧٦- النكت والعيون (تفسير الماوردي) الماوردي، تحقيق: السيد عبدالمقصود عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٧٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، بدون طبعة.

١٧٨- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، بدون طبعة.

١٧٩- هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

١٨٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٨١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٨٢- وسائل إهلاك وإضلال الشيطان للإنسان، لعبدالخالق العطار، طبعة سيدكو، القاهرة، مصر، بدون طبعة وتاريخ نشر.

١٨٣- وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي، القاهرة، دار البشير، بدون طبعة وتاريخ نشر.